جامعة بيرزيت
2 JAN 1984
BIRZEIT

١٠ شاقل

٤٥

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

العدد
الخامس والاربعون
كانون ثاني ١٩٨٣

- طريق السادات ، ليس الطريق الملائم للشعب الفلسطيني وثورته التحررية
- بوحدة منظمة التحرير يمكن التصدي لاتفاقية التعاون الاستراتيجي
- في ذكرى الدكتور البديري
- قراءة في "مديح الظل العالي"
- السلطة والقرابة في قرية فلسطينية (قرية كوبر)
- الشباب .. ومشكلاته المعاصره
- تصدير الازمة الى البلدان النامية .
- افغانستان .. توطد وحدة الشعب الوطنية .
- "تحت أعواد المشنقة".
- شخصية العربي في الادب العبري .
- أصداء ثقافية

بالتصدّي الحازم لنهج كامب ديفيد

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحبة الجلالة الجماهير

أسعد الأسعد - القدس

ص.ب ٩٩٦ - القدس

رئيس التحرير

أسعد الأسعد

هيئة التحرير

محمد البطراوي — جميل السلحوت

شام الصايغ — محمود الشيخ

صالح زقوت — عمر حمش

السكرتير الإداري

يحيى شقير

صور وغلاف

عبد أبو غوش — نبيلة عريس

كلمتنا

الكاتب

- بالتصدي الحازم لنهج كامب ديفيد يمكن حماية م.ت.ف ٢

سياسة

صارم حكمت

- طريق السادات ،ليس الطريق الملائم للشعب الفلسطيني وثورته التحررية ٤

أبو وديدة

- بوحدة منظمة التحرير يمكن التصدي لاتفاقية التعاون ١٠

نهاد فتحي

- حول عضوية منظمة التحرير الفلسطينية في هيئة الامم المتحدة ٦٠

اقتصاد

نيقولاي ماركوف

- تصدير الازمة الى البلدان النامية ٤٩

مداخلات

رسمية عبد القادر اسليم

- الشباب ومشكلاته المعاصرة ٤٥

دراسات وابحاث

اياد البرغوثي

- سوسيولوجيا "مديح الظل العالي" هي ساعة للانهيار هي ساعة لوضوحنا ١٩

حسين جميل البرغوثي

- سوسيولوجيا سياسية السلطة والقرابة في قرية فلسطينية "(قرية كوبر) ٣٣

صالح محمد زيراى

ونور أحمد نور

- أفغانستان توطد وحدة الشعب الوطنية ٦٨

المحتويات

انطوان شلحت

- شخصية العربي في الادب العبري ٨٦

مع الكتب

خالد نعيم

- مع يوليوس فوتشيك في "تحت أعواد المشنقة" ٧٨

مقابلات

أجرى اللقاء / جميل السلحوت

- محمد البطراوي ١٠٦

اسامة محسن العيسة

- علي فودة يقول لاطفال العالم وداعا ١١٠

شعر

عبد الناصر صالح

- هل تملأين خارطة الوحدة الناقصة ١١٤

شهريات

محمود الشيخ

- بالقلم العريض ١٥

اصداء ثقافية ١٢١

متفرقات

جميل السلحوت

- في ذكرى الدكتور البديري

أحد الجذور الوطنية الفلسطينية ١٧

حسن عبد الله

- خلجات ..على رصيف الزمن ١١٦

الكاتب العبري /

ابرهار سملانسكي

ترجمة / احمد يوسف

- النفي / من رواية "حكاية خربة خزعة" ١١٩

Al-Kateb

For human culture & progress

CHIEF EDITOR

Asa'd - Al - Asa'd

Jerusalem

الثمن : ١٠٠ شاقل

ترتيب المواد يخضع لضرورات فنية ـ المواد الواردة لا ترد اذا لم تنشر

2 JAN 1994

Library

Digitized by Birzeit University Library

حديثنا

بالتصدى الحازم لنهج كامب ديفيد يمكن حماية م.ت.ف

الخطر الجدىّ الذى يتهدد الساحة الفلسطينية ومنظمة التحرير هـذه الايام يكاد يكون أكثر من أى وقت مضى ،فهو يتمحور على أساس سياسي صرف، ويرتسم بوضوح بين طريقين ،طريق الوفاء لاهداف النضال الوطني الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة،او طريق التفريط بهذه الاهداف لصالح الوعود الامريكية ومخططاتها ،والانجرار الى مستنقع اتفاقيات كامب ديفيد .

هذاالتحديدالصريح والمتكامل لحصيلةالصراع القاسي داخل منظمةالتحرير الفلسطينية خلال العام المنصرم ،تضمنته بوضوح زيارة عرفات للقاهرة بما تعنيه على المستوى السياسي من مصادقة على نهج كامب ديفيد ،

هذا النهج الذى تعني الموافقة عليه التخلي عن النتائج الضخمة للنضال الفلسطيني في تكريس شرعية ووحدانية تمثيل منظمة التحرير،وفي ترسخ وانبعاث الشخصية الوطنية الفلسطينية.وفي التنكر لهدف الاستقلال الوطني والتضحية به لصالح وعود لم يحقق منها السادات شيئا ،ويقابلها حكام اسرائيل بالسخرية والرفض القاطـع .

ان التملص من هذه الحقائق والترويج لزيارة عرفات للقاهرة على شاكلة ما يقوم به البعض في المناطق المحتلة،في الوقت الذى اعربت فيه اللجنة المركزية لحركة فتح عن خطوة عرفات هذه باعتبارها خطوة فردية ولم يرجع فيها للجنة المركزية والتي تلتزم بقرارات الحركة الرافضة لاتفاقات كامب ديفيد ،يبدو محاولة مفضوحة تكشف رغبة هؤلاء في روءية م.ت.ف مفككة وضعيفة ومهزومة، وتزودهم بالضوء الاخضر للضلوع في شتى أشكال المشاريع

Digitized by Birzeit University Library

الاستسلامية التي يروجون لها منذ وقت طويـــل .

ان عرفات بموقفه هذا وضع المسألة بالحاح شديد امام فتح قبل غيرها من فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى موقفها الى حد بعيد يتوقف المستقبل اللاحق لمنظمة التحرير الفلسطينية بتشكيلتها الراهنة، وفي هذا السياق فان بمقدور فتح ان تجنب الحركة الفلسطينية الكثير من البلبلة، اذا ما عالجت موضوع هذه الزيارة وهذا النهج بروح المسؤولية الثورية والوفاء للتقاليد الكفاحية التي انبثقت على أساسها وقدمت من أجلها الكثير .

ان محاولة اليمين العربي استغلال الصعوبات المفروضة على الشعب الفلسطيني، واستغلال الصراع داخل منظمة التحرير من أجل السيادة لنهج كامب ديفيد يمكن ان تجابه بقوة اذا ما اعلنت كافة الفصائل الفلسطينية وبضمنهم حركة المعارضة داخل فتح عن الاستعداد لتجاوز كل الخلافات السابقة ودفعها للخلف وفتح حوار مباشر وجدّي مع اللجنة المركزية لفتح من أجل تجاوز هذه الخلافات امام الخطر الكبير الذي يمثله النهج الجديد الذي يريد عرفات فرضة على الساحة الفلسطينية، على ان تقوم هذه الحركة بمعالجة خروج عرفات عن قراراتها الجماعية، ليس فقط بوصفه زعيما لهذه الحركة وانما ايضا بوصفه زعيما لمنظمة التحرير الفلسطينية !

اننا ننتظر في ان تكون معالجة فتح لخطوة عرفات بروح الرفض الصريح لها، وعدم السماح بسيادة هذا التوجه على الساحة الفلسطينية مأثرة تاريخية لهذه الحركة المناضلة في الحفاظ على منظمة التحرير الفلسطينية وتجنيب الشعب الفلسطيني المزيد من المآسي والمؤامرات، ومن اجل التقيد الحقيقي بقرارات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني .

" الكاتـب "

Digitized by Birzeit University Library

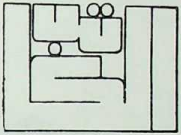

طريق السادات ، ليس الطريق الملائم للشعب الفلسطيني وثورته التحررية .

بقلم : صلاح صكمت

" ان الامر الرئيسي لشق الطريق نحو المستقبل في ظروف معينة هو ارادة النضال التي لا تلين والنشاط الثورى ذاته " .

ف . كاسترو

.....

ابواق الدعاية الرجعية ، تلقفت زيارة عرفات للقاهرة آملة بنهج جديد اختطته م .ت .ف ويحظى بدعم فلسطيني شامل ، ودونما حياء روجت هذه الابواق للدعم الشامل والساحق الذى تتمتع به هذه الزيارة في الارض المحتلة ، وعلى رأس هؤلاء يقف ازلام النظام الاردني في المناطق المحتلة ، والذين ما انفكوا في فترات سابقة يهاجمون م .ت .ف وقرارات المجلس الوطني حين رأوا فيها تناقضا مع ما يطرحونه من مبادرات استسلامية .

وبدون اى اعتبار لذاكرة الشعب الفلسطيني يعد هؤلاء من خلال طريق السادات ومن خلال نهج كامب ديفيد باحقاق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وانقاذ المناطق المحتلة ، ان هذا التشويه المقصود ، الذى تقود حملته الصحافة الرجعية في المناطق المحتلة ، وتغذيه اجهزة الاعلام الرجعية ، لا يكشف في الواقع عن حقيقة موقف الجماهير الفلسطينية في المناطق المحتلة ، ولا يشير كذلك الى قناعتها بمنهج السادات سبيلا للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

Digitized by Birzeit University Library

ساحة المناطق المحتلة :

ان الحقيقة التي باتت تفرض نفسها على الجميع ، تلك الاهمية المتميزة لساحة المناطق المحتلة ، ليس فقط باعتبارها ساحة اي من الحلول السياسية المطروحة وكذلك موقع اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، وانما ايضا بسبب احتوائها على قطاع هام من الجماهير الفلسطينية التي تعيش فوق أرضها .

الا ان هذه الاعتبارات لم تكن تكفي وحدها لو لم يرافقها ذلك المستوى النشط من النضال الفعال في المعارك المصيرية التي جابهت الشعب الفلسطيني .

ان هذه الساحة لم تشهد نضالا بطوليا غنيا في الضفة والقطاع فحسب ولكنها شهدت كذلك ابداع اطار جبهوي عام ٧٣ ، كان يمثل تقدما ملحوظا في مستوى الطرح السياسي وفي تجميع القوى اللازمة من أجل تنفيذه ولم تكتفي جماهير المناطق المحتلة باعلان التفافها خلف م.ت.ف بصورة رسمية وعلنية والتي كان أول من اطلقها الاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة الغربية ، وانما قاومت بكل قوة محاولات انشاء القيادات البديلة ومشاريع الادارة المدنية ، ونجحت عام ٧٦ في عزل الزعامات المتوزعة الولاء لاهداف غير تقرير المصير والدولة المستقلة .

وجدير بمن يحاولون الان تصوير موقف الجماهير في المناطق المحتلة على انه مباركة لنهج كامب ديفيد الذي صادقت علية رسميا زيارة عرفات للقاهرة ، جدير بهؤلاء ان يحترموا على الاقل دماء الشهداء ممن سقطوا في النضال ضد اتفاقيات كامب ديفيد ، وان يحترموا عذابات المئات ممن امتلأت بهم السجون وهم يتصدون بكل بسالة لهذه الاتفاقية المشؤومة ، وبدلا من التبشير بالاستسلام من الواجب مراقبة ذلك الاتساع والتنوع الكبيرين اللذين شهدتهما ساحة المناطق المحتلة تحت قيادة لجنة التوجيه الوطني التي تشكلت كنتيجة مباشرة للموقف الرافض لاتفاقيات كامب ديفيد .

ان جماهير المناطق المحتلة في المخيمات ، وفي القرى ، والطلبة في جامعات ومدارس الضفة والقطاع ، كانوا يصنعون بدمائهم وتضحياتهم الغالية ذلك الاحترام الكبير الذي تكنه الجماهير الفلسطينية والعربية ، والكثيرين في العالم اليوم للمناطق المحتلة ، واما من كانوا على رصيف الاحداث او خلفها او من كانوا يعقدون الاجتماعات المتتابعة مع وزراء الدفاع الاسرائيليين والجاهزين دوما للتبشير بالتنازل والاستسلام فانهم ما كانوا ليجرأوا حتى على الظهور امام الجماهير الغاضبة ، فليس من المصادفة ان تقابل بالسخرية والاستهزاء والرفض كلمات من يدعي تمثيل "الغالبية الساحقة" من جماهير الضفة في المهرجان الجماهيري الضخم الذي عقد في جامعة بيت لحم احتجاجا على اتفاقات كامب ديفيد عام ٧٨ ، وليس

Digitized by Birzeit University Library

من المصادفة كذلك ان يكون مرفوضا من طلبة جامعته رئيس مجلس امناء يدعي اليوم انه خلف م.ت.ف عندما كان يواجه الطلاب المعتصمين ضد اجراءاته الفاضحة بمطالبتهم ان يحضر عرفات ـ اذا كان رجلا ـ ويجبره بدباباته على ان يتراجع عن اجراءاته .

من المفيد امام حملة الترويج الديماغوجية، التي اطلقت لها العنان بعض الصحف والمجلات ذات التزويق الجميل والممتلئ بصور الرشاشات والمدافع الفلسطينية، ان يحترم هؤلاء تاريخ المكافحين والشهداء خلف هذه الرشاشات والمدافع والذين سقطوا في العدوان الاسرائيلي ـ الامريكي على لبنان، الثمرة المباشرة لاتفاقيات كامب ديفيد، ومن المفيد تذكيرهم ان ساحة المناطق المحتلة ومن يمثلونها هم تلك الجماهير المكافحة المحاصرة يوميا في مخيمات الدهيشة وبلاطة والجلزون هم تلك المنظمات الجماهيرية التي تتعرض للملاحقة والاضطهاد اليومي من قبل المحتلين ، تلك المنظمات التي تبني بعرق وجهد اعضائها مواقف الرفض الحازم لمشاريع توطين اللاجئين، والمدافعة عن لقمة الخبز لجماهير العمال المسحوقة والتي بأمكانياتها البسيطة تحرث الارض وتغرس الزيتون أملا بحماية قطعة أرض من المصادرة والاستيطان ، أولئك هم من يمثلون

المناطق المحتلة، لا اصحاب السيارات الفخمة والمنعّمين بكاميرات التلفزيون الاسرائيلي وشبكات الـ ن.ب.س، والذين يصيحون فرحا عند كل مصادرة لقطعة أرض أو انشاء مستوطنة جديدة . ها، ها، اترون، الاستيطان يزداد، الارض تصادر، ليس لكم والله الا الحكم الذاتي، ليس لكم والله الا أن تنتخبونا لتمثيلكم وعندها لن يصادر شبرا أرض الا بمعرفتنا، ومايبشربه هؤلاء خبرته الجماهير الفلسطينية في المناطق المحتلة ممثلا بتجربة السادات فأضخم حملات الاستيطان تمت أثر توقيع تلك الاتفاقات المشؤومة، كما قامت السلطات بحل البلديات، وازدادت حملات القمع والارهاب لما يسمى بسياسة العصا الحديدية، بينما كانت الجزرة من نصيب هؤلاء الذين يروق كأن لهم أن يكونو "شخصيات" الضفة والقطاع مطالبين بقرارات بالاغلبية، بينما لم يحظى صاحب هذه المعزوفة بمركز بلديته الا تعيينا من سلطات الاحتلال. وفي عهد هذه الاتفاقية المشؤومة احتشدت المنطقة بهذا الحجم الضخم من القوى الاستعمارية وبوارجها الحربية وتسارع الاختلال في توازن القوى لصالح اعداء الشعوب العربية، واعداء الشعب الفلسطيني بوجه خاص، وحيث بات من المؤكد ان الدولة الفلسطينية لن تكون حصيلة هذا النهج كما لن يكون حتى الحكم الاداري الذاتي بالمفهوم المصري، واما حصيلته فستكون اجهاض الشخصية الوطنية الفلسطينية وضرب اضخم انجاز للشعب الفلسطيني وهو م.ت.ف، واعادة القضية مجددا للتوزع بين شتى الزعامات الرجعية العربية، هذا ما تفصح عن مصلحة البرجوازية البيروقراطية والكبيرة الفلسطينية، وهذا ما يحللها من دورها المزدوج حتى فترة قريبة في ارتباطها بالاهداف القومية للنضال الوطني وارتباطها بالرجعية العربية وذلك كي تحسم موقعها نهائيا في صف الرجعية العربية وطروحاتها الاستسلامية، والتساوق معها في

Digitized by Birzeit University Library

فصل شعار تقرير المصير عن الدولة المستقلة مع الادعـــاء بالتمسك باهداف النضال الفلسطيني العادلة اثناء اجراء هذا الفصل المتعمد .

حق تقرير المصير والدولة الفلسطينية المستقلـــة :

ان مضمون حق تقرير المصير يحمل معنى الانفصال وتكوين الدولة المستقلة كما انه يحمل كذلك امكانية الاندماج في أطار الحكم الذاتي الى دولة اخرى ،وبهذا المضمون الاخير يجرى تغييب مقصود لشعار الدولةالفلسطينية المستقلة في سلسلة شعارات اليمين العربي والفلسطينـــي .

ان هذه المحاولةتنسجم مع مشروع ريغان ،وتتجاوب مع "التسامح"الاسرائيلي في الاقرار بوجود "فلسطينيين"ولكنها في الواقع محاولة مكشوفة للعودة الى وراء، بهدف الانسجام مع الشعارات القديمة للرجعية العربية ،وتجاوز التطور الكبير في الساحة الفلسطينية من مرحلة الشعارات العامة الى التحديد الدقيق الذى تجسد في شعار الدولة الفلسطينة المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة باعتباره التعبير الملازم لحـق تقرير المصير .

ان محاولات سلخ حق اقامة الدولة المستقلة من الشعب الفلسطيني توزعت على الدوام بين اسرائيل والانظمة الرجعية العربية.فاسرائيل كانت تسعى من خلال فرض الامر الواقع والذى يتمثل بسياسة الاستيطان والسيطرة على مصادر المياه ومن خلال الالحاق الاقتصادى للضفة والقطاع والتهديد بالضم الفعلي ،واعتمادا على آلة القمع والبطش الى ضرب المقومات المادية للدولة الفلسطينية المستقلة ،وما كانت خطواتها السابقة باسم الادارة المدنية او الحكم الادارى الذاتي سوى خطوات تتجه في خطوطها النهائية الى هذا الهدف ،كما انها تتجاوز عقبة مباشرة متمثلة في التفاف جماهير المناطق المحتلة حول م.ت.ف .

وفي هذا الاطار كانت اتفاقيات كامب ديفيد الخاصة بالقضية الفلسطينية مكسبا مباشرا لاسرائيل في اضفاء صفة شرعية على ما تقوم به من اجراءات في هذه الطريق ،ودون أن تقدم اى مقابل حتى ولو "بتجميد" المستوطنات .

واما الانقضاض على شعار الدولة المستقلة فكان يقوده كذلك النظام الاردني معبرا عن رغبة اليمين العربي بأكمله ،لقد كان هذا الدور مرتبطا تاريخيا بالنظام الاردني فبعد عام ٤٨ جرى الضم الاجبارى للضفة الغربية ومحاولة تبديد الشخصية الفلسطينية ،وحيث فرض تشكيل م.ت.ف عام ٦٤ ،فان الملك حسين اشترط لمشاركته في افتتاح المؤتمر الاول الذى عقد في القدس الا يتضمن المؤتمر اى قرار خاص بالضفة الغربية على اعتبار انها جزء من

Digitized by Birzeit University Library

المملكة،وان يجرى التعهد بتـدم العمل في اوساط الجماهير الفلسطينية في الساحة الاردنيـــة .

ان هذه التوجهات لم تتوقف بعد عام ٦٧،حيث فرض الواقع "تحررا"للجماهير الفلسطينية عن وصاية الانظمة الرجعية وبضمنها الاردني،فقد لجأ النظام الهاشمي الى التصفية العسكرية للمقاومة الفلسطينية في ٧٠ر٧١ معلنا اثر ذلك عن مشروعه المعروف باسم المملكة المتحدة،لقد تضمن هذا المشروع في التعريف الذى قدمه الملك ما يلـي .

"تتمتع هذه المملكة المقترحة من قطرين يتمتع كل منهما باستقلال ذاتي،احدهما اردني في الضفة الشرقية وثانيهما فلسطيني في الضفة الغربيه،تربطهما وحدة فدرالية واحدة"

والذى يعني بصورة مباشرة ارجاع الضفة الغربية الى الوصاية الاردنية وكذلك تخليا مبدئيا عن قطاع غزة وعن مستقبل سكانه الفلسطينيين .

ان الملك حسين عاد في تصريحاته الاخيرة للاشارة الى الوحدة الفدرالية والى التجاوب مع مشروع ريغان ، ونقاش تعديلات فيه،متجاهلا بصلف حتى تلك العبارات المدبجة التي يريدها اليمين الفلسطيني فيما يسمى بالاتحاد الكونفدرالي"والذى يجرى تصويره على اعتباره يتضمن الدولة المستقلة،ومن ثم الحق الاختيارى لها في الاتحاد مع الاردن ،وفي هذا محاولة مفضوحة لابدال تفسير حقوقي ضيق بواقع موضوعي مغاير تماما،فلا اسرائيل انسحبت من الضفة والقطاع،ولا الدولة الفلسطينية انشئت،ولا قررت حكومة وشعب هذه الدولة الاندماج في اتحاد كونفدرالي ، فما الذى يراد تصويره سوى التحايل على الجماهير الفلسطينية والادعاء باقرار حق تقريرالمصير،في الوقت الذى يجرى فية التجاوب مع مشروع ريغان،ومع الاقرار بالوصاية الاردنية على كيان"فلسطيني مهزوز لا يشكل نقلة نوعية عن الواقع الراهن للشعب الفلسطينـــي .

ومن الضرورى الاشارة هنا،الى ان الحديث عن الديمقراطية والاستفتاءات حول هذا المشروع والذى تحمل لواءها صحافة المبايعة لعرفات ليست الا تضليلا ودجلا من الناحية السياسية،فالشرط الاساسي لاقرار الاندماج او الاتحاد الكونفدرالي يقتضي شيوع الديمقراطية بما يمكّن من الاستفتاءات او غيرها،ففي اية ظروف يقوم هؤلاء بالاستفتاءات اذا صدق فعلا ان قاموا باجرائها ؟ .

ان المرحلة الراهنة تشهد خطرا فعليا يهدد كافة المكتسبات التي تحققت للشعب الفلسطيني في تاريخ نضاله،وعلى رأسها معارضة الدولة الفلسطينية المستقلة بحق تقرير المصيـــر .

Digitized by Birzeit University Library

ان السؤال الهام الذى لا يريد ان يتوقف عنده دعاة نهج السادات هو : ما الذى يجبر اسرائيل على تقديم التنازلات للاردن او لغيره، وبأية مقومات "سيجبر" عرفات اسرائيل على منح الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ؟

ان الجواب الحاضر عند قادة الرجعية العربية، يمر من خلال أمريكا وبعض "الشطار" الجدد يبشرون به من خلال ميتران، ولكن الواقع القائم يدفع اسرائيل وهي ترى التفسخ والاستسلام الى المزيد من الاتجاه نحو الضم ونحو عزل جماهير المناطق المحتلة عن م .ت .ف ، والى التقدم بثبات لتنفيذ دورها في اطار التعاون الاستراتيجي، وبقدر ما يخدم اهدافها هذه اجراء مفاوضات مباشرة مع الاردن بمقدار ما تتقدم منها ولكن دون التراجع عن "أرض اسرائيل الكاملة" وعن الاستمرار في تدمير بنية المناطق المحتلة ونسف جوهر تقرير المصير للشعب الفلسطينـــي .

ان خطة الاعتماد على امريكا ليست مرفوضة فقط لانها لن تقدم اى كسب للشعب الفلسطيني وانما كذلك لان نموذجها الفاشل حاضر في تجربة السادات والذى لم تكن تنقصة الفهلوة كما أنه كان "بطلا للعبور" كذلك ، وفي مقابلها ينبغي التمسك بثبات بالطريق الكفاحي للشعب الفلسطيني وحركته الوطنية ، وبتطوير التاريخ الكفاحي لحركة فتح ايضا ، والسير بجبهة موحدة ، ومن خلال م .ت .ف من أجل التمسك الثابت بالدولة الفلسطينية المستقلة هدفـا مباشرا للنضال الوطنـــي .

Digitized by Birzeit University Library

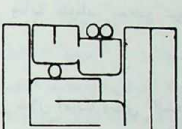

بوحدة منظمة التحرير يمكن التصدى لاتفاقية التعاون

بقلم / أبـو وديدة

تبين المراجعة لتاريخ العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية أنها كانت على الدوام تسجل قفزات واسعة في التعاون وفي مختلف مجالاته، وحتى استحداث فروع جديدة للتعاون، وتطوير القائم منها، وذلك في كل الفترات التي انتهجت فيها ادارة البيت الابيض الامريكي سياسة عدوانية تجاه قضايا الشعوب وقضايا السلم العالمي. كما يشهد هذا التاريخ على أن "الخلافات" بين البلدين، وما كان يتفق على وصفه بالجمود او الفتور في العلاقات، لم يكن يؤدى الى تضييق رقعة التعاون بين البلدين ولا الى رجوع لما هو دون المستوى القائم.

لذلك لم يكن مفاجئا، أو مثيرا للدهشة، ارتقاء العلاقات بين البلدين لدرجة التحالف، بتوقيع اتفاقية التعاون الاستراتيجي، وتوسيع وتطوير مختلف مجالات التعاون، في ظل ادارة ريغان الممثلة لاوساط الاحتكارات العسكرية الاكثر عدوانية وتطرفا، والاكثر حقدا على حركات التحرر الوطني والاشد كرها للشيوعية والاتحاد السوفييتي، وبالتالي الاشد خطرا على السلام العالمي ومستقبل البشرية بأسرهـــا.

ومع ذلك هناك اجماع في اوساط المراقبين، من مختلف المشارب السياسية والانتماءات الايديولوجية، بأن توقيع الاتفاقية يمثل أحد أخطر الاحداث التي شهدتها منطقة الشرق الاوسط منذ حزيران عام ١٩٦٧. فالاتفاقية تضع اسرائيل في مصاف حليفات الولايـــات المتحدة الاطلسيات. فضلا عن انها تجعل اسرائيل القوة المعتمدة الوحيدة تقريبا لفرض "السلام والاستقرار" على الطريق الامريكية في المنطقة بما فيه ضمان تدفق النفط العربي على الاسواق الغربيـــة.

Digitized by Birzeit University Library

لكن لماذا الان ؟!

والاتفاقية ،من حيث الجوهر،لا تعدو كونها تقنين لعلاقات قائمة بالفعل منذ وقت طويل، أو هي احياء للاتفاقية التي تم التوصل اليها في أوائل العام الماضي،وأعطت لاسرائيل مسؤولية اقرار "السلام" في منطقة شرق المتوسط . وكانت الولايات المتحدة قد أعلنت تجميدها للاتفاقية قبل توقيعها ،"اكراما لخاطر اصدقائها العرب " بعد اعلان اسرائيل ضم الجولان ثم عدوانها على لبنان . وظلت الولايات المتحدة حريصة على تطبيق كامل بنودها رغم ذلك .

لذلك فالسؤال الذى قفز على السنة المراقبين ،لماذا عادت أمريكا ولبت لاسرائيل مطالبها ابان ابرام الاتفاقية السابقة باطلاق يدها من جبال طوروس حتى بحر العرب ومن الخليج حتى تونس ؟! ولماذا دفعت بأصدقائها العرب على هذا النحو المذل بوضعها حدا لامال البعض منهم في الشراكة الاستراتيجية؟! لماذا في هذا الوقت بالذات وعلى هذا النحو ؟!.

فالاتفاقية ،ودون تجاوز للحقيقة ،يمكن تشبيهها بعقد شراكه في شركة تساهم فيها أمريكا برأس المال ،بما فيها الاجهزة والعتاد .. الخ ، في حين تقتصر مساهمة اسرائيل على القوة البشرية كما يحدد العقد بدقة حصة الشريكين في تقاسم الارباح. وقد اقتصر دور الانظمة العربية على الخدمة، وانجاز الاعمال السوداء ،مقابل المأكل والملبس والحماية فقط .

ان تحديد دور الانظمة العربية التابعة لامريكا ،على هذا النحو،هو الامر الجديد وربما الوحيد في هذه الاتفاقية. فالولايات المتحدة لم تعد ترى مبررا لاستمرار المجاملات مع هذه الانظمة ، فليس فقط أنها نحته عن المزاحمه بل وفرضت عليها خدمة المصالح الامريكية ومصالح الشريك الاسرئيلي بلا مواربه ودون أدنى عناية بمشاعر شعوبها .

على هذا النحو لم تعد امريكا معنية بلعب دور "الحكم النزيه" أو "الطرف المحايد" ، أو أخذ "موقف متوازن" .. وغيرها من المقولات في الصراع العربي الاسرائيلي والتي بنت الانظمة الرجعية عليها سياساتها في الحقبة الماضية. وبهذا الانحياز الكامل للمصالح الاسرائيلية ،صار واضحا ،ولا يحتاج لتفسير،أن أى دعوة تنطلق من أى مصدر كان ،للوثوق بحسن النوايا الامريكية ،أو التبشير بحلول عادلة منها ، انما تؤشر باصبع الاتهام الى مطلقها فقط .

ونعود الى السؤال لماذا إذن جرى توقيع هذه الاتفاقية الان وعلى هذا النحو؟!.

Digitized by Birzeit University Library

العصا الغليظة من يحملها ؟!

منذ بدء تطبيق سياسة المرحلة الجديدة، ما بعد غرينادا حسب القاموس السياسي الامريكي، أي منذ بدء العودة الامريكية للقيام بدور الشرطي العالمي، واشهار العصا الغليظة في وجه الشعوب المتطلعة للحرية ولحياة أفضل، والسؤال الحائر يتردد : هل بمقدور البيت الابيض تجاوز عقدة الفيتنام ؟!.

لقد عادت الولايات المتحدة، في اطار التحضير لمهمة الشرطي العالمي، لسياسة الاحلاف العسكرية والقواعد، وقواعد التسهيلات، وشكلت قوات التدخل السريع وزادت عددها كما طورت ونوعت مهماتها حتى التدخل في الشؤون الداخلية للاقطار الداخلية ضمن "المناطق الحيوية للمصالح الامريكية"، وكل العالم تنطبق عليه هذه الاوصاف. ومهدت لاختبار قدراتها بتدخل عسكري مباشر في أمريكا الوسطى ثم في لبنان واخيرا في غرينادا، وجاءت حصيلة تجاربها مخيبة للآمال بمعنى أنها تقوى العقدة الفيتنامية بدل اضعافها.

في العقود الماضية، ثم في فترة الانفراج الدولي تمت قدرة حركات التحرر الوطني بمقاييس هائلة، أمدها بها الميل الدائب في ميزان القوى العالمي لصالح التحرر والتقدم والسلام في العالم بقاعدتها المنظومة الاشتراكية. ودلت تجارب الولايات المتحدة بحمل عصا الشرطي العالمي الغليظة في امريكا الوسطى وفي الكاريبي "غرينادا" وفي جبال الشوف في لبنان، أن حركة تحرر وطني حددت موقعها في سلسلة حركة التحرر العالمي بدقة، وتملك قيادتها ارادة القتال ومن ثم تملك التصميم على مجابهة عدوان الامبريالية، لا يمكن قهرها، أو اخضاعها، أو اجبارها على التخلي عن طريقها، بعشرات البوارج وحاملات الطائرات الامريكية وببضعة آلاف من الجنود المرتزقة المدربين في الولايات المتحدة، والمجهزين بأحدث السلاح والعتاد، ولا بجيش لدولة صديقة من بضع عشرات آلاف الجنود وبكلهم مجتمعين.

ان العودة للقيام بدور الشرطي العالمي القذر يفرض على ادارة البيت الابيض استخدام جيوش لا أقل من جيشها في فيتنام، ضد دولة أو حركة أصغر بكثير، ومن ثم الاستعداد لدفع ثمن من الدم والمال. ربما اكبر من ذلك الذي دفعته في فيتنام وقبلها في كوريا، وليس هناك ضمان أن لا تكون بنفس النتائج. وهذا ثمن من غير الممكن حمل الشعب الامريكي ومؤسساته التمثيلية على دفعه. والمنطق اذن يقضي بأنه لممارسة دور الشرطي لا بد من استئجار أو الاعتماد على قوى قادرة مجربة ومستعدة لتحمل تبعاته وحدها. وباختصار توصلت الى المعادلة البسيطة التالية :-

دور الشرطي الامريكي العالمي = رأسمال أمريكي + رجال غير امريكيين.

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيل وجنوب افريقيا

ويبدو ان ادارة البيت الابيض اعادت دراسة ملفات أصدقائها ، ووجدت أن اسرائيل وجنوب افريقيا تملكان افضل المواصفات وتحملان أعلى المؤهلات . فاسرائيل فضلا عن مطابقة نظريتها لنظرة الاوساط الاكثر عدوانية في الاحتكارات الامريكية تجاه العالم ،لها مصالح وأهداف يتفق تحقيقها وتحقيق المصالح الامريكية في المنطقة . وهكذا كان الوصول لاتفاق المشاركة امرا مقضيا .

ولا يغيب عن البال أن الصهيونية العالمية ،ومنذ مؤتمرها الاول في بال عام ١٨٩٧ ، وفي توجهها للحصول على موافقة الدول الاستعمارية في ذلك الحين على استقطاع فلسطين وطنا قوميا لليهود ، اعربت لتلك الدول عن استعدادها لوضع اسرائيل قاعدة متقدمة في المنطقة تقوم بحماية الطرق الى الهند والشرق الاقصى وبفرض الاستقرار في المنطقة من خلال اعتمادها قوة قمع للحركة الوطنية العربية . وهو ذات الدور تقريبا الذى اقرته اتفاقية التعاون الاستراتيجي الجديدة ..

أنظمة التبعية .. لا خيار

ولان أنظمة اليمين العربي لا تملك المؤهلات المطلوبة ،ومن غير المنتظر الحصول عليها في فترة قريبة،حددت الاتفاقية دورها على النحو الذى سبقت الاشارة اليه . ووضعت بذلك حدا لجدل طويل قيل انه دار بين فريقين في دوائر البيت الابيض ، فريق نادى بالبحث عن صيغة توفق بين علاقات الولايات المتحدة بكل من اسرائيل والاصدقاء العرب وفريق نادى باعتماد اسرائيل شريكا وحيدا دون اهتمام برد الفعل العربي على اعتبار أن الانظمة العربية لا تملك خيارا غير القبول بما تحدده لها الادارة الامريكية من مهام . وعلى هذا الاساس تابع المراقبون ردود فعل انظمة اليمين العربي ..

واتفق المراقبون على أن ردود الفعل هذه يمكن تلخيصها بعد الافاقة من صدمة المفاجأة بانها تراوحت بين العتب على الصديق الامريكي وبين الانزعاج الشديد الذى يبعثه الخوف من المستقبل . وما عدا ذلك فقد عبرت بشكل أو بآخر عن تقبلها لاداء دور الخدمة المطلوب منها .

فالتصريحات الرسمية اقتصرت على ماأسمته بالبحث في مضامين ومعاني الاتفاقية ، والتذب على احتمال ضياع المصداقية الامريكية أمام الشعوب العربية ،والمسارعة الى الاعلان عن الالتزام بمشروع ريغان والاعراب عن الاستعداد للدخول في مفاوضات مع اسرائيل

Digitized by Birzeit University Library

وعتابهـا على وضع العراقيل في طريق السلام ،ثم السكوت على الاعتداءات الامريكية الجوية والبحرية على المواقع الوطنية اللبنانية والسورية ودعوة الاطراف "للانسحـاب المتزامن من لبنان" .. الخ .

ان القبول بالدور الذى حددته الاتفاقية ،دور خدمة الشريكين صراحة وبدون مواربه، اعاد الانظمة العربية الرجعية الى وضع يشبه وضع اسلافهم في الاربعينات والخمسينـات وزود فصائل حركة التحرر العربي ،على عكس ما أرادته الامبريالية ،بأسلحة كبيرة الفعالية لانهاض الشعوب العربية بقصد اسقاط هذه الانظمة .

وماذا بعد الرحيل عن طرابلـس

واذا تجاوزنا ردود فعل أنظمة اليمين العربي ،وتصاعد خطر العدوان الواسع على فصائل حركة التحرر العربي ،وفي مقدمتها سوريا والحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، وظهور بوادر الاستعداد له المتمثلة في الاعتداءات الجوية والبحرية الاسرائيلية والامريكيـة، في محاولات للوقوف على طبيعة الرد السوفييتي ،اذا تجاوزنا كل ذلك فان توقيع الاتفاقية كان بمثابة قرع ناقوس هائل الدوي ،كان يجب ان يوقظ كل فصائل الحركـة الوطنيـة الفلسطينية على الخطر الهائل المتربص بمصير قضيتهم .

لكن المتتبع لحركة القوى في الارض المحتلة وحركة وتصريحات بعض المسؤولين لا يلحظ ان هذا الدوي التقطته الاذان بالصورة المطلوبه ،وهكذا لم يحظ هذا الحدث الخطير بالاهتمام المناسب ،وأكثر من ذلك فان بعض القوى ظلت تسير في ذات الطريق وكأن شيئـا لـم يحـدث .

وعلى أى حال فانه قبل الاتفاقية وبعدها كان يتوجب حل الخلاف القائم في فتح وسوريا .وبعد الرحيل عن طرابلس وابعاد آلاف جدد من المقاتلين الى المنافي ، وانتفاء امكانية وقوع تصادم عسكرى جديد ،يعود السؤال يطرح بقوة أكبر وماذا بعد ؟!.

ليست هناك ضرورة للتذكير بأنه باخراج آلاف المقاتلين الجدد من ساحة الصراع ،دون حل للخلاف ،يعني اسقاط طرف في النزاع لوسيلة الكفاح المسلح والاقتصار على العمـل السياسي ،بما يعنيه ذلك من انتقاله الى موقع آخر. لكن ذلك وحده ليس بالامر الخطير .

هناك مؤشرات مقلقة الطبيعة ومنهج العمل السياسي المقبل .منهاالاصرارعلى الحديث عن ضرورة استئناف الحوار الاردني الفلسطيني وعن الكونفدرالية ،دون تحديد للقاعده التي سيجرى عليها هذا الحوار أو الطريق المؤديه للوصول للكونفدرالية ،في وقت يعلـن الاردن فيه بكل الوضوح التزامه بمشروع ريغان ، واستعداده للدخول في مفاوضات مـع اسرائيل على أساسه ومنها استمرار عملية الغزل مع النظام المصرى الملتزم بكامب ديفيـد

Digitized by Birzeit University Library

ومشروع ريغان ، ومنها محاولات التقرب من النظام العراقي .. ومنها السكوت عن تحركات زلم الاردن في الارض المحتلة ومشاريع توطين اللاجئين بمشاركة أمريكيه..وغيرها كثير .

ما الذى يعنيه ،وبعد توقيع اتفاقية التعاون الاستراتيجي بين واشنطن وتل أبيب ، الاستمرار في تغذية الاوهام بامكانية حدوث ضغط امريكي على اسرائيل لتجميد الاستيطان ، والحديث عن جوانب ايجابية في مشروع ريغان. واحتمال تنازل اسرائيل عن شيء للاردن بدواعي حفظ ماء وجه الرجعية العربية .. وغيره وغيره ..

هل يحتاج المرء للخوض في التفاصيل والتذكير بأن الشراكه الجديدة بين واشنطن وتل أبيب ،قسمت الارباح بحيث تحصل اسرائيل على كل مطالبها في التوسع الاقليمي وفتح أبواب الاسواق العربية أمام منتوجاتها ... الخ ؟! هل هناك ضرورة لطرح السؤال ما الذى تعنيه الضفة الغربية أو قطاع غزه في حسابات الاستراتيجية الامريكية حتى تغضب اسرائيل بالضغط عليها لاعادتها لانظمة رضيت لنفسها القيام بدور خادم الشريكين ؟!.

ان الرفض الامريكي لاى تغيير في صيغة اتفاق الاذعان اللبناني الاسرائيلي ،ونزولا عند الطلب الاسرائيلي ،يجب أن يكون مقنعا بما فيه الكفاية. فالشعب اللبناني لا يطالب اسرائيل بتفكيك مستوطناتها والرحيل عن أرض تدعي ملكيتها التاريخية.والولايات المتحدة عادت للتركيز على مطالبها قبل اندلاع معارك الشوف وفي تعارض تام مع ما توصل اليه مؤتمر الحوار في جنيف الذى اعقب تلك المعارك ودعمت تلك المطالب باشراك البارجة نيوجيرسي في قصف المواقع الوطنية اللبنانية .

لا يريد المرء استباق الاحداث وافساح المجال لسوء الظن ،فالاستنتاج بأن حصيلة ما تقدم تعني انسجاما مع مشروع ريغان وتسليما بمطالب فرض "السلام والاستقرار" الامريكي في المنطقة وكما اتفق عليه في اتفاقية التعاون الاستراتيجي . ذلك خطير وبدل ذلك على المرء أن يتمنى أن آلام طرابلس هي سبب مثل تلك التصريحات والمواقف ، وأن الامور ستعود الى مجاريها الطبيعية بعد الاستقرار في الاماكن الجديدة .

واذا خرجنا من دائرة التمنيات ومن دائرة سوء الظن والقلق لا يمكن تلافي مواجهة السؤال عن مصير منظمة التحرير ،وموقعها في النضال ضد اتفاقية التعاون الاستراتيجي ومجمل المخطط الامبريالي .

ومن البداية يمكن القول أنه بات من غير الممكن ابقاء الحال على ما هو عليه الان . فالاستمرارفيه أو الاتجاه نحو اعادة تشكيل مؤسسات المنظمة على اساس استبعاد التنظيمات التي توصف بأنها غير مستقلة القرار يعني التضحية بوحدة المنظمة .ذلك يقود الى منظمة موجودة بقواتها العسكرية في الصف المواجه للاتفاقية والمخطط الامريكي ،وأخرى لا مكان لها

Digitized by Birzeit University Library

غير حضن الرجعية العربية ،التي بعد الترحيب ، ستنزف مصداقيتها الى آخر قطره ،ثم تقذف بها الى احدى زوايا النسيان .

وبعد كل الذى جرى ،وبعد توقيع اتفاقية التعاون الاستراتيجي ظلت نقطة البدء في المحافظة على القضية الفلسطينية ،وصيانة المكتسبات السياسية ،التي تحققت فأنها من الدم والدموع ،في المحافظة على وحدة فاعلة لمنظمة التحرير الفلسطينية .ومثل هذه الوحدة لا تتحقق باطلاق عبارات الحرص عليها بل بالافعال الجاده من أجلها ، وبغير ذلك يصير الحديث عن وحدانية التمثيل واستقلالية القرار نوعا من اللغو الفارغ للتغطية على التفريط العملي بتلك الوحدانية والاستقلالية .

يجب ويمكن مواجهة اتفاقية التعاون الاستراتيجي وافشال كامل المخطط الامبريالي بوحدة فعلية لكل الفصائل ،وحدة تضمن وتحافظ على السجل النضالي لمنظمة التحرير في صف قوى التقدم والحركة والسلام وضد صف اعداء الشعوب صانعي التوتر والعدوان .

Digitized by Birzeit University Library

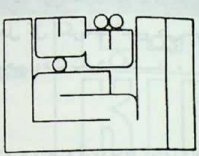

في ذكرى الدكتور البديري

أحد الجذور الوطنية الفلسطينية

بقلم : جميل السلحوت

في الخامس من كانون أول الماضي شيعت المناطق المحتلة علما بارزا من أعلام النضال الوطني الفلسطيني الدكتور خليل موسى البديرى . ذاك الرجل الذى مات وهو يمشي وما انحنى يوما الا لخدمة أبناء شعبه ووطنه.لقد رأى الدكتور خليل البديرى الطريق الصحيح لتخليص وطنه وشعبه فآمن بالاشتراكية العلمية واتخذها منهجا ومسكنا في حياته منذ نعومة أظفاره،في وقت كان فيه مثل هذا الايمان جريمة في مجتمعنا يعاقب عليها القانون والمجتمع . تماما مثلما نما فقيدنا منذ صباه على خدمة قضايا شعبه ووطنه المصيرية،واذا كان الانسان يخلد على هذه الارض بأعماله الحميدة فان أعمال فقيدنا تكاد لا تحصى فقد حضر المؤتمر السورى بصحبة ابن عمه كامل البديرى في مدينة دمشق عام ١٩١٩ واذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان الفقيد من مواليد عام ١٩٠٦ نرى أنه ولد وحب الوطن يسرى في دمائه.كما أنه عمل في تحرير جريدة "الصباح" التي صدرت عام ١٩٢١ كناطق باسم اللجنة العربية العليا. والدكتور البديرى الذى يعتبر من الرعيل الاول من أطباء فلسطين ومفكريها في هذا القرن لم يؤمن فقط بضرورة تحرير الوطن بل آمن أيضا بضرورة تحرير الانسان من عبودية أخيه الانسان ومن هنا ينبع ايمانه بالاشتراكية العلميـــة .

Digitized by Birzeit University Library

واذا كان الفقيد قد تذكر في كتابه "تاريخ ما أغفله التاريخ، ستة وستون عاما مع الحركة الوطنية الفلسطينية وفيها "الذى صدر عن منشورات صلاح الدين في أوائل عام ١٩٨٢ جزءا من سيرته الذاتية النضالية وسجل فيها بعضا من تاريخ شعبنا وأمتنا ووطننا فانه لم يسجل كل ذكرياته ونأمل أن لا يكون الموت قد اختطفه وهو لم يسجل كل ذكرياته التي هي جزء من تاريخ شعبنا وأمتنا والتي لم يرد نشرها هذه الايام لانه لم يحن وقت نشرها بعـــد .

ان فقيدنا الذى لم يثنه ضعف قلبه عن متابعة قضايا شعبه ووطنه ليعدحقا معلما للاجيال الحالية فهو يهدى مذكراته "الى طلابنا وطالباتنا ،وتلاميذنا وتلميذاتنا البواسل الذين ينيرون لنا طريق الخلاص وسبل العمل، ويجيبون على سؤال : ما العمل ؟" وسؤال فقيدنا أطلقه من قبل قائد الثورة البلشفية في روسيا فلاديمير ايليتش لينين .كما أن مآسي شعبه وقضاياه المصيرية كانت شغله الشاغل فقد حدثنا بأسى بالغ قبل وفاته بيوم واحد عن الخسارة الفادحة التي تلحق بشعبنا نتيجة للاقتتال في طرابلس عاصمة الشمال اللبناني، وكان يبدى تخوفه على مصير منظمة التحريـر الفلسطينية .

ان طموحات الفقيد بالتحرر الوطني والقومي والاجتماعي ستبقى أمانة في أعناق الاجيال القادمة من أبناء شعبنا وأمتنا وهذه ستكون أعظم وفاء لذكرى الفقيد الراحل .

Digitized by Birzeit University Library

سوسيولوجيا "مديح الظل العالي"

هي ساعة للانهيار
هي ساعة لوضوحنا

بقلم : د . اياد البرغوثي ـ جامعة النجاح الوطنية

"ان احسن الطلائع لا تعبر سوى عن وعي وارادة ومعاناة وخيال عشرات آلاف الناس ولكن الثورة تحقق في لحظة نهوضا خاصا وحشدا خاصا لسائر المواهب البشرية عبروعي وارادة ومعاناة وخيال ملايين البشر الذين يدفعهم الصراع العنيف الى الامام ".

لا شك ان سوسيولوجيا الادب تشكل فرعا هاما من فروع علم الاجتماع من حيث ان الادب ما هو الا انعكاس جدلي للواقع الموضوعي .وهو اى الادب ـ شكل من أشكال الوعي الفردى الذى هو بدوره جزء من الوعي الاجتماعي ، فالممارسة الاجتماعية والتجربة الاجتماعية تنعكسان وتبدوان في لغة الناس ومفاهيمهم وادبهم وابداعهم الفكرى كله .فللادب بالاضافة الى تحديد واقع اجتماعي معين وظيفة دعائية من حيث ان الطبقة الحاكمة تطمح بمساعدته لفرض مفاهيمها الفلسفية والسياسية والحقوقية والاخلاقية والايديولوجية اجمالا على سائر الطبقات والفئات الاجتماعية الاخرى للتحديد "اللاواعي" لسلوك البشر وتصرفاتهم.ان الادب يساعد على التأثير الواعي لفئات اجتماعية معينة على فئات اجتماعية اخرى ،أى انه يساعد تربويا من أجل حقن هذه الفئات بجرعات سيكولوجية واجتماعية معينة تؤثر في أمزجة وعواطف واتجاهات وعادات وتقاليد مجموعة من البشر لخدمة الفئات المؤثرة .

من هنا كان لا بد أن ننتبه ، نحن مدرسي علم الاجتماع في جامعة النجاح الوطنية لتدريس مادة سوسيولوجيا الادب لطلبتنا ،وخاصة سوسيولوجيا الادب الفلسطيني.لانه يعبر عن واقعنا من ناحية ،ولغزارته ولاهميته في فهم ادبنا من خلال السوسيولجيا ،وفي فهم واقعنا الاجتماعي من خلال أدبنا ، " فنادرا مايسطوا الوطن كما يسطوا على أدب الفلسطينيين كما كتب محمود درويش نفسه .

Digitized by Birzeit University Library

لقد كتبت في ورقة مختصرة مقدمة الى الملتقى الفكري العربي بالقدس حول ادبنا المحلي "بأن الادب يكون طليعيا حقا لا عندما يعكس الواقع فحسب بل عندما يقدم رؤيا رحبه لافاقه كلها فيسهم بذلك في دفع حركة تطوره باتجاه تحرر الانسان وتقدمه. هذا هو الدور الحقيقي للادب، وكل تطور جاد له لا يمكن ان يكون الا في هذا الاتجاه. من هذا المنطلق فان نضج الادب الفلسطيني المعاصر مرتبط بقدرة ادبائنا ـ بالمفهوم العلمي للكلمة ـ على التفاعل مع حركة الواقع الاجتماعي والتوصل الى أعلى درجات التلاحم معها. فادبنا ما زال يفتقر الى المقدرة والذكاء للمزج بين المعالجة الوطنية والمعالجة الاجتماعية معا.

في مثل هذه الايام وقبل عشر سنوات فارق الحياة طه حسين عميد الادب العربي. كل شيء صامت، حتى التلفزيون الذي تصمت كل الاشياء ولا يصمت صمت، الصحف التي لا تترك شيئا تركت طه حسين، والحكومات التي لا تترك مناسبة للاحتفال نسيت الاحتفال بذكرى طه حسين مع ان طه حسين لا يشكل ـ خاصة بعد وفاته بعشر سنوات ـ خطرا على أمن الانظمة وأمن العواصم. هذا ما يجرى عندنا، أما عند غيرنا فالامور تختلف، فشكسبير ما زال مهما بالنسبة للانجليز رسميين وعاديين: وتعرض مسرحياته وتقرأ كتبه. ويحتفل بكافة مناسباته حتى الان رغم الفارق الزمني الكبير، مع ان شكسبير ليس عضوا في حزب المحافظين البريطاني، ولا صديقا شخصيا لزوج مارغريت تاتشر او لمارغريت تاتشر نفسها. وبوشكين ما زال يقرأ ويحتفل به في وطنه الاتحاد السوفياتي. وكذلك ابن سينا الذي عمل له احتفالا بمناسبة الذكرى الالف لميلاده في جمهورية اوزبكستان السوفياتية مع أن بوشكين وابن سينا ليسا اعضاء في الحزب الشيوعي السوفياتي. ولا هما من المقربين الى البلاشفة "البيروقراطيين" الحاكمين في موسكو، وفي ألمانيا الديمقراطية يحتفلون بذكرى مارتن لوثر المصلح الديني القديم رغم ان الالحاد هو احد ركائز الايديولوجية هناك.

لماذا يحدث هكذا عندنا ؟ ننسى طه حسين بعد عشر سنوات، وحتى أكون صادقا ودقيقا فلقد كتب صلاح عيسى مقالا عن ذلك في جريدة "الاهالي" القاهرية. لماذا ضيق افق الطبقات المتنفذة في بلداننا بينما يتسع صدر الحكام السوفيات لابن سينا وصدر مارغريت تاتشر لشكسبير وغيره ؟ هذا ما يجب على سوسيولوجيا الادب معالجتـــه.

لقد أدى تحقيق الاستقلال الوطني الى الاسراع في عملية تشكيل "أدب محلي في البلدان النامية، الا أن عمالقة مثل محمود درويش خطوا خطوات كبيرة في هذا المجال حتى قبل تحقيق الاستقلال الوطني الفلسطيني.

وما يميز ادب الكثير من البلدان النامية العكس الواضح لاتجاه معاداة الامبريالية والاقطاع والرأسمالية، وانتاج الكتاب التقدميين والنشاط الاجتماعي الكبير لنشطائهم الذين يعملون بلا كلل من أجل تطوير التحولات الاجتماعية التقدمية الى الامام. والى جانب التحديث في أدب البلدان النامية تنشط ايضا وخاصة في السنوات الاخيرة الافكار التقليدية التي تخدم اهداف اجتماعية ـ طبقية رجعية تحت اسم "الحفاظ على الاصالة والنقاء" وعدم "استيراد" الافكار والتقاليد "الاجنبية".

Digitized by Birzeit University Library

ان جبهة الادب تعتبر واحدة من أهم الجبهات في النضال الذى تخوضه القوى التقدمية خاصة في البلدان النامية من أجل بناء دول ديمقراطية عتيدة، ومن أجل التقدم الاجتماعي. وفي هذا الصراع يجب على الادباء التقدميين ان يستعينوا بالتجربة النضالية العريقة والواسعة والاصيلة للادب التقدمي في قارات العالم جميعا .

ورغم ان الواقعية تعتبر صفة شبه عامة لادب البلدان النامية الا أنها ترتبط في الكثير من الاحيان باهداف ورموز طوباوية ، كذلك فان الكتابة تقترن بالتقدم غالبا ليس فقط في دول العالم الثالث، بل وفي العالم أجمع ،وتثار فيه بحدة مسألة التقاليد الوطنية والتاريخ الوطني والحياة المعاصرة لاغلبية الجماهير . ان الاسماء التي لمعت في تاريخ الادب هي نفسها الاسماء التي لمعت في تاريخ النضال التحررى لشعوبها امثال بابلو نيرودا ، ناظم حكمت ، بول ايلوار - اراغون ، مايا كوفسكي ، مكسيم غوركي ، غارسيا ماركيز ، محمود درويش، سميح القاسم ، توفيق زياد وغيرهم ، حيث تتخذ مشكلة " الفرد ـ المجتمع " حده خاصة في كافة اشكال ابداعهم الفكـــرى .

في قصيدة، بل في ملحمة محمود درويش " مديح الظل العالي" نستطيع رصد معالجة شبه كاملة ان لم تكن كاملة للقضية الفلسطينية من حيث حيثياتها الداخلية وابعادها الخارجية عربية كانت ام عالمية، انها اختصار لعلم فلسطيني خاص، انها اجمال لـ PALESTINEOLOGY يجب على مفكرينا البدء به جديا ومتابعته، انها رصد لظاهرة الرحيل الفلسطينية المستمرة في ديناميكية متواصلة نحو استقرار مـــا .

فيركز على قيمة الحركة الفلسطينية ومركزها المتقدم في صفوف حركة التحرر الوطني العربية وطبعا بالم معين ونبرة حزينة واضحـــة

"كنا نقطة التكويـــن ،
كنا وردة السور الطويل وما تبقى من جدار "

كذلك يصف الثورة بانها نقطة البدء في عملية خلق جديد للشعب الفلسطيني فيقسم

"باسم الفدائي الذى يبـــدأ " ،

وهذا البدء لا ينتهي ،فالحركة الفلسطينية مثل حركة أى شعب يناضل من أجل تقرير مصيره في انقسام تكاثرى دائم ، تنتهي خلية لينتج عنها اثنتان وهكذا تنتشر روح الثورة انتشارا مطلقـــا .

"وماذا تبقى منك غير قصيدة الروح المحلق في الدخان قيامة
وقيامة بعد القيامـــة . خـذ نثـارى
وانتصـر فيمـا يمـزق قلبك العالـــي
ويجعلـك انتشـارا للبـــذار ."

وعندما يبدأ محمود درويش بتقييم تجربة بيروت يقول " بأنها تستلزم كتابة جديدة ، لان ما جرى في بيروت هو أكثر من تجربة عادية في تاريخ شعب ، هو أكثر من زلزال. انه انقلاب كامل لكل المفاهيم والافكار وللتكوين البشرى للناس " .اننا نوافق درويش في ان ما جرى في بيروت كان أكثر من تجربة عادية عموديا . عمقا ،انها اكبر وليس أكثر من تجربة

Digitized by Birzeit University Library

عادية اذا اردنا الدقة، ولكنها افقيا ومن حيث الجوهر نفس التجربة ونفس الخيانة ونفس القاتل ونفس الضحية ونفس التآمر ونفس الصمت.

ان نفس اسلوب المتاجرة بالقضية الفلسطينية والمزاودة عليها تكرر اثناء بيروت، وبعدها ويتكرر الان، فتاريخ التآمر عندنا يعيد نفسه مليون مرة، وما زال أى تغيير في العالم العربي ومهما بلغ من التفاهة من " أجل فلسطين " وبسبب " فلسطين " والحرص عليها وعلى شعبها، وما زال شعب فلسطين بالنسبة للانظمة، تلك الدمية العجيبة والحزينة التي يستعملونها للتسول

"وعليك ان تمشي بلا طرق
وراء، أو أماما - أو جنوبا أو شمال
وتحرك الخطوات بالميزان
حين يشاء من وهبوك قيدك
ليزينوك ويأخذوك الى المعارض كي يرى الزوار مجدك
كم كنت وحدك".

ورغم المتاجرة العلنية بالقضية الفلسطينية والتسول" على ظهرها " فانهم ينكرون الشعب الفلسطيني ويتنكرون له ولقضيته. انهم لا يتقنون الا الفرار والخطابة فيحذر شعبه منهم، فيبرز الدور التحريضي للقصيدة.

"فأنكروك لانهم لا يعرفون سوى الخطابة والفرار
هم يسرقون الان جلدك
فاحذر ملامحهم.. وغمدك
كم كنت وحدك، يا ابن امي
يا ابن أكثر من أب
كم كنت وحدك".

ان الدور التحريضي الذى نتكلم عنه ليس ضد الاحتلال الاسرائيلي برأى محمود درويش، وهو محق في ذلك ، بل ضد الانظمة العربية المتآمرة والمرتبطة بالامبريالية وهو هنا ينجح في كشف العمق الطبقي للمأساة الفلسطينية المتكررة

"عرب أطاعوا رومهم
عرب وباعوا روحهم
عرب.... وضاعوا"

ويقول في مكان آخر من الملحمة عن نفس الموضوع – ارتباط الانظمة بالاستعمار – مع التركيز على الدور التربوى للثورة الفلسطينية التي تعلم الكثير لشعوب المنطقة

"دعهم يعبدون عدوهم وقيودهم
دع كل ما ينهار منهارا
ولا تقرأ عليهم أى شيء من كتابك".

Digitized by Birzeit University Library

ويحذر الشعب الفلسطيني منهم وهو يكرر التحذير ،لانه يبدو أن المؤمن يلدغ من نفس الجرح آلاف المـرات

"قد ذبحوك كي يجدوك كرسيا فلا تجلس
لان جميع آلهتي كلاب البحر
فاحذرها ولا تذهب الى القربان
.....
.....
لا تصـــدق
لا تصـــدق
فهي مذبحة

ولا تخمد هجيرك عندما يتقمص السجان شكل الكاهن

ويصف بوضوح واضعا اصبعه على الداء مباشرة

"علمتني الاسماء ،
لـــولا
هذه الدول اللقيطة لم تكن بيروت ثكلى"

ويضيف بسخرية ومرارة رد الفعل العربي الرسمي الاستعراضي والمنحرف عما يفترض أن يكون هدفـه فيقول :

" بعد شهر يلتقي كل الملوك بكل انواع الملوك ،من العقيد
الى الشهيد ،ليبحثوا خطر اليهود على وجود الله ، أمـا
الان ، فالاحـوال هادئـة تمامـا مثلمـا كـانت ".

على ان هذا الوضع الرسمي العربي المأساوي والمخزي،كان يفترض ان يقابل بموقف حاسم وواضح من قبل الثورة الفلسطينية الا انها ترددت كثيرا في الوقوف على قاعدة معينة،وهذا ليس غريبا على أية حال حيث ان ايديولوجية الثورة كانت وما زالت ايديولوجية البرجوازية الصغيرة ـ بلغة الطبقات ـ وهذا ناتج عن طبيعة تركيباتها الفكرية والتنظيمية .

" يجب الذهاب الى اليسار
يجب التوغل في اليميـــن
يجب التمترس فـي الوسـط
يجب الدفاع عـــن الغلـط
يجب التشكك بـالمسـار
يجب الخروج من اليقيـــن
يجب الـــذى يجـــب ".

هذا الوضع ،المأساة الرهيبة، المؤامرات الرهيبة،التردد الذاتي،كان سببا في غلبة التشاؤم عند محمود درويش، فكان البحر وكـان القحط وكانت الصحـراء .

Digitized by Birzeit University Library

"هذه الصحراء تكبر حولنا
صحـراء مـن كل الجهات
صحراء تأتينا لتلتهم القصيدة والحساما"

ورغم مرارة الالم وحدة التشاؤم نجد في الافق تفاؤلا حادا ايضا ،تفاؤلا ضروريا ، تفاؤلا براغماتيا وربما تفاؤلا ساذجا في بعض الاحيان ،فيقول درويش : " كان احساسي بأن الحياة لا الموت هي المصادفة .فالموت امتلك الحق في الكلام ،برا وبحرا وجوا .... لا بد لهذا الدم ان يحرك شيئا في هذا السكون .وان يكون شاهدا على عصر يموت"،هنا يبدو التفاؤل الغيبي ،بينما لا يخلو الامر من تفاؤل نضالـــي

"أنا اول القتلى وآخر من يموت"

كذلك يقـــول

"كل اسئلة الوجود وراء ظلك مهرلـة
والكون دفتـرك الصغيـــر
وانت خالقـــة ."

فلن يموت الشعب ،ولن تموت حركته ،بل انها حركة هبوط في محصلتها حركة الى الامام ، انها حركة التاريخ ماركسيـا .

"هي هجـرة اخـرى...
فلا تكتب وصيتك الاخيرة والسلاما
سقط السقوط وانت تعلـو
فكـــرة
ويـــدا
و... شامـا."

ويصل محمود درويش الى الحالة الاجتماعية الاقتصادية التي أوصلتنا الى مثل هذا التردي ،فالتقدم غير الطبيعي ،الانتفاخ المصطنع ،التضخم غير الموضوعي المجتمع الاستهلاكي ،كل ذلك كان سببا لما نحن فيه ،ففي احدى المقابلات معه يصف محمود الوضع بقولـه :

" اننا مدعوون وبشكل ملح لاعادة النظر بكل ما يحكم أفكارنا من نظام لا لاستبداله بعكسه بل لفهم لغة طبيعة هذا الانهيار ،فنحن الان في لحظة الانهيار الشامل .ولا يمكن بالتالي ان نكون منهارين عسكريا دون ان نكون منهارين ثقافيا...نحن فعلا خطر على الامن العربي الرسمي العام ،خطر على الامن الاستهلاكي ،لانه وضع استبعد كليا افكار الحرية والاستقلال والتحرر والديمقراطية والعدل الاجتماعي" ، فعلا اننا مع محمود درويش بان الثورة خطر على الامن العربي الرسمي ،وخطر على الامن الاستهلاكي ،وخطر على الكومبرادور والطفيليين الذين يخلقهم المجتمع الاستهلاكي ويخلقونه ،ان الثورة خطر ماحق لكل هؤلاء الا اذا اصبحت

Digitized by Birzeit University Library

الثورة رسمية ،واصبحت جزءا من هذا المجتمع يصنعها وتصنعه ،يحافظ على وجودها وتبرر له وجوده ،وهنا – وهذا الخطر الاكبر – تصبح معدة الثوار وعقلهم وارضهم محتلة على حد تعبير درويش فيحدث ببساطة أن يتوقفوا عن كونهم ثوارا .

"نم ساعة ، نم يا حبيبي
كي نصفق لاغتصاب نسائنا في شارع الشرف التجاري"

ويكتب أيضـــا

"تعبنا من نظام الغار
من مطر الانابيب الرتيب
ومن صعود الكهرباء الى الغرف
حريتي فوضاى ،انـي أعتـرف

على أن هذا الوضع المحبط في الكثير من الاحيان لم يمنع محمود درويش من أن يقدم الشعب الفلسطيني والثائر الفلسطيني كرمـز للوطنيـــة والتضحيـــة

"غمسي باسمي زهورك وانثريها فوق من يمشي على جثتي
لينتعش السراى
لا تسحبيني من بقاياك ،اسحبيني من يدى ومن هواى
ولا تلوميني ،ولومي من رآني سائرا كالعنكبوت على خطاى".

ويقول أيضـــا

القمح مر في حقول الاخريـــن
والمـاء مالـــح
والغيم فولاذ ،وهذا النـجم جارح
وعليك ان تحيا وان تحيـــا
وان تعطي مقابل حبة الزيتون جلدك
كم كنت وحـــدك

"ضحيـــة
قتلـــت
ضحيتهـا
وكانت لي هويتهـا

Digitized by Birzeit University Library

انادى أشعيا اخرج من الكتب القديمة مثلما خرجوا ،
أزقة اورشليم تعلق اللحم الفلسطيني فوق مطالع العهد
القديم ونرى ان الضحية لم تغير جلدها
يـا أشعيـا .. لا تـرث
بل اهج المدينة كي احبك مرتين
واعلن التقوى
واغفر لليهود الصبي بكاءه
اختلطت شخوص المسرح الدموى
لا قاض سوى القتلـى .

وبعد فترة وجيزة ،يخرج المقتول من بين التراب ،لايصبح انسانا عاديا يعيش مثل غيره بل ليخرج معه كل الحقد الدفين ،كل الشر في العالم ،يخرج نرجسيا يمارس على بقية الناس ما مورس ضـده عشرات السنيـن

يخرج الغاشي من جسد الضحيـة
يرتدى فصلا من التلمود : اقتل ـ كي تكون
عشرين قرنا كان ينتظر الجنون
عشرين قرنا كان سفاحا معمـم
عشرين قرنا كان يبكي .. كان يبكي
كان يخفي سيفه في دمعتـه
أو كان يحشو بالـدموع البندقية

والشاعر يجند كل شيء ،كل مفهوم ،كل قصة دينية ،كل حادثة تاريخية ،ليصور عمق مأساة شعبه وعمق عدالة قضيته ، فيأتي الوصف الاغريقي لرحيل الاله الفلسطيني واستقراره في اللا مكان ،ولكن رغم الاسطورة الاغريقية فان شاعرنا لا يقع في العدمية القومية ،لا ينتكر لعروبته رغم ان هذا الشعور منتشر الان فى الكثير من المدارس الفكرية في اوروبا الغربية وعند مختلف المدارس الفلسفية ـ الدينية في الشرق

ويبدو جدل الدين والالحاد جدل الثقة والكفر ،جدل التفاؤل والتشاؤم باسلوب تاريخي معبر وتعابير دينية فللتآمر تاريخ ،وللنضال تاريخ .

"لست آدم كي أقول خرجت من بيروت منتصرا على الدنيا
ومنهزما أمـام اللـه"

ويقول أيضـا

"أم نحتل مئذنة ونعلن في القبائل ان يثرب اجرت قرآنها
ليهود خيبر ؟
اللـه اكبـر

Digitized by Birzeit University Library

ويقول ،بنفس الاسلوب ،مبينا التحالف بين الاعداء البعيدين والاعداء القريبين

"اليوم أكملت الرسالـــة
فانشروني ،ان اردتم ،في القبائل توبة
او ذكريـــات
او شراعـــا....
.....
والان أكملنا رسالتنا
اذا اتحد الشقيق مع العدو
ولم نجد ارضا نصوب فوقها
دمنـــا
ونرفعه قلاعـــا
يا أهل لبنان الوداعـــا".

ويمزج درويش الدين بالنفط باسلوب نوابي ليعالج ظاهرة "النفتو دين" واخلاقيات ما يسمى بالبرجوازية النفطية ،فالدين يستعمله النفطيون لتغليف أعمالهم من ناحية ويستعمله الغرب للتسلل الى عقول الشعوب العربية.

"كم عرب اتوك ليصبحوا عربـا
وكم عرب اتاك ليدخل الاسلام من باب الصلاة على النبي ،
وسنة النفط المقدس ؟ كم سنة
وانا اصدق ان لي امما ستتبعني
وانك تكذبين على الطبيعة والمسدس ،كم سنة؟".

ويصل درويش ـ لظروف شعبه الخاصة ـ ولمعاناته التي هي معاناة شعب الى قمة الاستيعاب الديني ،الالحاد ،معلنا ان الذى يغير الاشياء اناس على الارض مصممون على التغيير

"هذه اياتنا فاقرأ
باسم الفدائي الذى خلق
من جزمة افقا
.....
.....
يا خالقي في هذه الساعات من عدم تجل
لعل لي ربا لاعبده
لعـــل ؟".

كل هذه الامور يثيرها محمود درويش باسلوب ديالكتيكي يظهر الصراع والوحدة،الاخذ والعطاء ،ويجسد الظواهر عبر الزمان والمكان لتبدو التضحية الفلسطينية والانتحار العربي

Digitized by Birzeit University Library

الرسمي ظواهـر ماديـــة

"وبيروت المكان مسدسي الباقي ،
وبيروت الزمان هوية الان المضرج بالدخان"

.....

لا ليس منفى
لاقول لي وطـن
اللـه يا زمـن
.....
وطني حقيبة
وحقيبتي وطني
ولكـن .. لا رصيـف
ولا جـــدار
.....
.....
ومـن لا بر لـه
لا بحـــر لـــه

ويبدى محمود درويش ديالكتيك الحب واللا حب مع بيروت فيقول :

"أنا لا أحبـــك
كم أحبك ،كم أحبك ،كم سنة
اعطيتني وأخذت عمري ،كم سنة
وأنا أسميك الوداع ،ولا أودع غير نفسي"

يضع محمود درويش يده على الداء خارجيا بعد أن كـــان قد حصره داخليا بالانظمة. خارجيا أمريكا – وبكل وضوح – هي الداء ،وهي سبب كل المشاكل .والمثير للسخرية والالم اننا رسميا وشعبيا مع امريكا ،اننا محتلين ثقافيا ونفسيا واخلاقيا بأمريكا .

" وامريكا على الاسوار تهدى كل طفل لعبة للموت عنقودية يـا
هيروشيما العاشق العربي امريكا هي الطاعـون والطاعـــون
والطاعـــون امريكـــا ....
لامريكا سنحني ظلنـا ونشخ مزيكـــا

ورغم تحديد الداء بامريكا الا ان عمق التضحية ،كبر المأساة ،السوداوية الرهيبة التي لفت الشاعر كفرد وكقضية أوقعته في وضع يشتم فيه الجميع احيانا ،فيتحدث عن الوجدانية الفلسطينية امام القتل العام ،ولكننا نجد تبريرا لذلك في القصيدة نفسها عندما يقول :

" قد يخمش الغرقى بدا تمتد
كي تحمي من الغرق ".

Digitized by Birzeit University Library

الا أن تحالف لبنان وفلسطين عند محمود درويش يبقى الشيء الوحيد الثابت، ويبقى رمزا لوحدة حركة التحرر الوطني العربية، يبقيان معا حين التقدم للامام ومعا حين يرجعان للخلف، ويستمران مصدرا وحيدا ـ بالنسبة له ـ للتفاؤل.

"جسدان في تابوت هذا الشرق نحن
يزودان المرود النسي بالصرخات،
نحن بشارة الميلاد نحن
وصورتان لخطوة قد حاولت
قد حاولت
قد حاولت
ان تهدى الشرق المشاعا
يا أهل لبنان.... الوداعا
ويستفسر بطريق يحزن فيها لموت اللبنانيين
أتعرف من أنا حتى تموت نهاية عني

ثم ينتقل درويش الى التعامل مع علم النفس الاجتماعي وعلم الطبقات والانثروبولوجيا لخدمة قضيته، فمن ناحية يرثى للوضع النفسي للاسرائيليين الذين يعانون على طريقتهم الخاصة ـ من وضع نفسي لا يحتمل

"يغصفون مقابر الشهداء، يدثرون بالفولاذ، يضطجعون مع
فتياتهم، يتزوجون، يطلقون، يسافرون، ويولدون،
ويعملون، ويقطعون العمر في دبابة.."

ويتضح فهم محمود درويش الطبقي في كل اجزاء "ملحمته" مديح الظل العالي، ان كلامه عن المجتمعات الطبقية انما ينم عن استيعاب كامل لمختلف اشكال التشكيلات الاجتماعية ـ الاقتصادية، كذلك فهو يتكلم عن الدور الطبقي القمعي للجيش عندنا وتاريخيا

"والايديولوجيا مهنة البوليس في الدول القوية
من نظام الرق في روما
الى منع الكحول آفة الاحزاب في ليبيا الحديثة".

وعند تحديد السبب الرئيسي موضوعيا للمأساة الفلسطينية ـ أمريكا ـ فان الشاعر، وبطريقة تحريضية وتعبوية يستخدم عادات وقضايا اجتماعية حساسة وهامة، انه تسخير اجتماعي لخدمة هدف سياسي.

"ليبذل الروساء جهدا عند أمريكا لتفرج عن مياه الشرب.
كيف سنغسل الموتى ؟"

Digitized by Birzeit University Library

.....

أمريكا وراء الباب امريكا ونمشي في الشوارع باحثين
عن السلامة ،من سيدفننا اذا متنا ."

ومن خلال معرفة درويش بان اهتمام الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية الان منصب على تقرير المصير بانشاء دولة مستقلة،ورغم ان الدولة اصبحت طموحا مثاليا في الكثير من الاحيان ،الا أنه لا يغفل عن معالجة ظاهرة الدولةسوسيولوجيا ،بصفتها اداة طبقية بمختلف أجهزتها .

ماذا تريد ؟
وانت من أسطورة تمشي الى اسطورة علما ؟
وماذا تنفع الاعلام ...
هل حمت المدينة من شظايا قنبلة
ماذا تريد ؟
جريدة ؟
أتفتش الاوراق دوريا
وتعزل سنبله ؟
ماذا تريد
أشرطة ؟
هل يعرف البوليسي اين ستحبل الارض الصغيرة بالرياح
المقبلة ؟
ماذا تريد ،
سيارة فوق الرماد ؟ وانت سيد روحنا يا سيد الكينونه
المتحولة ؟

على ان الدولة تبقى طموحا فلسطينيا لانها الهوية التي تضع الشعب الفلسطيني في مكانة مرموقة بين شعوب العالم

ويسأل صاحبي : واذا استجابت للضغوط فهل سيسفر
موتنا عن : دولة
أم خيمة ؟
قلت : انتظر ؟ لا فرق بين الرايتين
قلت : انتظر حتى تصب الطائرات جحيمها ؟

وهو مصر على ان يبقى اسلوبه ديالكتيكيا بعيدا عن الميكافيلية والبراجماتية والمنهج الوظيفي ، فيعالج الامور معالجة اخلاقية وانسانية فيخرج الشعب الفلسطيني وقد انتصر اخلاقيا بينما خسرت اسرائيل كل شيء في أكبر هزيمة اخلاقية على حد تعبيره .

Digitized by Birzeit University Library

وتكسي ظلال الوحدة الرهيبة والوحشة والغموض والامتداد اللامتناهي والعمق السحيق والبحر والخوف والشجاعة قصيدة محمود درويش

كم كنت وحدي يا ابن امي
يا ابن أكثر من أب
كم كنت وحـــدك
.....
.....
وحدى ادافع عن جدار ليس لي
وحدى ادافع عن هواء ليس لي
وحدى على سطح المدينة واقفا
ايوب مات ،وماتت العنقاء ،وانصرف الصحابة
وحدى ، اراود نفسي الثكلى فتأبى ان تساعدني على نفسي
ووحـــدى
كنت وحـدى
عندما قاومت وحدى
وحدة الروح الاخيرة

ان أجزاء كبيرة من القصيدة قد كرست للحديث عن التفرد الفلسطيني عن الوحدة الفلسطينية ،هذا الوضع الذى يبدو للكثير من الفلسطينيين امرا واقعا ، بل امرا مكتوبا ، فلا بد أن يبقى الفلسطيني وحيدا كإله

وحدنا ،والله فينا وحدنا
الله فينا قد تجلـــى

ويلقي محمود درويش الضوء على أنه حيث وجد صراع ما ،ديناميكية ما فانه الى جانب الاصالة يكمن تحريف ما ، تشويه من نوع معين ،غالبا ما يأخذ شكله الايديولوجي .هذا التشويه ديناميكي ايضا يتغير حسب طبيعة الصراع وحسب طبيعة المرحلة ،ويأخذ في الحسبان ثقافة الشعب المعني وطموحاته واخلاقياته من هنا تجلى التزييف حاليا باتخاذ شكل ديني يكون سندا للانظمة ومبررا لتراجعاتها

قصب هياكلنا
وعروشنا قصب
في كل مئذنـــة
حاو ومغتصـــب
يدعو لا نـــدلس
ان حوصرت حلب

فمحمود درويش يصف المرحلة التي يحياها شعبه بصدق ،مرحلة السوق ،مرحلة

Digitized by Birzeit University Library

الاستهلاك ،مرحلة البترودولار ،مرحلة التضخم الطفيلي ،مرحلة البيروقراطية الرهيبة ،مرحلة المتاجرة بالشعارات والدين ،مرحلة الخيانة المكشوفة .ولكن محمود الشعب والفرد يبقى مناضلا عكس هذا التيار الجارف ،وحائا على السير

فاذهـــب ....

فليس لك المكان ولا العروش / المزبلة

حرية التكوين انت

وخالق الطرقات انت

وانت عكس المرحلـة

نعم فالفلسطينيون عكس المرحلة ،مرحلة المد الرجعي ،ومرحلة الازمة المستعصية في حركة التحرر الوطني العربية ومرحلة الرحيل الفلسطيني المستمر حيث لا وطن ولا منفى ولا حدود .

ان الرحيل الفلسطيني ،هذه الظاهرة الفلسطينية ،تعالج بملحمية في قصيدة محمود درويش " مديح الظل العالي" ، التي اتت ــ وبدون مبالغة او تحيز ــ على مستوى الالياذة والاوذيسة وكافة الملاحم التي سجلت في التاريخ ولن تمحى ، لانها عبرت عن ارادة شعبية ، فمحمود ليس فردا موهوبا ولا فردا مناضلا بل هو شعب موهوب وشعب مناضل .انه انسان من نوع خاص لانه ابن شعب من نوع خاص ،يتحمل مأساة من نوع خاص ويواجه هذه المأساة بطريقته الخاصة ايضا . من هنا ،وعندما يقول محمود "ما زلت حيا ــ ألف شكر للمصادفة السعيدة" نقول فعلا ، الف شكر للمصادفة السعيدة،التي ابقت عليك حيا يا محمود حتى تساهم في نشر ابداع شعبنا في العالم .

ليس غريبا ان يستحق محمود درويش الجوائز العالمية وينالها ،ولكن الغريب منتهى الغرابة ،ان لاينال شعب محمود درويش جائزتة في الاستقلال الوطني حتى الان .

Digitized by Birzeit University Library

سوسيولوجيا سياسية

السلطة والقرابة في قرية فلسطينية (قرية كوبر)

بقلم: حسين جميل البرغوثي

(تنويه : قدم هذا البحث للمؤتمر الدولي الثاني للمجتمع الريفي في الشرق الاوسط . والذى عقد في تشرين أول ١٩٨٣ م في جامعة بيرزيت) وتقوم " الكاتب " بنشره على حلقتين . .

الحلقة الاولى

نظام القرابة والسلطة في كوبر

الموقع الجغرافي

تقع كوبرفي قضاء رام الله (الضفة الغربية) في سلسلة الجبال التي تطل على ساحل البحر الابيض، ويصلها برام الله والقدس طريق معبد عام تقع في آخره . ومصادر الشرب كانت حتى سنة ١٩٦٠ من العيون والينابيع البرية المتناثرة في الجبال المجاورة ،وقد اكتسبت هذه الينابيع قيمتها من "التعزيب" أى انتقال الفلاحين للسكن شبه الدائم في حقولهم وبالاخص في الصيف ، ومن رعاة المواشي الذين اعتمدوا عليها ،ومن قلة الماء النسبية وبالاخص في الصيف . العين الرئيسية تقع على رأس جبل يقع الى الشرق من القرية، تجمع مياهها في خزان ثم تنتقل بالمواسير الى سفح الجبل الذى تقع عليه القرية. منذ سنة ١٩٦٠ حفرت آبار كثيرة لتجميع مياه المطر وهجرت العين الرئيسية بشكل شبه كلي .

تقع "القرية القديمة" على رأس جبل وتبدو من بعيد كالعمامة، ويرد البعض سبب التقوقع الى العوامل الجغرافية كالطبيعة الجبلية للمنطقة.بحيث أجبر الفلاحون على بناء البيوت المتلاصقة ،وهذا انتج قرية تشبه القلعة. واخرون يردون هذا الى وجود الاراضي الخصبة حول القرية مما يمنع امتداد البناء فوق اقرب الاراضي واخصبها ، او الى غزوات

Digitized by Birzeit University Library

البدو والمنازعات الحمائلية مما ينتج التقوقع لتسهيل الدفاع. ولكن هذه التفسيرات غير مقنعة. اولا : لان العوامل الجغرافية تكون مهمة فقط ضمن علاقتها بمستوى تطور قوى الانتاج. فلم تكن البيوت تبنى من الاسمنت المسلح بل من "الشيد" والحجارة والخشب، والجدران كانت عريضة جدا وتصل الى متر ونصف، فمواد البناء ترتبط بمستوى تطور القوى المنتجة وبالتالي فالاسمنت وغيره ليس ممكنا الا مع دخول الصناعة الرأسمالية. هذا يعني ان البناء بشكل متلاصق يعني اشتراك عدة بيوت في جدار واحد مما يوفر الكثير من العمل. وثانيا : ان البنية الاجتماعية، وبالذات روابط الدم والحمائلية، تلعب دورا مهماجدا، ليس من الصعب قراءة نظام القرابة في طريقة البناء. تتكون القرية القديمة من مجموعة من "الاحواش"، والحوش عبارة عن بوابة رئيسية تفتح على ساحة، وحول الساحة بيوت متناثرة تشترك في الساحة والبوابة ولكنها منفصلة.* ونظام القرابة يظهر في أن العائلات الممتدة المرتبطة معا بالدم هي التي تسكن الحوش والاحواش المجاورة له. والاحواش تكلف كثيرا من العمل الاجتماعي، واحيانا يضاف الى الحوش عليّة (دار على الطابق الثاني) مما يزيد التكلفة. من هنا فان قلة غنية من الفلاحين تستطيع بناء الحوش. أما القطاع الافقر منهم فيبني "أزقة" أي مجموعة من البيوت الفقيرة الملتصقة بالاحواش، وحتى الازقة منظمة اصلا على اساس روابط الدم، واحيانا تسمى ايضا بالاحواش. واهم برهان على ان علاقة الدم تلعب دورا مركزيا فيظهر في القرية الجديدة التي بنيت بعد تغيرات عميقة في البنية الاجتماعية وبالتالي روابط الدم :

"القرية الجديدة" تمتد غربا وشمالا وحول الطريق العام الذى يربط القرية بالمدينة، فطول القرية يصل الى عدة كيلومترات نتيجة لذلك. هذه القرية الجديدة تطورت بعد سنة ١٩٤٨ (أى بعد تغير عميق في علاقات الانتاج) وتتكون من عائلات نووية، ومبنية من الحجر الابيض او الاسمنت المسلح. ويتكون البناء الجديد اما من تحديث البيوت القديمة، او البناء الجديد حولها، او هجر القرية القديمة والابتعاد عنها ككل. والبناء الجديد تتحكم فيه قوتان : الملكية ونظام القرابة، وبالتالي تشكلت أحيانا مجموعة بيوت تشبه قطف العنب أو clusters يسكنها اقرباء بينهم روابط دم أو نسب وملكية متقاربة للارض. ويظهر دور الملكية بشكل اكبر في طبيعة امتداد القرية الجديدة، فالى الغرب والشمال تتمركز ملكيات مجموعة من الدور تسمى تقليديا "بالفلاحين"، ولم يكن باستطاعتهم الا البناء عليها. اما البلد القديمة فمفصولة عن قسم من الجديدة بملكية مجموعة من الدور تسمى تقليدا "بالبراغثة" رفضوا بيعها او البناء عليها لانها اراض خصبة وقريبة. اما حول الطريق العام فالملكيات متفرقة: قسم اشتراه "الفلاحون" من ملاك أرض من قرية اخرى او من

* يحيط بالساحة عادة سور مغلق امام الخارج والبوابة في السور طبعا.

Digitized by Birzeit University Library

البراغثة ،وقسم بنى عليه البراغثه لانهم يملكونه او اشتروه من براغثة اخرين. هذا يعكس:

١) درجة تحول الارض الى سلعة رغم بقاء الارض قيمة ليس من الواجب التخلي عنها لاسباب كثيرة .

٢) أن الملكية تتحكم بطبيعة البناء بالضبط لان الارض ليست سلعة كاملة بعد .

البنية الاجتماعية :

في القرن التاسع عشر كانت القرية تعتمد على الاقتصاد الطبيعي ،والوحدة الاقتصادية الاجتماعية الاساسية كانت العائلة الواسعة الممتدة .وتسكن هذه العائلة في "حوش" واحد. مجموعة من العائلات الممتدة هذه تكون الدار Dar ، ومجموعة من الدور تكون حمولة مرتبطة بروابط الدم .

تتكون كوبر حاليا من (٦) دور ترتبط بالدم وتسمى تقليديا بالبراغثة، ومن (٦) دور اخرى تسمى تقليديا بالفلاحين ولكنها لا ترتبط معا برابطة دم واحدة.

البراغثة اصلا قدموا الى فلسطين في القرن السادس عشر ضمن موجات القبائل التي كانت تتنقل في العهد العثماني.(١) استوطنوا في قرية "دير غسانة" وكونوا حمولة واحدة. لكن قامت منازعات بين الدور المكونة لها ادت الى حوادث قتل مما قاد لهجرة مجموعة من الدور الى مناطق اخرى.(دار ابو خرمة ذهبوا لكفر عين، ودار كنعان الى بيت ريما، وابو مشعل ذهب اليها دار بدير، وكوبر ذهب اليها دار خطاب).

من هنا فان دار خطاب أى البراغثة في كوبر عبارة عن جزء من حمولة كبرى ولا يشكلون حمولة مستقلة. هناك روايتان لكيفية دخول دار خطاب لكوبر: الاولى تقول بانهم قتلوا زعيم الفلاحين ثم استولوا على قسم من الارض بالقوة، والاخرى تقول بان الصحيح ان الفلاحين استضافوهم (بين ١٨٢٠ – ١٨٤٠) .على أية حال،فان الروايتين مهمتين معا بالنسبة لنا .

١) كان قتل شيخ (زعيم) دار ما كتمهيد للغزو والاستيلاء على الملكية ممارسة منتشرة ايامها. لاتهمنا عملية قتل شيخ ما في حد ذاتها،بل المهم هو ان ضرب الزعامة او الشيخ يعني اخضاعا لتابعيه. لعل هذا يفسر كيف ان هجرة الزعامات والاقطاعيين والتجار الكبار من بعض المدن الفلسطينية في الاربعينات من هذا القرن جلب معه انهيارا في البنية الاجتماعية الى حد ما،مما ساعد استيلاء اسرائيل عليها. هذا يتطلب تصحيحا للنظرة التي تشدد على ان الطبقة الحاكمة تملك بحيث نشدد ايضا على كونها تقوم بعملية تنظيم الانتاج ككل، والملكية ليست علاقة الانتاج الوحيد رغم اهميتها .

Digitized by Birzeit University Library

٢) ان المنازعات التي قادت للقتل في داخل حمولة واحدة (البراغثة هنا) لا تستبعد ابدا المنازعات مع بقية الحمائل والدور. كيف نفهم هذه العملية ؟.

العائلة الممتدة الواسعة كانت تشكل وحدة عسكرية ـ اقتصادية قائمة على الاقتصاد الطبيعي .وهي عائلة بطريركية ـ ذكورية: الاب يسيطر على العائلة والابن الاكبر على الاصغر والام على البنات والبنت الكبرى على الاصغر، والذكر على الانثى. الذكور يحملون السلاح ويكونون "بواردية" او مسلحي العائلة، ومن بواردية العائلات تتكون بواردية الدار ،ومن بواردية الدور بواردية القرية (أو بواردية الحمولة ثم القرية). هكذا تظهر القرية كوحدة اقتصادية ـ عسكرية ضد الخارج ،ولكن هذا لا يعني استبعاد المنافسة الداخلية (تقليديا تعرف ب "الطوشة" حيث تحضر النساء الحجارة والعصي والبنادق ويقوم الرجل بالقتال). ديناميكية الصراع تظهر في ان رابطة الدم، وبالتالي الثأر أي استعداد العضو للتضحية بحياته دفاعا عن حياة عضو آخر تكون حية تماما في ضمن هذه البنية. قضايا الاعتداء على "الشرف" والملكية وحياة الاعضاء وغيرها تقود حالا للاقتتال الذي يصل الى حد صراع على كامل ارض فلسطين. سأترك مسألة هامة هنا واكتفي فقط بالاشارة اليها: عملية الحصول على الفائض الاقتصادي هي المحور الاول والاخير للنزاعات الحمائلية في القرن التاسع عشر ككل ، عندما قدم البراغثة الى كوبر تحالفوا مع "بواردية" الفلاحين وهاجمو قرية بيتللو المجـــاورة، واحتلوا معا الارض التابعة لها (غرب كوبر الحالية).

اما الفلاحون كما قلنا فمجموعة من الدور، قدموا من مناطق مختلفة ولا يرتبطون معا برابطة دم واحدة. ومثلهم مثل البراغثة لا يشكلون في القرية حمولة بل هم اصلا اقسام من حمائل مختلفة. دار واحدة ارتبطت بدار ثانية عبر النسب وشكلت الداران دارا واحدة .على أية حال فما يهمنا الان هو ان جميع سكان القرية هم مجموعة دور ولكنهم افخاذ أو أقسام من حمائل تنتشر خارج القرية. وهنا لا بد من ملاحظة ما يلي :ـ

١) عندما تنفصل الدار عن الحمولة الام وتستوطن في منطقة اخرى (كدار خطاب وبدوان وغيرها في كوبر) فان الدار تشكل وحدة اقتصادية ـ اجتماعية (وعسكرية عند توفر الشروط المناسبة كضعف السلطة المركزية مثلا). هكذا تنفصل بالتدريج عن الحمولة الام ،وهذا ما يسمح في نهاية المطاف بظهور القرية كوحدة اقتصادية ـ اجتماعية ـ عسكرية .

حتى الان يبقى سؤال هام يحتاج للاجابة : لماذا اطلق تعبير "فلاحين" على دور لا ترتبط معا برابطة دم واحدة وتشكل ثلاثة ارباع القرية $\frac{3}{4}$ (حاليا) بينما احتفظ "البراغثة" باسم حمولتهم الاصلية مما يوحي بانهم ليسوا "فلاحين" وبالتالي فئة مختلفة ؟. وثانيا لماذا لم تشتهر حمائل كاملة في فلسطين كلها بل اعتبرت شبه منسية بينما اشتهرت حمائل اخرى كالنشاشيبي والحسيني وطوقان والبراغثة ..الخ ؟ ..

Digitized by Birzeit University Library

لتجنب سوء الفهم لا بد ، قبل ان نبدأ تحليل البنية الاجتماعية ، من اخذ رأى عمانوئيل تيرية Emanuel Terray بعين الاعتبار عندما يقول :

"... The division of vocietr into classes reproduces or repeats 'given' or vocio - his torical differences present in thatvocietr, in which case classes coincide with sexes, generations Kinship categories (Sons, nephews, ets.) or ethnic groups. The composition on and recruitment of classes depend upon the composition of these groups. in such a situation, one might speak of classes whith closed or perdetermined recruitment." 1"

وبكلمات اخرى فان حدود الطبقة الاجتماعية تمتزج بروابط الدم والفروق الجنسية والعرقية وفروق السن والاجيال والمنطقة الجغرافية.. الخ في المجتمعات الماقبل رأسمالية في الرأسمالية في المركز (كاوروبا الغربية والولايات المتحدة) يمكن الربط المباشر بين الاقتصاد كملكية وسائل الانتاج ، وبين الطبقة ، وحتى هنا نجد الطبقات لا تظهر الا كطبقات ذات عضوية مغلقة أى ممتزجة بروابط الدم (عائلة كنيدى وروكفلر) او بالعرق (كالسود والبيض) او الفروق الاثنوغرافية (بورتوريكيون ومكسيكيون وغيرها من الاقليات كالهنود الحمر) .. الخ. لكن رغم ذلك فان العلاقة بين الاقتصاد والسياسة مباشرة على عكس المجتمعات ما قبل الرأسمالية مما يجعل الصلة بين المصلحة الاقتصادية والموقف السياسي شفافة جدا .

في فلسطين القرن التاسع عشر كانت عندنا بنية طبقية ذات عضوية مغلقة كما عرفناها سابقا . ففي كوبر عندما استولى الفلاحون والبراغثة على اراضي قرية بيتللو اقتسموها فيما بينهم . كان الاقتسام يقوم على اسس مشاعية بشكل عام : لكل عائلة واسعة ممتدة الحق في الحصول على الارض لمجرد انتسابها الى دار معينة (او حمولة معينة) . لكن هذا لم يكن يعني ان التفاوت في تقسيم الارض لم يكن موجودا بل على العكس: حاز الزعماء على حصة الاسد بحيث ان الارض الاخصب والقريبة من القرية وان كميات الارض نفسها لم تكن موزعة بالتساوى ابدا . ودراسة التاريخ الاقتصادى للقرية ومحاولة اعادة تركيب هذا التاريخ قادتني الى الاستنتاج بان البراغثة قد حازوا ككل على وضع افضل من الفلاحين ككل ، ولكن حصل

Digitized by Birzeit University Library

الزعماء من كلا الجانبين على حصة الاسد اما البقية" فملحقون بهم" على حد تعبير احد كبار السن. هكذا صارت دار منقسمة طبقيا والطبقة ذات عضوية مغلقة. كيف ؟.

الارض التي كانت تحصل عليها العائلة الممتدة كانت في يد الاب (مسألة ملكية الارض ستعالجها بشكل منفصل) بحيث تكون عندنا عائلة ابوية. هذا ما اعطى مركزا استثنائيا للاب كمركز السلطة واتخاذ القرار وادارة امور العائلة. وبعد الاب يأتي الابن الاكبر فالاصغر منه،بحيث تكون سلم سلطة هرمية فيه الكبير ينحني للصغير وحتى الان لم يزل هذا القانون ساريا كما يظهر في المثل الشعبي" اكبر منك يوم افهم منك سنة". والام تسيطر على البنات بنفس الطريقة. فوق ذلك يسيطر الذكور على الاناث (فالارث مثلا يذهب للاولاد)وبالتالي تكونت عائلة بطريركية ـ ذكورية. ما يهمنا الان هو ان الاب الذى يتمتع بسلطة اكبر مبنية ليس فقط على حجم الارض ومدى خصبها وبالتالي دخلها ،بل على عدد عائلته وبالذات الذكور منهم ، وعدد "البواردية" و" العزوة" الذكورية، مثل هذا الاب يظهر كمركز نفوذ وسيطرة امام اعضاء بقية الدار . هكذا يظهر من كل دار "شيخ" يمثلها ،وفي نهاية المطاف يظهر "شيخ" للبراغثة "شيخ" للفلاحين. هؤلاء الشيوخ يشكلون عمليا "الطبقة الحاكمة" ومما يزيد الصورة تعقيدا ان حمولة باكملها تكون خاضعة لحمولة اخرى ،وقرية باكملها تخضع لقرية اخرى.فمثلا كان ال الخواجا ،شيوخ نعلين ،يسيطرون على اكثر من خمسة عشر قرية. القرية المسيطرة يكون لها شيوخها وتظهر في شكل "مشيخة" كما كانت تسمى ايامها. فوق ذلك انشطرت جميع فلسطين الى قيس ويمن ،أى الى قسمين عموديين بينما من "المفروض" ان تكون الطبقة انشطارا أفقيا. هكذا باختصار تظهر بنية طبقية ذات عضوية مغلقة.

من هنا كانت قرية بيتللو تشكل"مشيخة" ،وبعد وصول البراغثة لكوبر حاولت كوبر تشكيل مشيخة مستقلة. اتحدت القرية كوحدة اقتصادية ـ اجتماعية ـ عسكرية وحاولت الاستقلال،وكلها كانت من صف قيس . وضمن هذه البنية الطبقية ذات العضوية المغلقة كان على كل دار ان تخضع للاقوى او "تهرب"وتنهب ثروتها واراضيها. وبالتالي تكون محور الصراع بين المشايخ والملتزمين والسلطة المركزية العثمانية . كل محور يريد اكبر جزء ممكن من الفائض . يجب عدم التفكير مطلقا برد اسباب الصراع الى الحصول على الفائض مباشرة، رابطة الدم والثأر،كما ذكرت،حية تماما وبمجرد قتل عضو معين من عائلة يشتعل الصراع بين قيس ويمن على مستوى فلسطين احيانا كثيرة. هكذا يمكن النظر الى السوءال الذى طرحناه سابقا من منطلق جديد: شكل البراغثة بحكم رابطة الدم والارض ووحدتهم الاقتصادية ـ الاجتماعية ـ العسكرية فئة ذات امتيازات،وشكل الفلاحون ككل فئة اقل امتيازات. هكذا ظهر شكل خاص ومغلق للانقسام الطبقي : هم "براغثة" وكل الاخرين"فلاحون" ، مما يوحي بانهم هم انفسهم ليسوا فلاحين. وهذا هو السبب نفسه وراء سيطرة حمائل معينة على فلسطين (حسيني ونشاشيبي مثلا في ثورة سنة ١٩٣٦) .ولكن هذا لم يمنع ظهور القرية

Digitized by Birzeit University Library

كوحدة اقتصادية ـ اجتماعية ـ عسكرية امام الخارج .

البنية التحتية التي قامت عليها البنية الطبقية ذات العضوية المغلقة

عملية تقسيم الارض كانت كما سبق وذكرنا تجرى على اسس مشاعية، فلكل عائلة حصة لمجرد انتمائها للدار او الحمولة، من هنا كان من المستحيل عمليا تكون ملكيات كبيرة في قطب، وعائلات محرومة في قطب آخر.كل ما يمكن تأكيده هو تمايز في الملكية يعتمد على جودة الارض وكميتها وبعدها او قربها من القرية .ومن الممكن ان قطعا من الارض كانت توزع دوريا بين اعضاء الدار، وهذه القطع لم تزل تحمل اسم "المارس" وجمعها "موارس"، وهي احزمة في سفوح الجبال .واول اشارة الى تحويل الارض الى ملكية هي تقسيم الارض الى (١٨) حصة منها (١٢) للفلاحين والباقي للبراغثة. واعتقد بان هذا حدث بين سنة ١٨٣٠ ـ سنة ١٨٤١ أي في فترة حكم ابراهيم باشا. دار واحدة من دور البراغثة كانت ايامها تسكن في "بيت ريما" وقد وشى احد البراغثة بأقربائه الى ابراهيم باشا فساقهم للجندية وقتل الكثيرون منهم في الحرب.هكذا صارت هذه الدار ضعيفة وعرضه للسلب والنهب فهاجرت الى قرية اخرى ثم الى كوبر ،وصار عدد دور البراغثة ستة دور لها ستة حصص . وبعض الدور اخذت اكثر من حصة اما لان عددها اكبر واما لان دورا اخرى تنازلت عن حصتها خوفا من الضرائب والتجنيد. ومختلف المعلومات تشير الى ان التقسيم مر بمرحلتين فيما بعد: تسجيل الاراضي العثماني والتخميس الانجليزي .

تسجيل الاراضي العثماني وخلق " المخترة" بعد خروج ابراهيم باشا ،جعل حقوق الشيوخ على الارض تأخذ طابع الملكية الحقوقية. وقد كان مشايخ البراغثة والفلاحين يتعاونون معا ضد البقية فقد ختم مختار الفلاحين بختم المخترة على قطعة ارض فصارت ملكا لشيـــــخ برغوثي. ومن الواضح ان هذه المعلومات لا يمكن ان تكون قبل سنة ١٨٦١ اذ انها تشير الى قانون الطابو العثماني ،ولكن من الصعب تحديد زمن حصول ذلك لان تسجيل الارض لم يكتمل في فلسطين ككل.وقد قادت قوانين الاراضي فيما بعد الى تثبيت سلطة المشايخ والمختار الذى يكون شيخا بالطبع. هكذا بقيت المشيخة والمخترة وملكية الارض والنفوذ القائم على روابط الدم (الشيخ كان يستطيع تجنيد اقربائه وداره الى جانبه بسبب العضوية المغلقة للطبقة كما قلنا). والان ما هي الطرق الاساسية لانتقال الملكية وبالتالي لتغير مراكز النفوذ ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال تجب الاشارة الى "العلية" كمظهر للنفوذ فالعليات كما قلنا سابقا كانت تكلف الكثير من العمل الاجتماعي،ولم يكن يستطع بنائها الا شيوخ القرية. هناك حتى الان عليتان في القرية يملكهما مختاران سابقان واحد برغوثي والاخر فلاح.هذا دليل في طبيعة البناء على طبيعة النفوذ .

Digitized by Birzeit University Library

لعل مصير قطعة ارض هي "وادى الشيخ" ،والاسم له اهمية هنا ،يعطي صورة جيدة عن انتقال الملكية بطريقة الاقتراض.هذه القطعة التي لم تزل تفصل بين البلد القديمة وجزء من الجديدة قطعة قريبة جدا وخصبة. في اثناء التقسيم الى (١٨) حصة كان للبراغثة(٦) حصص من ضمنها وادى الشيح. والمعلومات ناقصة حول من كان يملك هذه القطعة ايامها . لكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اقترض صاحبها قرضا من تاجر خارج القريـــة فصارت القطعة رهنا في يد التاجر. لم يستطع صاحبها فك الرهن ففكه برغوثي آخر وصارت القطعة ملكا له . مالكها الجديد كان شيخا وله عليّه ومخترة . ما يهمنا هنا هو ان الاقتراض والرهن كان اداة لنقل الملكية ،وان للاقارب حق الاولوية في فك الرهن وبالتالي التملك. "حق الاولوية" هذا حق هام جدا ونصادفه باشكال مختلفة. مثلا كانت هناك اراضي "مشاع" كما يسمونها في القرية،ومن المحتمل ان المقصود هو انها اراض بور ولايملكها أحد ، ولكنها حقوقيا ملكية للدولة. اراد شخص معين ان يمتلك قطعة من المشاع قريبة من ارضه، فبرهن حقه فيها بالقول انها "راس ارض" اى عند حدود ارضه، وبالتالي له حتى الاولوية فيها. وهناك طرق اخرى لنقل الملكية منها نهب المحصول والمواشي والاستيلاء على ارض بالقوة. وهناك "التنقيط" أى هدايا في المناسبات كان تقديمها واجبا جماعويا ، وهناك الزواج والنسب حيث تعطي الارض كمهر فقطعة ارض،على سبيل المثال ،زوجت سبعة رجال ورجعت لمالكها الاصلي. وفي الزواج تحصل الزوجة على ارث من ابيها تضمه الى ارض زوجها .لكن أهم الوسائل فهي تلك التي ترتبط بنظام الالتزام الشهير، ولنترك الكلام عن كيفية يحدث ذلك الى أحد كبار الســـــن .

" داود الدزندار كان صاحب نظارة من القدس(أى يلتزم الارض من الوالي التركي) ويلتزم النشاشيبون الارض منه. دار ابو غوش يرتبطون مع دار النشاشيبي بالنسب فيلتزمون الارض منهم .كوبر كانت ملتزمة من قبل شخص يسمى جودت الجارية(نشاشيبي ام غوشي؟؟) لجباية العشر.قبل الجباية يحضر الملتزمون حراسا مغاربة لحراسة الارض ومحصولها من الفلاحين .يأتي التحصيل دار في شهر(٤) أى قبل وقت الحصاد والزيتون .فلا يستطيـــع الفلاحون دفع الضريبة التي تبلغ (٤٠)قرشا على جرة الزيت ،هكذا يضطر الفلاحـــون للاقتراض من دار أبو غوش ويستدينون منهم لتسديد الضرائب .فوق ذلك يقدرون المحصـول على مزاجهم ويكون المحصول القادم اقل بكثير من التقدير .القرض وما لا نستطيع دفعه من الضريبة يسجل للسنة القادمة مع ربا. ومن لا يقوم بدفع كل هذا المبلغ يضطر للتخلي عن أرضه. هكذا مثلا صار النشاشيبيون يمتلكون قطعا من الارض اخذت من الفلاحين والبراغثة معا وحسب مختلف المعلومات كانت نسبة ما يتخلى عنه الفلاح او البرغوثي للملتزمين تصل الى ٩٠٪ من المحصول. وردود الفعل على هذه السياسة كانت مثيرة: سأكتفي هنا بمثلين. الاول هو ان احد سكان القرية ذهب لاقتراض المال من تاجر في قرية اخرى وارهن ارضه مقابل ذلك والهدف من القرض كان دفع الضرائب. ولما لم يستطع تسديد القرض جاء البوليس العثماني

Digitized by Birzeit University Library

(الجندرما) لحجز الارض وكانت المفاجأة : لقد ارهن مقبرة القرية. والمثل الثاني مؤثر فعلا بالمعايير الانسانية: لقد ربط الملتزم (من دار ابو غوش) احد السكان بجذور البطيخ وساقوه امامهم حتى وصل الى القدس،ولم يقم بتقطيع قبوده(جذور البطيخ ضعيفة جدا ويمكن قطعها بسهولة) خوفا من العقاب. وعندما وصلوا الى "ابو غوش" ؛غردت احـــدى قريبات الملتزم "وصل اهلي للقمة" أي لقمة المجد .

على أية حال بقيت القرية فقيرة جدا:لان الفائض كان يسلب منها بانتظام عبر نظام الالتزام الى حد ان التخلي عن الارض للهرب من الالتزام لم يكن حالة مستغربة ،والهرب عند قدوم "التحصيل دار" ممارسة معروفة. ويزيد الطين بلّه وسائل الانتاج كانت بدائية مما لم يكن يسمح بالسيطرة على الطبيعة فالجراد والامراض والجفاف وموسم الزيتون الدورى (كل سنتين مرة في العادة الا اذا استعملت الكيماويات والاسمدة.. الخ ، وهذا كان مستحيلا بسبب تخلف وسائل الانتاج) والطبيعة الجبلية للمنطقة ،وعدم الاهتمام بتعمير ارض جديده لان المحصول سيذهب للملتزمين والمقرضين والمرابين.. الخ، كل هذا كان يمنع أى تراكم حقيقي في الفائض يؤ دى الي تغييروضع القوى المنتجة.اعادة الانتاج البسيط هي النتيجة المنطقية : مستوى الانتاج كل سنة كان بالكاد يتجاوز مستوى السنة الماضية(وبالاخص بعد سلب الفائض من القرية). فوق ذلك كان تمركز الملكية ،وبالاخص بعد قوانين الاراضي العثمانية ،يعني ان قلة قليلة من اصحاب النفوذ تستأثر بحصة لا بأس بها من المنتـــوج. ويمكن الجزم كليا بان المجاعات كانت متكررة، والمعلومات كثيرة عن أكل وجبة واحدة كل عدة ايام. لقد وصلت هذه الحالة قمتها مع بداية الحرب العالمية الاولى.

سنة ١٩١٤ ومع بداية الحرب سنت تركيا قانون التعبئة العامة. كل مختار (مختار البراغثة ،ومختار الفلاحين) كان عنده طبل.جاء عسكريان او ثلاثة وقرعت الطبول فتجمعت القرية وكل من يتغيب يحكم عليه بالاعدام. كل من يقدر على حمل السلاح سافوه للجبهـة المصرية او تركيا او اليمن. "لم يبق في البلد من يستطيع حمل العصا في البلد". بقينا نحن الصغار مع امهاتنا وعجائز القرية الذين على حافة المقبرة " هكذا يسترجع احد كبار السن ذكرياته. ويواصل" سنة ١٩١٤ جاءت موجة من الجراد ،وتسمم الزيتون لمدة سبعة سنوات متوالية ،وجاءت ايضا الكوليرا". نحن اذن امام عملية تدمير للقوى المنتجة التي نهش لحمها كله قبل ذلك .صار الجميع يستدينون من تجار المدن المجاورة(رام الله، وبيرزيت التي لم تكن اكثر من قرية هي الاخرى). ولم يكن احد يستطيع تسديد شيء ، وصارت عملية تقطيع الزيتون وتحويله الى فحم ممارسة منتشرة. من الخطأ القول بان هذا التدمير للقوى المنتجة كان نتيجة لقوى الطبيعة؛ أن انحطاط القوى المنتجة يبرز في عجز المجتمع عن السيطرة على هذه القوى الطبيعية .

Digitized by Birzeit University Library

البروليتاريا وتاريخهـــا

لقد اضطرت القرية للبحث عن استراتيجية اخرى للخروج من الازمة. ولم يكن هنالك الا طريقان : إما العمل المأجور الزراعي عند ملاكين كبار في قريتي برهـام وجيبيـــا المجاورتين (ولم تزل دراسة مصدر ملكية هؤلاء غير متوفرة ولكن بعض المعلومات التـــي جمعـتها ،رغم قلتها تشير الى صلة وثيقة بنظام الالتزام ،احدهم كان وكيلا على ارض النشاشيبيين مثلا) ، واما البحث عن مصدر اخر للرزق مثل تربية الابقار والاقتراض والاستدانة من التجار مقابل رهن الارض او تسليم زيتها. كلا الطريقان يرتبطان بتقليص الاستهلاك الى الحد الادنى الذى كان يعني الجوع لفترات متفاوتة. حسب المعلومات فان الفلاحين اتبعوا الحل الاول بينما اتبع البراغثة الحل الثاني اساسا. واستمرت هذه المرحلة الصعبة حتى سنة ١٩٢٨ حيث عمل الفلاحون في الحصاد في مواسم الحصاد في غزة وسمنح قرب الناصرة. على أية حال فان هناك نقاط غامضة في هذه الفترات لكن بالتأكيد ان البراغثة الاكثر حاجة قد اتجهوا في الثلاثينات الى العمل المأجور في كامبات الانجليز ككامب بير نبالا مثلا ، وفي الخدمات. عملية البرلتةارتبطت ارتباطا وثيقا بالحاق فلسطين بالرأسمالية فقد كانت منطقة الساحل اكثر الحاقا بالرأسمالية بحيث الحقت الضفة بالساحل وشكل نقطة جذب للعمل المأجور .

بقيت الحالة هكذا حتى سنة١٩٤٨ حيث أدى قيام اسرائيل الى ازمة اقتصادية شاملة في الضفة .وقد هاجر الى كوبر ألف لاجيء توزعوا على سكان القرية الذين قاسموهم بيوتهم. ومرت فترة بطالة كاملة وازمة شاملة وفوضى. هناك معلومات على أية حال عن شبه مجاعة وعن الاتجاه عند بعض السكان للتحول الى قطاع طرق او فرض "خاوه" أى ضريبة على البدو الذين يحتاجون للمرعى في ارض القرية . هذا فجر فيما بعـدهجرة واسعة للكويت والاردن ولبنان وسوريا. وكان رائدها الى بيروت اشخاص من فقراء البراغثة والفلاحين معا. والعمل المأجور كان في البناء والخدمات واماكن بيع الزهور ولكن بقي الارتباط بالقرية موجـــودا والهجرة بشكل عام لم تكن دائمة. نتيجة للعمل المأجور الواسع هذا بدأت تتطور كوبـــر الجديدة عبر الجمع بين الزراعةوالعمل المأجور الزراعي والعمل المأجور غير الزراعي. الاغلبية الساحقة من البراغثة ،(اقصد ارباب العائلات) كانت في الخارج بينما لم تصل النسبة بين الفلاحين الى هذا الحد. على اية حال كان وضع الفلاحين يتحسن بشكل جيد، وزراعة الارض والاعتناء بها والعمل المأجور الزراعي عند قطاع كبير منهم قاد الى ان نسبة الارض المشجرة والمستصلحةمن نسبة الارض المملوكة أعلى من نفس النسبة عند البراغثة. هذا الوضع كما قلنا انعكس في بداية كوبر الجديدة :

Digitized by Birzeit University Library

" ..هجرت (٧٦) اسرة القرية القديمة وسكنت في بيوت ابتنتها بين ١٩٥٠ – ١٩٦٧ فيما هجرت (٩٠) اسرة القرية القديمة وسكنت في بيوت جديدة بعد ١٩٦٧ – ١٩٨٣ ". وهكذا تشكل البيوت المبنية قبل (سنة ١٩٥٠) ٨٪ والمبنية بين (١٩٥٠ – ١٩٦٧) ٤٢٪ وبين (١٩٦٧ – ١٩٨٣) ٥٠٪" ومن الملاحظ تسارع عملية البرلتة بعد سنة ١٩٦٧ مما ادى الى تسارع البناء .

بعد سنة ١٩٦٧ اتجه الفلاحون والبراغثة معا الى العمل المأجور خارج الزراعة. اما قبلها فان هناك اختلافات في الاتجاه. جمع الفلاحون بين العمل في ارضهم نفسها والعمل المأجور الزراعي عند بعضهم وعند غيرهم وبين العمل المأجور خارج الزراعة،اما البراغثة فقد اتجهوا اساسا للعمل المأجور غير الزراعي. لكن من الملاحظ عند البراغثة بشكل عام اتجاه لكره العمل ومحاولة التهرب منه. ويمكن القول حاليا ان وضعهم ككل اسوأ من وضع الفلاحين ككل اقتصاديا. فمثلا ، نجح العديد من الفلاحين في فتح متاجر لهم في القرية، وتاريخيا يمكن اعتبار التجارة منذ بدايتها في القرية وحتى الان ناجحة جدا وفي يد الفلاحين ،ومنهم من افتتح متاجرا في خارج القرية(الولايات المتحدة ورام الله) ، والعمال المأجورون عندهم يمتلكون نسبة عالية من القدرات المهنية (مهنة الطراشة والدهان مثلا) اذا ما قورنوا بالبراغثة .ليس هذا وحسب ولكن وسائل الانتاج الهامة(مثل معاصر الزيتون الحديثة) يملكون نسبة عالية منها فهناك اربعة معاصر احدها خارج القرية.منها اثنتان حديثتان جدا ليس للبراغثة فيهما شيء والمعصرة الثالثة اقل حداثة وليس لهم فيها شيء والاخيرة،الاكثر تخلفا، يساهمون فيها فقط، والسؤال الذى يطرح نفسه هو سر هذا الاتجاه لرفض العمل اليدوى عند البراغثة : ما هي جذوره ونتائجه ؟ .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،مع دخول العلاقات الرأسمالية الى فلسطين بشكل متسارع وقوانين الارض العثمانية،تكونت في فلسطين مجموعة من الحمائل الاقطاعية منها عائلة سرسق اللبنانية والشوا والحسيني والنشاشيبي.. الخ. لقد كانت حمولة البراغثة ككل من ضمن هذه العائلات الملاكة ولكنها ليست من الصف الاول على أية حال. البراغثة في كوبر لم يكونوا كوحدة اقتصادية – اجتماعية – عسكرية انفصلت بالتدريج عن الحمولة الام من ضمن الفروع الملاكة في الحمولة . لكن بقيت تشدهم ، رغم انحدار مركز البراغثة فيما بعد جذورهم الحمائلية كحمولة ملاكة. فتطور عندهم نظام التزاوج الداخلي (لا يعطون بناتهم للفلاحين ولا يتزوجون منهم) وتشبهوا باستمرار بالحمائل المدنية (والخمار The Viel لنسائهم كان جزءا من هذا التشبه) وكذلك انتقلت النساء عندهم الى اللبس الاوروبي منذ فترة طويلة لم استطع تحديدها ولكن – على ما يبدو – في الثلاثينات بينما بقي الزى الفلسطيني التقليدى سائدا عند الفلاحين ولم يزل موجودا حتى الان. كل

Digitized by Birzeit University Library

هذه المؤشرات وغيرها (كتأييدهم لعمر الصالح البرغوثي وهو رجل كان يعتبر حتى فترة قريبة من رموز البراغثة ذوى النفوذ الواسع) تدل على مدى تشبثهم بمركزهم السابق . لقد نسجت هذه البنية بنية نفسية موازية تتمثل في منعهم لنسائهم من العمل المأجور الزراعي عند أحد ،والعمل المأجور النسائي خارج الزراعةكان يلاقي مقاومة واسعة .هذا مجرد مثال. مثال اخر بين كثير غيره هو رفض العمل المأجور الزراعي لان هذا يجعلهم "مثل الفلاحين" وكرههم للعمل اليدوى. هذا لوحده يفسر رفضهم للعمل المأجور الزراعي بعد الحـــــرب العالمية الاولى كما رأينا .

بعد سنة ١٩٦٧ حدث كما هو معروف تدمير مخطط للزراعة من قبل الاحتلال وانتج هذا برلته واسعة المدى :ـ

جـــدول رقـــم ١

مصـــــدره	زراعة	عمل في الضفة	عمل في اسرائيل	في الخارج	اخرى
النسبة من السكان	٣ر٣١٪	٨ر٣٩٪	٩ر١٦٪	٠ر١١٪	١٪

جدول بمصادر الدخل في القرية
(غير محدد متى ولكن بالتأكيد أنه حوالي سنة ١٩٨١)

وان نسبة البطالة الموسمية وغيرها كانت عالية قبل سنة ١٩٦٧ فقد ارتفع الدخل نتيجة لارتفاع عدد العاملين في العائلة. هذا الفائض في الدخل فتح المجال لزيادة الاستهلاك، والبناء ،وفتح المتاجر مما الحق القرية بالاقتصاد الاسرائيلي ,وعبره بالاقتصاد الرأسمالي العالمي . وسنركز الان بالتالي على التجارة ودخول العلاقات البضائعية لكي نرى الوجه الاخر للالحاق ، البضائعية جنبا الى جنب مع البرلتة .

يتبـــــع

Digitized by Birzeit University Library

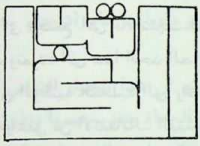

الشباب ... ومشكلاته المعاصرة

بقلم /د٠رسمية عبد القادر اسليم / جامعة النجاح الوطنية

ان الخمر والمخدرات مواد تسبب مشاكل عديدة في معظم دول العالم وتكلف خسائر بشرية واقتصادية كبيرة لانها تدمر الانسان نفسيا ،واجتماعيا ،وبصورة متزايدة،مما جعل من الادمان مشكلة أولتها الهيئات الدولية والاقليمية أهمية كبيرة ورصدت الاموال وخصصت العقول لدراستها لمحاولة الوصول الى حلول تحد من تفشيها وتزايدها المضطرد ٠

والظاهرة الحديثة والمؤسفة انتشار الادمان على جميع المواد بين الشباب والمراهقين وخاصة ان تسرب المخدرات الى الشباب العربي ظاهرة جديدة صدرتها اليها الحضارة الغربية والثقافة الاسرائيلية ذات الايجابيات التي تدركها قلة عاقلة والسلبيات التي تعتنقها أغلبية مندفعة ومقلده دون تبصر ،حتى ليخشى المرء من أن نكون في غمره انبهارنا بمنجزات الغرب قد نسينا هويتنا العربية الاصيلة او تركنا ما تذّبل في شعاع التقنية الحارقة والبراقة٠

Digitized by Birzeit University Library

ان اعتزازنا بحضارتنا وتمسكنا بتقاليدنا الاصلية من الوسائل التي تساعدنا على الاستفادة من الغرب دون تحضر زائف كاذب أو مجاراة عمياء لا تجلب لنا سوى الشقاء والضياع.

فأى ظاهرة اجتماعية تنمو وتتشكل ثم تتبلور حتى تعبر عن نفسها تجاه منطلق محدود وهذا المنطلق هو الذى يحدد لها سماتها الخاصة التي تميزها عن بقية الظواهر النامية الاخرى. وبالتالي اذا دخلت الى مرحلة النضج تصبح من الحقائق الثابتة تجاه طبائع الاشياء فمن الظواهر الجوهرية التي تحولت الى الثبات في منطلق أخير ظاهرة الشباب في حياتنا الراهنة، صحيح ان ظاهرة الشباب لها وجودها الغائر المتصل على تتابع الاجيال في كل عصر وفي كل وطن ومجتمع ابتداء من زمن سقراط وتلاميذه من الشباب حتى مجتمعات نيويورك وباريس ولندن وغيرها من المجتمعات ...

لكن ظاهرة الشباب لم تتحول في عصر من العصور وفي أى مجتمع الى ما انتهت اليه في عصرنا الحاضر... اذا فما هو السر وراء بروز قضية الشباب وتمرده الى هذا الحد الصارخ العنيف؟ وعلى المستوى الواسع العريض الذى يخرج من الافاق الوطنية المحلية الى رحاب الساحة العالمية الشاسعة، لا بد ان تكون هناك أسباب أقوى وأعمق من الانبعاثات البيئية المحدودة ودوافع مشتركة ذات مدلول عام كامن في ظروف العصر، ان الامر أصبح مختلفا في حياة الجيل الحاضر من الشباب المعاصر لان القضية لم تعد قضية تلاحق أجيال متعارضة فتولد من صراعها وتلاطمها نزعات او ميول او رغبات، ثم يأخذ الزمن مجراه ليصبح جديدا اليوم بالقياس الى الفكر القديم. الذى لا بد وان يولد لهمستقبل جديد يناهضه.

ان الزمن على عكس ما كان عليه من قبل لم يعد يأخذ مجراه الطبيعي بين الاجيال. ذلك ان حياتنا القائمة في سرعة انطلاقها الذى يعرف في عام واحد تطورها السابق على مدى أجيال وأجيال.. مثل هذه الحياة تراكمت متناقضات أجيالها وتجمعت لتنصب في مسار واحد ليغمر التناقض الجيل الجديد بأكثر مما يغمر الجيل القديم نفسه.. وبهذا خفت حدة التوتر وضعفت اسباب التناقض في مقارعة الجديد للقديم وبالعكس.

بل انني لا أكاد اجزم بانه اذا كان هناك ولا بد من صراع بين الجيل القائم بعضه بعض. فهو صراع غامض لحمته وسداه الخوف على الحاضر وترقب المستقبل في قلق ظاهر صعنه التمرد الحقيقي للشباب المعاصر على كافة ما أوصلتهم اليه حضارة العصر بقيمها وسلبيا واحتمالاتها المتراوحة بين أعظم الامال والتطلعات..

وأرهب ما يمكن توقعه من مصير يستحيل ان يقلق غيرهم بوصفهم شباب اليوم وكهول الغد فحتمية الشباب اذا تتمثل في مواجهتهم والاوضاع الكلية للعصر نفسه وليس مجرد تمرد على الاجيال التي سبقتهم سواء كانوا أبناءهم أو رؤسائهم ولهذا يتجه بهم السخط ضد المسيطرين على اقدارهم وهم في هذه الحالة وبمقتضى الضرورة من بيدهم نهايات الخيط

Digitized by Birzeit University Library

من الحكام والانظمة والمؤسسات التكوينية السياسية والاقتصادية والاجتماعية بل والثقافة التي يجب ان تجنبهم مقارعة اوضاع حياتهم المعاصرة بل ما يملؤها من متناقضات .

لذلك تعجز هيئات الشباب مهما وفرت لهم من نشاطات لا تكفيهم عن الحرية السياسية والامن او الوفرة الاقتصادية والاستقرار الاجتماعي ، فضلا عن التشبع الفكري والثقافي وهذا مصدر جميع الحركات الارهابية التي تسود العالم بأسره على مختلف أنواعها وأشكالها وفضائلها والتي تتركز وتعبر تعبيرا مباشرا عما نسميه ثورة الشباب ، ولا شك أنها ثورة هوجاء مبعثها اليأس والحزن والاحباط التي تواجههم به تطورات العصر .

ولا تجاريهم اياه الاوضاع السياسية التي تكبلهم بالقيود والاضطهاد وقوانين السجون والتعسف الذى يكاد يضارع ارهابهم . هذا الى جانب متطلبات الحياة الاقتصادية التي تفرض عليهم الحرمان والعجز والضيق والقهر والروابط والصلات الاجتماعية التي تتفكك أوصالها وتنهار مقوماتها عاما أثر عام .

ثم ان هذا الحوار الثقافي الذى يفقدهم سلامة الوعي وحسن الادراك والقدرة على فهم معنى الحياة وتقدير قيمها وتذوق جمالها والاحساس بجمالها وروعتها ..

فالاحساس بالوحدة ، وغياب الترابط الاسرى وسوء العلاقة بين الوالدين والابناء وغياب الحب والعداء ، والقوانين الجديدة التي تفرض عليهم الصراع .

فالثقافة الاسرائيلية جاءت مع الحضارة العربية وبالتالي خلقت صراع جيليا حضاريا اجتماعيا نفسيا ثقافيا بين الشباب ، ولا يسعني الا ان أقرر ان كل هذه الاسباب هي التي تدفع شبابنا الى القلق والاحساس بالاكتئاب فيضطرون الى اللجوء لوسيلة قد تعطيهم الاحساس الوهمي بالسعادة والطمأنينة .

هذه الوسيلة تكمن في المخدرات المنتشرة والاقراص المدمرة التي يتعاطاها هؤلاء الشباب ، أعود فأتساءل هل هذه الاقراص تعوضهم عما هم بحاجة اليه ؟ ان المتعاطى لهذه الحبوب يشعر بمزيج من السعادة والطمأنينه والنشوة ولكن المشكلة اضطرار المتعاطي في زيادة الجرعة حتى يحصل على نفس التأثير وبالتالي يصبح المتعاطي مدمنا وعلى سبيل المثال بعض الشباب يبدأ بقرص واحد ثم يصل بهم الحال الى الاضطراب لتناول عشرين قرصا يوميا ومع الاستمرار تحدث المضاعفات الخطيرة عدا تأثيراتها على الجسم .

أهمها الانهيارات النفسية وحدوث حالة تشبه حالة الجنون ، فالهلوسة والاحساس بالاضطهاد والتهيج وضعف الذاكرة وانحطاط الطاقة الجسدية وضعف بقية الانشطة الاخرى (الجنسية) .

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه الان ما هي الدوافع التي تكمن وراء تعاطي هذه المخدرات ؟ (الحشيش والاقراص) .

Digitized by Birzeit University Library

ان بعض الشباب يلجأ الى هذه الاقراص للتنشيط وزيادة القدرة على الاستذكار ولكن الشباب من هذا النوع سرعان ما يشعر بانحطاط في قدرته وضعف ذاكرته والاحساس بالقلق والكآبه وهناك اصدقاء السوء الذين لهم تأثير قوى لاغراء العديد من الشباب لتناول هذه الاقراص، كما ان هناك العديد من الاسباب لانتشار المخدرات بين الشباب، يكمن فيما يلي :ـ

١) الاحباط العام الذى يشعر به الشباب بسبب الضغوط الاقتصادية والسياسية .
ب) عدم الاستقرار الاجتماعي والاسرى .
جـ) المرض النفسي فقد يكون الشاب يعاني من حالة اكتئاب او قلق نفسي .

والمخدرات يكثر انتشارها بين الشباب من سن (١٦–١٩) عاما وما فوق كما ان النسبة ترتفع بين ابناء الطبقات المرتفعة اجتماعيا وشباب الطبقات الفقيرة .

ولكي نتمكن المجتمعات المعاصرة من التخفيف من حدة هذه الظاهرة الصعبة التي يعاني منها الشباب وخاصة في المدن وتجنبهم اللجوء الى الجماعات السلبية كعصابات المنحرفين والمجرمين ومدمني المخدرات ان توفر لهم الحب في الاسرة والتفاهم بين الوالدين والابناء والاستماع لهم وان تولي اهتماما خاصا بالحاجيات النفسية والاجتماعية للشباب وخاصة فترة المراهقة وتتيح لهم فرصة المشاركة الفعالة في الحياة اليومية فيما يتناسب مع أعمارهم والعمل على اشراكهم في تحديد ادوارهم وذلك بدلا من الاصرار على فرض قيم وقواعد لا تتناسب مع اوضاعهم الاجتماعية الراهنة .

ولن تتأتى معالجة هذه الاوضاع الا بأسلوب علمي فيه نوع من التسامح تجاه هذه المواقف والاعتراف بهم كفئة لها دورها وأهميتها باعتبارها الفئة التي سيكون بيدها بعد سنوات مستقبلنا ومستقبل ثقافتنا وحضارتنا ..

Digitized by Birzeit University Library

مسح اقتصادي

تصدير الأزمة الى البلدان النامية

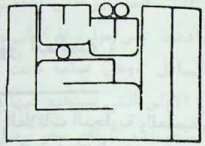

بقلم / نيقولاي ماركوف

ان تطور الرأسمالية في السبعينات ومطلع الثمانينات هو احد الامثلة الساطعة على "ثورة قوى الانتاج الحديثة على علاقات الانتاج الحديثة، على علاقات الملكية التي هي الشرط لوجود البرجوازية ودولتها". (١) لقد امتد الركود الدوريان لسنتي ١٩٧٤ – ١٩٧٥ وسنوات ١٩٨٠ – ١٩٨٢ في البلدان الصناعية الى بلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، ومن ثم ليتطورا الى ازمة عالمية للنظام الرأسمالي العالمي الذى أظهر، مرة أخرى، ان نمط انتاجه انما هو نمط محدود تاريخيا..

وقد دفعت التناقضات المتعمقة في العالم غير الاشتراكي الرجعية في بعض البلدان الى شن هجوم على كامل امتداد جبهة العلاقات الاجتماعية. فكان ان تصدرت الحياة السياسية في الولايات المتحدة وفي عدد اخر من البلدان المتطورة صناعيا القوى المفرقة في نهجها المحافظ والتي تحاول ايجاد حل لقضاياها الاقتصادية عن طريق تسعير سباق التسلح وتقليص حقوق الطبقة العاملة. وتخفيض مستوى معيشة الشغيلة، واستغلال الطاقة البشرية والموارد الطبيعية للبلدان المتحررة حديثا بضراوة اكبر بواسطة رأس المال الاحتكارى العالمي.

ان لجوء ادارة الولايات المتحدة بصورة مكشوفة الى استغلال "المساعدة" والتجارة الخارجية لضمان مصالحها الاستراتيجية العسكرية وتكتيكاتها في الابتزاز والمقاطعات والعقوبات، قد اسفرت عن انزال اضرار جسيمة بتطور العلاقات الاقتصادية الدولية وادت، من بين ما ادت اليه، الى قطع الطريق على الجهود المبذولة لتنفيذ برنامج انشاء نظام اقتصادى دولي جديد، الذى تدعو اليه البلدان النامية. واستغلت الدول الامبريالية

Digitized by Birzeit University Library

والاحتكارات الدولية ابشع استغلال المصاعب النقدية والمالية التي واجهت اكثرية هـــذه البلدان مؤخرا لتزيد من ضغطها عليها وترغمها على تقديم تنازلات سياسية واعطـــاء امتيازات اضافية لرأس المال الاجنبـــــي .

من الذى " يزاح " من السوق العالمية ؟

تميزت السنوات الـ ١٠ ــ ١٢ الماضية بتوسع هام في العلاقات التجارية والعلمية والتقنية والمالية بين البلدان الرأسمالية الصناعية من جهة،وبين البلدان النامية من الجهة الاخرى، وهي علاقات استمرت على كونها علاقات غير متكافئة بالنسبة للمجموعة الثانية من البلدان. فبين ١٩٧٩و١٩٨٠،كانت التجارة بين هاتين المجموعتين من البلدان (٦٠٠ مليار دولار) تعادل ٧ر٣ مرة حجمها بين ١٩٦٩ و١٩٧١. وفي الفترة نفسها ارتفع سعر التكنولوجيا التي كانت تبيعها البلدان الرأسمالية الصناعية،الى بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بمقدار خمس مرات تقريبا ، وقدرت قيمتها في عام ١٩٨٠ بعشرة مليارات دولار .

ازداد عموما اندماج البلدان النامية في النظام المالي والنقدي الرأسمالي عمقا، فتضخم معدل التدفق لكل شكل من اشكال رأس المال من اوروبا الغربية وامريكا الشمالية واليابان الى هذه البلدان، واخذت بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تقترض بنشاط من سوق رأس المال. وقد بلغت القروض الخاصة التي تلقتها في سنة ١٩٨٠ ما مجموعة ١٨٠ مليار دولار. وبرزت البلدان الغنية المصدرة للنفط في الشرق الاوسط كمركز مالي رئيسي ضمن اطار العالم النامي ،وظهر عدد من النقاط المحورية الهامة لعمليات الصيرفة الدوليـــة (سنغافورة،الكويت،البحرين وبنما) .

ان انخراط معظم الدول النامية في نظام العلاقات الاقتصادية للعالم الرأسمالي قـد شدد بصورة ملحوظة من التأثير السلبي لمظاهر الازمة في المراكز الرأسمالية على جوانب حياتها الاقتصادية كافة. وبرز هذا التأثير على أشده في الصناعة،التي يتوقف تطورها بدرجة كبيرة على التمويل الخارجي واستيراد المكائن والمعدات وقطع الغيار(٢). فـي السبعينات انخفض معدل نمو اجمالي الناتج المحلي بنسبة واحد من عشرين فقط مقارنة بالرقم الذى كان عليه في العقد المنصرم (من ٩ر٥ الى ٦ر٥ بالمئة) لكن معدل نموها الصناعي انخفض باكثر من الثلث (من ٧ر٢ الى ٤ر٩ بالمئة) ،وكان الانحسار اشد وضوحا في الصناعات الاستخراجية،التي تشتغل من حيث الاساس للتصدير وتعتمد اشد الاعتماد على الظروف الاقتصادية في معاقل الرأسمالية. وفي السبعينات بلغ معدل نمو الانتاج الاستخراجي ٢ر٤ بالمئة في السنة،مقابل ٨ر٣ بالمئة في الستينات .

ان ظاهرة الازمة في العالم الرأسمالي وما يقترن بذلك من ازدياد عدم استقرار الاسعار

Digitized by Birzeit University Library

العالمية والتجارة وتدفق رأس المال على النطاق العالمي ،قد اديا الى زيادة التطور الاقتصادى المتفاوت لبلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وتسريع التمايز بينهما .

وقد ادت التدابير التي اتخذتها البلدان النامية ،المنتجة الرئيسية للنفط(٣) ،لغرض تعزيز سيادتها على مواردها الطبيعية الى تغير كبير في بنية سعر النفط في السوق العالمية للوقود السائل ،وهي عملية كانت تتحكم بها سابقا الاحتكارات العالمية كلية.وكانت هذه هي المرة الاولى التي تستطيع فيها هذه الدول تثبيت اسعار النفط في ضوء مصالحها الوطنية. وخلال السبعينات ،ارتفع سعر برميل النفط الواحد (١٥٩ لترا) خمس مرات من حيث القيمة الحقيقية واكثر من ١٦ مرة باسعار التصريف السائدة (٤).

لقد اتاحت "ثورة اسعار النفط " لبلدان اوبك ان توطد مواقعها الاقتصادية بصورة كبيرة وبلغ معدل نمو اجمالي الناتج المحلي فيها في السبعينات ٨ره بالمئة سنويا ،اما في البلدان الغنية المنتجة للنفط في الشرق الاوسط،فبلغ ٦ر١ بالمئة كما ارتفعت حصتها في التجارة العالمية من ٦ر٢ الى ١٦ر٢ بالمئة، في حين وصل اجمالي فائض ميزان المدفوعات الى ٦٨٤ر٥ مليار دولار . ولما كانت بلدان اوبك غير قادرة على استثمار جميع عوائد النفط هذه في أوجه منتجة داخل البلاد ، راح قسم منها يستثمر مبالغ كبيرة في الخارج ،ولا سيما في الولايات المتحدة والمراكز الامبريالية الاخرى .

وفي غضون ذلك ،تحول الوضع النقدىوالمالي لدى السواد الاعظم في بلدان العالم النامي بسرعة من سيء الى اسوأ . فادت عمليات الاستيراد والتصدير التي قامت بها الى خلق عجز اخذ يزداد بسرعة: فبين ١٩٧١و١٩٨٠ ،وصل عجزها الذى تدين به الى البلدان الرأسمالية الصناعية وبلدان اوبك إلى اكثر من ٢٩٣ مليار دولار .

من بين البلدان غير المنتمية الى اوبك ،تطورت بمنتهى الدينامية تلك البلدان التي نمت صناعتها بسرعة(٥) . فقد بلغ معدل نمو اجمالي الناتج المحلي فيها ٧ر١ بالمئة سنويا في السبعينات . وبرغم الافق الاقتصادى الدولي المتدهور ،استطاعت ان تحافظ كذلك على وتيرة عالية في نمو التصدير (بمعدل يقرب من ١٢ بالمئة سنويا) . وقد امكن تحقيق ذلك في كثير من الحالات ،أولا ،من خلال الترشيد الرأسمالي الصارم الذى كانت نتيجته خفض مستوى معيشة الشغيلة ونشر البطالة وتعميق التفاوت المادى،وثانيا ،من خلال "الغاء تأميم" صناعات باكملها ،مع توطيد مواقع رأس المال الاجنبي ،وثالثا ،من خلال النمو السريع للدين الخارجي (٦) .

وكان لتدني الاسعار العالمية لكثير من المواد الاولية والمنتجات الزراعية الاستوائية تأثير بالغ السوء على الوضع الاقتصادى للبلدان الاقل تطورا (٧) . والتي كانت حساسة بصفة خاصة ازاء تقلبات السوق ،وذلك لسبب اعتماد صادراتها على غلة واحدة. ورغم ان معدل

Digitized by Birzeit University Library

نموها الاقتصادي السنوي في السبعينات قد ارتفع قليلا مقارنة بالستينات ،فقد بقي واطئا (٣ر٢ بالمئة) . وقد كان الوضع شديد الوطأة ولا سيما في افريقيا جنوب الصحراء . ولم ينم في السبعينات دخل الفرد الواحد في البلدان الافريقية الاقل تطورا الا بمعدل ٢ر٠ بالمئة مقارنة بنسبة ١ر١ بالمئة في البلدان الاسيوية التي تتمتع بمستوى الدخل ذاته و٣ بالمئة في العالم النامي عموما . من ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ ،زادت البلدان الاقل تطورا من صادراتها بمعدل ٤ر٤ بالمئة سنويا ،بينما انخفضت بين ١٩٧٠و١٩٨٠ بنسبة ٤ر٠ بالمئة سنويا . وقد انخفضت حصة هذه البلدان من صادرات العالم في اثناء الثلاثين سنة الماضية بصورة مطردة (من ٥ر١ الى ٣ر٠ بالمئة) . وابعدت من الناحية العملية من التبادل الرأسمالي العالمي (٨) .

فما هي اذن القنوات التي تنتقل عبرها ظاهرة الازمة التي نشأت اصلا في البلدان المصنعة الى بلدان العالم النامي ؟

صادرات المواد الاولية : امكانات متضائلة

هناك ،أولا ،العمليات الجارية في ميدان العلاقات التجارية بين هاتين المجموعتين من البلدان ، وبتأثير الثورة العلمية والتقنية وكذلك ازمة الطاقة والمواد الاولية ، ادت تغيرات بنيوية في اقتصاد البلدان المصنعة منذ وقت طويل الى خلق اتجاه يعـــزز دور الصناعات ذات الكثافة العلمية العالية (التي تتميز عادة بكثافة واطئة في استخدام المواد الاولية) في الانتاج الاجتماعي الرأسمالي . وتميل هذه التغيرات كذلك الى خلق فجوة في نمو الطلب العالمي على المواد الاولية المصدرة من البلدان النامية بالقياس الى نمو الانتاج في البلدان المصنعة ،في الوقت الذي يؤدي فيه تباطؤ نمو الانتاج ،ناهيكم عن الانخفاض المطلق للانتاج في مراحل الازمة الدورية الى انخفاض حتمي في طلب على المواد الاولية .

ويؤدي هذا بدوره الى ضغط مماثل على الاسعار . واستنادا الى معطيات نشرتهـــا سكرتارية اونكتاد في كانون الثاني (يناير) الماضي انخفضت اسعار قسم من سلع المواد الاولية الى أوطأ مستوى لها خلال نصف القرن المنصرم . ففي ١٩٨٢ ،كانت اسعار كثير من المواد الاولية اقل من نصف ما كانت عليه في سنة ١٩٥٠ . وقد انخفضت هذه الاسعار ،اجمالا ،في سنة ١٩٨١ والارباع الثلاثة الاولى من سنة ١٩٨٢ وحدها بنسبة ٣٠ بالمئة . ونتيجة ذلك خسرت البلدان النامية بين ١٩٨٠ و١٩٨٢ قرابة ٢١ مليار دولار (٩) .

كما ان انخفاض الاسعار سبب خسارة للبلدان الرأسمالية الصناعية التي هي في الوقت عينه بلدانا منتجة ومصدرة رئيسية للمواد الاولية ،غير انها بسبب اقتصاداتها المتنوعة كانت اولا ،أقل اعتمادا على تصدير المواد الاولية وثانيا ،قادرة بمرونة اكبر على تكييف انفسها للتغيرات التي طرأت على وضع السوق العالمية (١٠) .

Digitized by Birzeit University Library

لقد كان انخفاض اسعار المواد الاولية مأساة حقيقية لكثير من بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية التي تتصف بنية الانتاج والتجارة الخارجية فيها بانعدام المرونة وضآلة التنويع والتي لا تزيد صادراتها على اكثر من سلعتين او ثلاث سلع من المواد الاولية وفي اواخر السبعينات ،لم يكن بين الـ ١٠٢ بلدا من البلدان لنامية التي تتوفر عنها المعطيات الا ٧ بلدان لا تتجاوز فيها حصة المواد الاولية نسبة ٥٠ بالمئة من مجموع قيمة الصادرات. وفي ٧٦ بلدا منها تصل هذه النسبة الى أكثر من ٨٥ بالمئة ،أما في البقية فهي ١٠٠ بالمئة عملياً. ولما كانت حصة الاسد من هذه الصادرات تذهب الى المراكز الرأسمالية ،فالتجارة بالمواد الاولية ،شأنها شأن مجمل التطور الاقتصادي لبلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، تعتمد الى حد كبير على تذبذب نشاط الاعمال التجارية في البلدان الرأسمالية الصناعية.

وبسبب الازمة ،شددت الدول الرأسمالية اجراءات الحماية ،وكان لهذه الاجراءات آثار سلبية على البلدان النامية. ففي السبعينات ،خفضت البلدان الرأسمالية بعض الشيء من رسوم التجارة الخارجية ولكنها بذلت الكثير في الوقت نفسه لكي توسع وتجدد درعها الواقي من الحواجز غير الجمركية. ففي سنة ١٩٧٤ ،تأثر حوالي ٤٠ بالمئة من مجموع تجارتها بمختلف الاشكال من جراء الحواجز غير الجمركية،ولكن ما ان انتهت السبعينات حتى ارتفع الرقم الى نسبة ٥٥ بالمئة. واضيفت مواد جديدة مثل السلع الجلدية والحديد الزهر والفولاذ والبواخر والادوات الالكترونية المنزلية والكيماويات الى السلع الاخرى مثل المواد الغذائية والانسجة والالبسة الجاهزة ،التي كان استيرادها يخضع دائما وبصورة تقليدية الى قيود الحماية. والى جانب المجموعة المألوفة من القيود غير الجمركية (الحصص ،الاجازات، القيود التقنية) جرى الالتجاء بصورة واسعة الى اشكال غير مكشوفة من الحماية ،مثل فرض الاتفاقيات المجحفة على الشركاء التجاريين بموجب "قيود طوعية على الصادرات" و"التجارة المنظمة" و"التسويق المنظم" ،الخ ،وتطبق هذه في معظم الاحوال على السلع المصنعة ولذلك كان تأثيرها سيئا بصفة خاصة على البلدان النامية التي تتمتع بمستوى وسطي من الداخل للفرد الواحد.

تضخم مرتفع ، تمويل مضطرب

ان تسارع العمليات التضخمية وتشوش النظام النقدي والمالي للرأسمالية ساهما كثيرا في تدهور الاوضاع الاقتصادية الخارجية لغالبية بلدان العالم الثالث. وفي السبعينات ، ارتفعت الاسعار الاستهلاكية في بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية اكثر من ضعفين بالقياس الى سرعة ارتفاعها في البلدان الرأسمالية المصنعة: فمن ٩ بالمئة تقريبا في ١٩٦٩ – ١٩٧٢ ارتفعت الى ١٩ بالمئة في ١٩٧٣ – ١٩٧٨ والى ٣٠ – ٣٥ بالمئة في ١٩٧٩ – ١٩٨١ . ثمة علاقة وثيقة بين حركة الاسعار الاستهلاكية في معاقل الرأسمالية وبين حركتها في البلدان

Digitized by Birzeit University Library

النامية .فمن ١٩٧١ الى ١٩٧٩ أدى ارتفاع مؤشر الاسعار الاستهلاكية في البلدان الرأسمالية المصنعة بنسبة واحد بالمئة الى ارتفاع المؤشر بنسبة ١ر٩ بالمئة في البلدان النامية ،بما في ذلك نسبة ١ر٣ بالمئة في بلدان اوبك و ٢ بالمئة في البلدان المستوردة للنفط .

من المؤكد ان الوثبات في اسعار النفط تعطي زخما قويا الى لولب التضخم في الاقتصاد الرأسمالي العالمي وفي البلدان النامية المستوردة للنفط . بيد ان التأثير المعاكس لنمو اسعار النفط يقصر كثيرا عن اللحاق بتأثير عامل آخر هو الارتفاع المطرد للاسعار في المراكز الرأسمالية ،بما في ذلك اسعار المواد الغذائية والمكائن والمعدات والسلع الاخرى التي تؤلف جانبا كبيرا من استيرادات البلدان النامية (وقد كان هذا العامل بالمقابل السبب الرئيسي وراء الارتفاعات الحادة في اسعار النفط الخام من قبل بلدان اوبك) . واذا اعتبرنا النمو الاجمالي لمؤشر سعر الاستيراد في بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية غير المصدرة للنفط في السبعينات اساسا من مئة ،فان ٦ر٦١ منه مصدرة السلع المصنعة و٦ر٢٥ منه مصدره النفط فقط (والـ ٨ر١٢ الاخرى مصدرة المواد الاولية) . لقد كان لنمو كلفة الاستيرادات تأثيره على عملية التضخم الداخلية بصورة مباشرة ــ من خلال اسعار سلع الاستهلاك والانتاج المستوردة ــ وبصورة غير مباشرة ــ من خلال ارتفاع كلفة الانتاج في المؤسسات التي تستخدم المواد الاولية والوقود المستوردين .

لقد ادى التضخم المتصاعد الى تفكيك آلية نظام النقد والائتمان والتمويل الرأسمالي (١١) . فكان ان صفى نظام بريتن وودز في آذار (مارس) ١٩٧٣ الذي كان يقوم على التعادل الثابت لقيم العملات .وتحولت الدول الرأسمالية الصناعية الى نظام تعويم اسعار الصرف ، فخلق هذا بدوره صعوبات خطيرة لمعظم الدول النامية التي كانت اسعار صرف عملاتها مرتبطة بالعملات الرأسمالية الرئيسية ،التي اخذت تقلباتها غير المتوقعة تميل الى أن تزيد ،من بين اشياء اخرى ، عنصر الشك في تقدير القيمة الحقيقية لعائدات التصدير وتكاليف الاستيراد ،وعقدت بصورة ملحوظة تخطيط عمليات التجارة الخارجية والاستثمارات وتنظيم الدين الخارجي .

وحدث الشيء نفسه بالنسبة لزيادة تبعية البلدان النامية المستوردة للنفط للبنوك الخاصة الاجنبية. وقد كان لتعميق تناقضات الازمة في نظام اعادة الانتاج الرأسمالي اثر ملموس في دينامية تدفق الموارد المالية الخارجية وبنيته في تلك البلدان . فتحت ذريعة الصعوبات الاقتصادية والحاجة الى تقليص مصروفات الميزانية لاحتواء التضخم ، قام عدد من البلدان الرأسمالية الصناعية بكبح توسيع "المساعدة" الى بلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ..

ومن ١٩٧٢ حتى ١٩٧٧ لم يكن هناك عمليا أي نمو حقيقي في الحجم الكلي لـ"معونات التنمية الرسمية" من الدول الاعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.وهي لم تزد

Digitized by Birzeit University Library

قليلا او كثيرا الا في ١٩٧٨ و ١٩٨٠ ،ومع ذلك فقد ظلت دون مستوى عام ١٩٧٥. وعادت "معونتها "في ١٩٨١ لتنخفض ثانية بما يقرب من مليارى دولار،او ٧ بالمئة بالمقارنة مع مستوى السنة التي سبقتها والذى بلغ ٢٧٫٣ مليار دولار. وسجلت "المعونة الرسمية" للولايات المتحدة اشد انخفاض ـ حيث هبطت من ٧٫١ مليار دولار الى ٨ره مليار دولار ـ حينما انخفضت حصتها من اجمالي الناتج المحلي للدولة الامبريالية الرئيسية من ٢٧ر٠ الى ٢٠ر٠ بالمئة(١٢) (مقابل معدل ١٩٨١ البالغ ٣٥ر٠ بالمئة لجميع الدول الاعضاء في منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية).

في مثل هذه الظروف اضطر مزيد من البلدان النامية الى البحث عن "خدمات" رأس المال المالي الدولي : فمن ١٩٧٠/١٩٧١ الى ١٩٨٠/١٩٨١ ، ارتفعت حصة الموارد التي وضعت تحت تصرف هذه البلدان وفق شروط تجارية من ٥١ الى ٦٤٫٦ بالمئة من مجموع المبالغ المتسلمة من الخارج،وبضمنها المبالغ التي تم تسليمها من البنوك الخاصة وسلف التصدير التي ارتفعت من ٦٫٦ الى ٣٣٫٧ بالمئة .

الغـرق فـي الديـون

ان ارتفاع حصة رأس مال التسليف الخاص في التمويل الخارجي للبلدان النامية المستوردة للنفط قد زاد كثيرا من تبعيتها الى الاسواق المالية الدولية،حيث الوضع والظروف غير مستقرة ابدا. وهكذا،فخلال السبعينات، كانت التقلبات الوسطية السنوية لاسعار فائدة بنوك لندن ("ليبور") في سوق العملة الاوروبية تقع بين ٣ره بالمئة. وما ان انتهى العقد حتى كان القسم الاعظم من الائتمانات التجارية تمنح الى هذه البلدان على اساس اسعار فائدة غير ثابتة ،تعدل في ضوء التضخم .

ويجب علينا ان نتذكر ان للائتمانان الخاصة غالبا تأثير مربك للتنمية الاقتصادية في الدول الفتية. فالبنوك ،مثلا ،تسعى الى زيادة قروضها كلما كان هناك نمو في الاسعار العالمية للمواد الاولية،وبالعكس تمتنع عن التسليف كلما اخذت مدخولات التصدير بالانخفاض .وثمة مثال آخر تعطيه قروض التصدير،التي تعتبر عنصرا اساسيا في استراتيجية الاستعمار الجديد للامبريالية،فهي تسمح للبلدان الصناعية،أولا بان توسع بصورة كبيرة بيع سلعها في العالم النامي ،وهو امر بالغ الاهمية في الازمة،وثانيا ،تشديد القيود المالية لتبعية البلدان النامية. فمن ١٩٧٠ الى ١٩٨١،مولت نسبة ١٠ بالمئة من صادرات البلدان المصنعة الى البلدان النامية (تبلغ السلع الانتاجية الى ٢٠ بالمئة منها) بهذه الطريقة بالذات .

لقد زاد نمو الاقتراض من اسواق رأس مال التسليف الدين الخارجي للبلدان النامية وشدد من استغلالها على يد رأس المال المالي العالمي .فبين ١٩٧١ و١٩٨٢،تضاعف دين

Digitized by Birzeit University Library

البلدان النامية غير المنتمية الى اوبك الى حوالي ٦ر٧ مرات ،ليبلغ قرابة ٤٦٨ مليار دولار. واستنادا الى تقديرات اونكتاد ،يمكن لدين هذه البلدان ان يرتفع في سنة ١٩٨٣ الى حوالي ٥٣٩ مليار دولار ويصل المبلغ الواجب الدفع سنويا من الدين الى حوالي ٩٤ مليار دولار .

في غضون ذلك ،يميل الوضع الاقتصادي العالمي الى تقويض امكانات الدفع لدى معظم بلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، ومما يزيد الوضع تعقيدا سياسة ادارة ريغان في ابقاء معدلات الفائدة مرتفعة. والنتيجة هي ازدياد كلفة القرض الدولي زيادة سريعة (صعدت معدلات "ليبور" من ٦ر٥ بالمئة في سنة ١٩٧٦ الى ١٦ر٤ بالمئة في سنة ١٩٨١) .. يضاف الى ذلك التمييز الواضح ضد البلدان النامية المستوردة للنفط في سوق رأس مال التسليف : فالقروض التي منحت لها بين ١٩٧٧ و١٩٨١ منحت بمعدلات فائدة ارتفعت في المعدل من ٧ بالمئة الى ١٨ بالمئة وهي أعلى بنسبة تقع بين ١ر٤ و١ر٦ من معدل "ليبور" .

كل هذا زاد بسرعة من الاعباء المالية للبلدان النامية(١٣). وتبين تقديرات البنك الدولي للاعمار والانماء الخاصة بـ ٣٣ بلدا من البلدان النامية التي تنوء تحت ثقل الديون الخارجية الى ان ارتفاع نسبة واحد بالمئة في معدل "ليبور" في ١٩٨٠ و١٩٨١ يرفع مدفوعات الفائدة السنوية مبلغا قدره ١ر٨ مليار دولار. وقد ارتفعت مدفوعات البلدان النامية المستوردة للنفط خلال هاتين السنتين بمبلغ ٢٩ مليار دولار تقريبا .

لقد وجدت البلدان الافريقية والاسيوية الاقل تطورا نفسها واقعة في محنة بالغة، فبعد تباطؤ تدفق "المعونة الرسمية" (من حيث حجمها الحقيقي) منذ سنة ١٩٧٥ وتدهور الوضع الاقتصادي الخارجي ،اضطرت الى الالتجاء اكثر من السابق الى قروض وتسليفات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للاعمار والانماء ،التي ترتبط بشروط اقتصادية وسياسية في آن واحد. واتاح هذا للدول الامبريالية، ولا سيما الولايات المتحدة التي تسيطر على هاتين المؤسستين ،ادوات اضافية لممارسة ضغط استعماري جديد على البلدان النامية .

سبل تقليص التبعية

ابان سنتي الازمة ١٩٧٤ – ١٩٧٥ ،راحت البلدان النامية المستوردة للنفط ، والتي تعتمد على احتياطيات واسعة نسبيا من العملات الاجنبية ، تزيد بصورة ملحوظة من المصروفات الحكومية بهدف تخفيف الاثر السلبي لتدهور الوضع الاقتصادي الخارجي .لكن الامور تغيرت كثيرا اليوم .فمن ١٩٨٠ حتى ١٩٨٢ ،قلص الانفاق الحكومي ،بما في ذلك الصرف على الاحتياجات الاجتماعية وتباطأت عملية تكوين رأس المال في كثير من البلدان وقد انخفض نمو اجمالي الناتج المحلي من ٦ر٥ بالمئة من ١٩٧١ الى ١٩٨٠ الى ١ر٤ بالمئة في ١٩٨١ ،وهي المرة الاولى في فترة ما بعد الحرب الذى ينخفض فيها معدل نمو اجمالي

Digitized by Birzeit University Library

الناتج المحلي الى اقل من معدل نمو السكان. فوسع هذا بسرعة نطاق البطالة (في نهاية السبعينات قدر عدد العاطلين كليا وجزئيا في جميع البلدان النامية بـ ٥٠٠ مليون). وقد تفاقمت التوترات الاجتماعية والمصادمات الطبقية واشتد الصراع بين مختلف الفئات الاجتماعية حول سبل الافلات من الوضع الاقتصادي الخطير.

لقد سلطت تجربة السنوات الاخيرة ضوءا ساطعا على الاخطار التي تواجهها البلدان النامية ذات التوجه الاحادي الجانب نحو المراكز الصناعية الراسمالية، وعواقب تبعيتها الشديدة لتقلبات الوضع الاقتصادي الخارجي. وقد اتضح بما فيه الكفاية انه لغرض تقليص هذه التبعية هنا ضرورة لتحشيد جميع الموارد والامكانات الداخلية تحشيدا متناهيا. ويجرى القيام بهذه المهمة على عدة اوجه.

اولا. تبذل الجهود لاحلال المنتجات المحلية محل المواد الغذائية والمواد الاولية للطاقة المستوردة. لقد اخذ عدد كبير من البلدان النامية يولي اهتماما لتطوير الزراعة لكي يزيد من اكتفائه الذاتي من الاغذية. ففي الفترة الاخيرة، علقت أهمية أساسية على القطاع الزراعي في انغولا وبنين وزامبيا ومدغشقر ومالي وموزمبيق والسنغال وتنزانيا واثيوبيا. ويزداد عدد البلدان التي تضع لها برامج خاصة في هذا الميدان وتنفيذها.

وقد زادت البلدان غير المنتمية الى اوبك بصورة ملحوظة من جهودها الرامية الى بناء قدراتها في الوقود والطاقة وتقليص اعتمادها على استيراد النفط. ان احدى الاسبقيات هي تنويع قاعدة الطاقة الوطنية: زيادة حصة الغاز والفحم والزيت الحجرى والانواع البديلة من الطاقة، بما في ذلك الطاقة الذرية، في ميزان الطاقة، استخدام موارد الوقود بصورة اكثر اقتصادا وعقلانية، وتطوير صناعات اقل استهلاكا للطاقة، استثمارات في تشغيل موارد الطاقة المحلية وزيادة انشاء وحدات صغيرة الطاقة المائية والشمسية والهوائية. وقد بلغت استثمارات البلدان النامية في صناعة الطاقة من ١٩٦٦ حتى ١٩٧٥ حوالي ١٢ مليار دولار في السنة، بينما ارتفعت في سنة ١٩٨٠ الى ٣٤ مليار دولار. ويقدر خبراء الامم المتحدة انها سترتفع في سنة ١٩٨٥ الى ٥٤ مليار دولار (بالاسعار الثابتة لسنة ١٩٨٠).

ثانيا. يجرى تنويع البنية السلعية والجغرافية للصادرات ولا سيما زيادة السلع المصنعة وتوسيع العلاقات الاقتصادية بين البلدان النامية نفسها. ويساعد على هذا الامر عاملان: ظهور بلدان اوبك كمركز مالي جبار وتمايز هذه البلدان من حيث مستويات تطورها الصناعي، وهي عملية اشتدت بصورة ملحوظة خلال السنوات القليلة الماضية.

وبسبب ظاهرة الكساد عميقة الجذور في اقتصاد المراكز الرأسمالية البارزة، يتسم تطوير العلاقات الاقتصادية مع البلدان الاشتراكية باهمية خاصة بالنسبة لبلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. اذ تنظم هذه العلاقات اتفاقيات طويلة المدى، الامر الذى يجعلها

Digitized by Birzeit University Library

متوازنة وتتركز اساسا في القطاع العام وفي الصناعات الاساسية(١٤) . لهذا السبب فان التطوير اللاحق للتعاون الاقتصادى مع العالم الاشتراكي يتيح للبلدان النامية امكانات اضافية لاعادة الانتاج الموسع على نطاق البلاد كلها كما يساعد على تعزيز اقتصادها ويضفي الاستقرار على تجارتها الخارجية ويقلص من تبعيتها الى تقلبات النشاط الاقتصادى في المراكز الصناعية للرأسمالية ..

المصـــــادر :-

* استخدمت عند اعداد هذا المسح المصادر التالية :

UNCTAD. Handbook of International Trade and Development Statistics. N.Y. 1982; Doc. TD/B/863. 1981; Doc. TDR/2, vol. I, 31 July, 1982. OECD. 1982 Review. Development Cooperation. Paris, 1982. UNIDO. First Global Study on the Capital Goods Industry. Strategics for Development. Sept. 1981. UN. Monthly Bulletin of Statistics; Doc. A/S - II/5, 7 August, 1981; World Economic Surveys 1979-1980,80-81,81-82,N.Y. The World Bank. World Development Report. Washington, 1981.

١) كارل ماركس وفريدريك انجلز ،المؤلفات الكاملة ،المجلد ٤ص ٤٢٩

٢) في أواخر السبعينات كانت نسبة ٩٠ بالمئة من جميع فقرات الانتاج التى تستوردها بلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية مصدرها البلدان الرأسمالية . كما انها شغلت نسبة ٥٥ بالمئة من احتياجاتها من سلع الاستثمار عن طريق الاستيرادات .

٣) بالاساس اعضاء منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبك) ، التي يأتي تسلسلها على النحو التالي من حيث استخراج النفط سنة ١٩٨٢ :العربية السعودية ،فنزويلا ،ايـــران ، اندونيسيا ،نيجيريا ،الامارات العربية المتحدة ،ليبيا ،العراق ،الكويت ،الجزائر ،قطر ، الاكوادور ،والغابون .

٤) حول التطور اللاحق لاسعار النفط ،انظر عدد ١٩٨٣/٤من مجلة قضايا السلم والاشتراكية.

٥) البرازيل ،كوريا الجنوبية ،سنغافوره ،هونغ كونغ ،تايوان ،من بين بلدان ومناطق يريد فيها الدخل على (١٠٠٠) دولار للفرد الواحد .وقد بلغت صادراتها ٤٫٩ بالمئة من صادرات العالم في سنة ١٩٨٠ مقارنة بنسبة ٣٫٤ بالمئة في سنة ١٩٧٠ .

٦) البرازيل ،مثلا ،تقف على رأس الدول المثقلة بالديون (٨٧ مليار دولار في اواخر سنة ١٩٨٢ ،أي حوالي ١٤ بالمئة من اجمالي الدين الخارجي للدول النامية) . وفي سنة ، ١٩٨٣ ، تجاوزت التزامات دينها كثيرا ايراداتها من التصدير واضطرت الى اعلام مقرضيها الاجانب بعجزها عن دفع القسط المستحق عليها وانها سوف تقتصر هذه السنة على دفع الفائدة فقط ،ولكن بعد ان تحصل على قرض جديد من صندوق النقد الدولي وقد زاد هذا من تبعيتها المالية الى الامبريالية.

٧) ٢١ دولة في افريقيا ، ٩- في آسيا واوقيانيا ،دولة واحدة في امريكا اللاتينية .وهي بلدان تتسم بحد ادنى من حصة الفرد من اجمالي الناتج المحلي (١٨٣ دولارا للفرد في عام ١٩٧٩) .

Digitized by Birzeit University Library

٨) كذلك فان من اسباب تدهور الوضع الاقتصادي للبلدان الاقل تطورا الحقيقة الماثلة في أن معظلتها الاقتصادية الداخلية التي تزدادا حدة باستمرار قد تفاقمت من جراء مضاعفها الخارجية وفعل كل شيء زيادة نقص الاغذية .ففي معظم هذه البلدان بقي انتاج الاغذية للفرد الواحد على حالة او انخفض ،مما ادى الى تسريع التصحر وتفاقم قضايا الدفع وزيادة تبعيتها المالية الى الدول الرأسمالية .

٩) بطبيعة الحال،لم تنخفض اسعار المواد الاولية هبوطا عموديا ،وانما انخفضت في مجرى تقلبات وتذبذبات ضاعفت من تأثيرها دورات الكساد الملاحقة في اقتصاد البلدان الصناعيةونمو التضخم بمعدل اسرع ،واصبحت الاسعار اقل استقرارا الى درجة غير قليلة من جراء سياسة الاحتكارات الدولية ،التي تتحكم بجزء كبير وحتى بمعظم تجارة المواد الاولية (في النصف الثاني من السبعينات ،كانت هذه السيطرة على ٧٠– ٩٠ بالمئة من صادرات البلدان النامية من الموز والرز والقطن و٧٥ – ٨٠ بالمئة من الصوف و ٨٥ – ٩٠ بالمئة من الكاكاو والبن والحبوب والجوت ومنتجات الغابات والنحاس و ٩٠ – ٩٥ بالمئة من الحديد الخام والبوكسايت) .

١٠) ومما له دلالته ،انه خلال السبعينات ومن جراء الاسعار العقدية،انخفضت "القوة الشرائية" لصادرات المواد الاولية للبلدان الرأسمالية الصناعية (عدا النفط) بنسبة ٢٥ بالمئة فقط في حين انخفضت في البلدان النامية ذات الدخل المتوسط للفرد الواحد بنسبة ٥٠ بالمئة ، والبلدان الاقل تطورا بنسبة ٧٠ بالمئة تقريبا .

١١) للحصول على التفاصيل انظر عدد ١١/ ١٩٨٢ من مجلة قضايا السلم والاشتراكية .

١٢) اعلنت ادارة ريغان بكل صراحة ان "المساعدة" ستكون احدى ادوات سياستها الامبريالية الهادفة الى تأمين مصالحها الاستراتيجية – العسكرية والسياسية والاقتصادية لقدرادت بحدة من شحنات الاسلحة تحت ستار "المساعدة"فاججت بذلك سباق التسلح في العالم الثالث .في الوقت الذي اقتطعت فيه مبالغ مرصودة لبرامج ليست لها اهدافا عسكرية .وهكذا فانه رغم الحقيقة الماثلة في ان اجمالي المبالغ المنفقة على "المساعدة" الى البلدان النامية في ميزانيه الولايات المتحدة لسنة ١٩٨٢ قد ارتفع بمقدار ١٫٤ مليار دولار ،الا ان تلك الحجات غير العسكرية قد خفضت بمقدار ١٫٣ مليار دولار . ان الحصة السنوية للولايات المتحدة في اتحاد الانماء الدولي قد انخفضت من ٤٫١ مليار دولار في سنة ١٩٨١ الى ٢٫٦ مليار دولار في سنة ١٩٨٢ ،ونتيجة ذلك فان التسليفات بشروط سهلة الى الهند والبلدان الاخرى ذات الدخل الوطني للفرد الواحد في افريقيا وآسيا قد قلت بصورة كبيرة .

١٣) كان لارتفاع معدل الفائدة تأثير سلبي على جوانب اخرى من التطور الاقتصادي .فقد دفعت بكثير من البلدان الصناعية الى تخفيض مخزوناتها الاستراتيجية من المواد الاولية وهي سياسة تؤدي الى التأثير على الاسعار العالمية للمواد الاولية، يضاف الى ذلك ، بدأ رأس المال الخاص قصير الامد ،بالخروج من قسم من البلدان النامية. ولكبح تدفق رأس المال خارج البلاد ،اضطر كثير من البلدان الى رفع سعر الفائدة على القروض والسلف الداخلية وادى هذا بدوره الى تسديد ضربة موجعة الى المستثمرين والى تقليص السلف الاستهلاكية . ان اجمالي الطلب المقتطع هذا قد انزل احدح الخسائر بالقطاع الصناعي .

١٤) للحصول على التفاصيل ،انظر بصفة خاصة عدد ١١/ ١٩٨١ من مجلة قضايا السلم والاشتراكية وكذلك عدد ١١/١٩٨٢ من المجلة ذاتها .

Digitized by Birzeit University Library

حول عضوية منظمة التحرير الفلسطينية في هيئة الأمم المتحدة

بقلم / المحامي ـ نهاد فتحي

ان من أبرز نتائج الصراع الذى تخوضه قوى التحرر العالمية ضد الاستعمار والامبريالية كان تعمق وتجذر المحتوى التقدمي للقانون الدولي العام. فقد اصبح هذا القانون بشكل عام يشكل سلاحا فعالا تستعمله الشعوب في مواجهة الاستعمار والامبريالية العالمية. ويتيح القانون الدولي الفرص العديدة امام هذه الشعوب لتلعب دورها على الساحة الدولية، كأحد ميادين الصراع الرئيسية ضد الاستعمار والامبريالية. ولما كان شعبنا الفلسطيني جزءا من هذه الشعوب فعلية ان يستغل كل فرصة يتيحها له القانون الدولي لصالحه العام ولصالح نصرة قضيته العادلة. ولما كان الامر كذلك، فاننا من خلال هذه المقالة نحاول القاء الضوء على المعطيات التي من شأنها ان تحقق للشعب الفلسطيني واحدا من أهم المطالب على الساحة الدولية وخصوصا في اطار هيئة الامم المتحدة. ويتمثل هذا المطلب في التغيير النوعي لوضع م.ت.ف في هيئة الامم ونقله من وضع العضو المراقب الى وضع العضو العامل في هذه المنظمة الدولية الواسعة.

ان هذه المقالة هي محاولة متواضعة لطرح هذا الموضوع على ساحة النقاش ولتوعية جماهير شعبنا بحقوقه على الساحة الدولية، كما نتمنى ان يأخذ هذا الموضوع من اهتمام الباحثين لتعميقه وللكشف عن الطرق الكفيلة بتحقيق هذا المطلب الهام جدا لنصرة القضية العادلة للشعب الفلسطيني.

لقد اجتازت القضية الفلسطينية مراحل عديدة واتخذت ابعادا مختلفة سواء على الصعيد المحلي أو العربي أو الدولي. وان اهم ما ميز هذه القضية في الوقت الراهن هو ارتباطاتها الدولية الواسعة عبر الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وهو منظمة التحرير

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينية فقد حملت سنوات السبعينات للشعب الفلسطيني الكثير من الانتصارات على الساحة الدولية،فقد تشكل لمنظمة التحرير الفلسطينية في الكثير من دول العالم مكاتب وممثليات ارتفع مستواها في العديد من الدول الى مستوى السفارات التي تتمتع بحصانات وامتيازات سفارات الدول بين بعضها البعض.ولم تقتصر علاقات م.ت.ف على الساحة الدولية مع الدول فقط وانما تعدتها الى اقامة علاقات واسعة مع الهيئات والمنظمات الدولية والاقليمية.والحقيقة ان مركز م.ت.ف في هذه المنظمات يختلف من واحدة لاخرى من حيث القوى القانونية للمكان الذى تحتله فيها.فهي مثلا تحتل موقع العضو العامل في جامعة الدول العربية،بينما تحتل موقع العضو المراقب في هيئة الامم المتحدة.

وانطلاقا من اهمية هيئة الامم المتحدة على الساحة الدولية،باعتبارها المكان الذى تطرح فيه كافة القضايا الدولية،والمكان الذى يتم فيه تداول الافكار بين الدول وحيث يجرى فيه البحث عن الحلول لمشاكل الدول والشعوب،فكان لا بد من ان يكون للشعب الفلسطيني مكانة في هذه المنظمة الواسعة، لما تمثله قضيته من أهمية بالغة تتوجه نحوها انظار كافة دول العالم.فمن المعروف ان الشعب الفلسطيني عبر م.ت.ف استطاع ان يشق طريقه الى قلب هذه المنظمة الدولية ويمثل مكانا لا بأس به فيها،حيث حصلت م.ت.ف سنة ١٩٧٤ على عضوية المراقب فيها.وجاء هذا بناءا على قرار الجمعية العمومية الذى اتخذته في دورتها التاسعة والعشرين والذى يقضي بمنح منظمة التحرير الفلسطيني وضع المراقب،ودعتها للمشاركة بهذه الصفة في كافة المؤتمرات والاجتماعات التي تعقد برعاية هيئة الامم المتحدة.
وقد سجل الشعب الفلسطيني هذا الانتصار نتيجة لعدة اسباب اهمها :

١ ــ النضال الشاق الذى خاضه ويخوضه الشعب الفلسطيني على مدى ٦٠ عاما تقريبا.
٢ ــ دعم القوى والدول الصديقة وعلى رأسها المنظومة الاشتراكية لنضال شعبنا العادل من أجل تحقيق حقوقه العادلـــة.
٣ ــ ان حق تقرير المصير للشعوب المناضلة ضد الاستعمار ومن ضمنها شعبنا الفلسطيني اصبح يعد من المبادىء الاساسية التي تنص عليها الاعراف والقوانين الدولية.وقد أهل هذا المبدأ تلك الشعوب لان تكون من عداد اشخاص (Sbject) القانون الدولي العام.

وقد اعطى القانون المذكور هذه الشعوب حقها في تقرير مصيرها بنفسها،وذلك خلافا لما كان يعرف بنظام الانتداب.الذى سلب هذه الشعوب حقها المقدس،وسلبها بالتالي حقها في ان تلعب دورها التاريخي الملقى على عاتقها في تحرير نفسها من براثن الاستعمار وبناء مستقبلها بنفسهـــا.

لقد مثلت هذه الخطوة قفزة نوعية في تاريخ نضال الشعب الفلسطيني.فما اعطاء م.ت.ف حقوق العضو المراقب في هيئة الامم المتحدة.الا دليل واضح على ان القضية الفلسطينية اتخذت ابعادا عميقة على الساحة الدولية.فهذا يعني من الناحية السياسة :

١ ــ ان القضية الفلسطينية طرحت نفسها بشكل اصبح معه الوضع لا يحتمل دون حلها حلا عـــادلا .
٢ ــ ان شعوب ودول العالم وصلت الى مدى بعيد في تفهم قضية الشعب الفلسطيني العادلـــه

Digitized by Birzeit University Library

٣ ـ ان هذه الخطوة عززت الثقة في الجبهة الداخلية للشعب الفلسطيني وعززت من مكانة منظمة التحرير الفلسطينية على جميع الساحات ،وأكدت حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيـــره.

٤ ـ ان هذه الخطوة جاءت بمثابة ضربة موجهة للانظمة العربية الرجعية التي حاولت وما زالت تحاول لاحتواء منظمة التحرير الفلسطينية .

٥ ـ انها ساعدت على تعزيز وتقوية الحصار السياسي والاقتصادى على اسرائيل وشدد من عزلتها دوليا بعد أن تكشف لشعوب العالم زيف ادعاءاتها ،وقد تمثل هذا فيما تمثل باتخاذ الجمعية العمومية لقرارها التاريخي بادانة الصهيونية واعتبارها شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصـــرى .

وأما من الناحية القانونية فهذا يعني ان منظمة التحرير الفلسطينية اصبحت تشارك وبصفة شرعية في كافة المؤتمرات والاجتماعات التي تعقد تحت رعاية هيئة الامم المتحدة بخصوص الشرق الاوسط.والجدير بالذكر ان مشاركة م.ت.ف في هذه المؤتمرات لا يمكن اعتباره مشاركة شكلية وانما مشاركة فعالة (بغض النظر عن انها غير مكتملة في بعض جوانبها) وعلى قدم المساواة مع المشاركين الاخرين.وهذا حسب ما جاء في قرار الجمعية العمومية المتخذ في دورتها الثلاثين سنة ١٩٧٥ م .

ان القرارين المتخذين في الدورات ٢٩، ٣٠ حول منح م.ت.ف حقوق العضو المراقب وحول مشاركتها على قدم المساواة مع المشاركين الاخرين في كافة المؤتمرات التي تخص الشرق الاوسط يعتبران خطوة كبيرة الى الامام ،اتخذتها هيئة الامم المتحدة باتجاه القضية الفلسطينية.ومع أهميتها التاريخية تبقى هذه الخطوة غير كاملة وناقصة،ولا بد لاكتمالها من تطوير وضع م.ت.ف من عضو مراقب الى عضو عامل في هذه المنظمة الدولية.

صحيح ان طرح هذه المسألة ممكن أن يعتبر مجازفة،لان هيئة الامم المتحدة حسب الاعراف الدولية تقبل في عضويتها دولا مستقلة ـ ولكن لامكانية تحقيق هذا المطلب يوجد العديد من المؤشرات التي ان تم أخذها بعين الاعتبار فلن يبقى شيء غريب في طرحه وترجمته على ارض الواقع .ومن المؤشرات التي تجعلنا قادرين على طرح هذا المطلب ما يلي:

١ ـ ان المركز الاساسي في حياة هيئة الامم المتحدة تحتله شعوب وأمم الارض.وليس صدفة ان الكلمات الاولى في ميثاق هيئة الامم المتحدة تتكلم عن شعوب وليس عن دول ،حيث جاء في بداية الميثاق : "نحن شعوب الامم المتحدة ..." ،ولم يقل واضعو الميثاق ـ نحن دول الامم المتحدة" وما دام الامر كذلك فما الذى يمنع الشعوب التي لم تصل بعد لبناء دولها المستقلة من المشاركة في اعمال هذه المنظمة الدولية.

٢ ـ ليس في الميثاق ما يمنع قبول ممثلي الشعوب المستعمرة كأعضاء في صفوف هيئة الامم المتحدة.فالمادة الرابعة منه لا تنص على ان القبول في عضوية هيئة الامم مفتوح فقط للـــدول.

Digitized by Birzeit University Library

٣ ــ ان بعض القرارات للجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة قد تجاوزت وبشكل شرعي المادة الرابعة في الميثاق. فقرارها المتخذ في الدورة الثلاثين سنة ١٩٧٥ حول " دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في كافة المؤتمرات التي تعقد برعاية هيئة الامم المتحدة بشأن الشرق الاوسط وعلى قدم المساواة مع المشاركين الاخرين" يعتبر خطوه هامة نحو تحقيق مطلبنا. فعندما اتخذت الجمعية العمومية هذا القرار، كان امام المشاركين في اتخاذه يوجد ميثاق هيئة الامم المتحدة، ذلك الميثاق الذى لا يشير الى امكانية حصول ممثلي الشعوب المناضلة ضد الاستعمار على العضوية المراقبة في هذه المنظمة الدولية. ولكن استنادا الى التغيرات العميقة التي حصلت منذ دخول ميثاق هيئة الامم المتحدة حيز التنفيذ لحد يومنا هذا، واستنادا الى واقع الشعب الفلسطيني الخاص اتخذت الجمعية العمومية قرارها هذا. فلماذا اذن لا تكون هذه المتغيرات حافزا لاتخاذ قرار يقضي بمنح منظمة التحرير الفلسطينية حقوق العضو العامل في هيئة الامم المتحدة ؟ . في حين ان هذا القرار نفسه يضع م.ت.ف في مصاف الدول المشاركة في المؤتمرات . فعندما يقول باشتراك م.ت.ف على قدم المساواة، فانما يعني ان واجبات منظمة التحرير وحقوقها في هذه المؤتمرات هي نفس واجبات وحقوق الدول المشاركة فيها. وبكلمات أخرى فقط اعطت الجمعية العمومية لمنظمة التحرير، وان يكن في المؤتمرات التي تخص الشرق الاوسط، اعطتها صفة العضو الكامل، فلماذا اذن لا ينطبق هذا على مكانة م.ت.ف القانونية في كافة مؤسسات هيئة الامم المتحدة بما فيها الجمعية العموميـــة ؟.

٤ ــ يمكننا الاستفادة لتحقيق هذا المطلب من علاقة م.ت.ف مع بعض المنظمات الاقليمية الاخرى. فيوجد العديد من هذه المنظمات التي اعطت م.ت.ف حقوق العضو العامل فيها، ومنها بالتحديد جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي، على الرغم من ان مواثيقها تنص على القبول في عضويتها دولا مستقلة.

٥ ــ ان مبدأ تقرير المصير الذى ينص عليه ميثاق هيئة الامم المتحدة نفسه يعتبر حجر الزاوية في طرح مطلبنا. فهذا المبدأ يعني ان يكون الشعب نفسه سيد مصيره. وفي الحالة الراهنة كيف يمكن للشعب الفلسطيني ان يشارك في تقرير مصيره على الاقل في قاعات هيئة الامم المتحدة، والتي يتم فيها مناقشة قضيته، ان لم يكن يشارك فيها مشاركة فعالة وعلى قدم المساواة مع الدول الاخرى. فالترجمة العملية لهذا المبدأ تبقى ناقصة وبشكل جوهرى ان لم يشارك الشعب المعني في التصويت واتخاذ القرار الذى يخص قضيته. فتصوروا أن الجمعية العمومية تناقش مثلا قضية الاستيطان ــ فحسب حقوق العضو المراقب يحق لـ م.ت.ف المشاركة في النقاش، وعند اتخاذ قرار بهذا الصدد تقف منظمة التحرير عاجزة عن المشاركة في اتخاذ هذا القرار والتصويت عليه، علما بأنه (أى القرار) يصب في صلب المشكلة الفلسطينية التي تمثلها م.ت.ف فهذا يعتبر وضعا لا طبيعيا، والبديل عنه هو رفع المكانة القانونية للشعوب

Digitized by Birzeit University Library

المستعمرة في نطاق هيئة الامم المتحدة، حتى يتسنى لهذه الشعوب ان تشارك باتخاذ القرارات التي تخص مشاكلها، لا ان يبقى اتخاذ هذه القرارات حكرا على غيرها من المشاركين الاخرين من الـــدول.

وأخيرا، ان تحقيق مثل هذا المطلب من شأنه ان يشكل دفعة قوية للقضية الفلسطينية نحو الامام. وسيكون هذا امرا فريدا من نوعه في تاريخ هيئة الامم المتحدة، وسيكون كذلك بمثابة ضربة قوية لاعداء الشعوب وعلى رأسهم الامبريالية الامريكية.

Digitized by Birzeit University Library

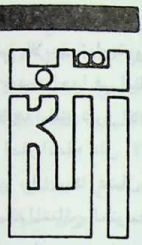

بالقلم العريض

الأمراض "الموازية" في المناطق المحتلة !

بقلم / محمود الشيخ

مرض المتوازيات ،المنتشر في المناطق المحتلة،منذ اكثر من عامين ،آخذ في التزايد والتكاثر غير العادى،فهذا المرض،من الامراض الخبيثة جدا،التي بدأت تنخر الاجسام، بوعي تام من الفئات القائمة على نقل هذه"الموازيات "الاورام السرطانية"من جسم الى جسم ،حيث ظهرت أولى اعراض هذا المرض في اوائل واواسط عام ١٩٨١،على شكل انقسامات غير عادية في خلايا الجسم ،مما أدى الى انتشار هذا المرض،وبشكل سريع، صعب على الاطباء في حينهمعالجته،بسبب الحقن البترودولارية الزاهية،التي ساعدت على ازدياد هذه الاورام ،فكانت الاورام الشكلية والاورام الحقيقية،وهي بالنتيجة اورام سرطانية تؤدى الى الوفاة،ومع انها منتشرة بشكل كبير في المناطق المحتلة ادت الى نخر عظم الاجسام القائمة،الا أن احتمالات منع الوفاة لا زالت قائمة ،حتى الان،مع أن بعض الذين ساعدوا على انتشار هذه الاورام ،غير معنين في معالجتها،برز ذلك بوضوح ،عندما ظهرت اعراضه الحقيقية في اكبر الاجسام حجما وقوة وتأثيرا ومنعه في المناطق المحتلة،وقد شكل ذلك الضربة الاولى لهذه الاجسام التي بدأ حجمها ودرجة تأثيرها ومستوى دورها يمتد،ليس الى كافة المناطق المحتلة،بل اتسع ليشمل تأثيره الخارج،حيث انه شكل الهيئة الصدامية المنيعة،واحتوى على كافة انواع المضادات الحيوية المستعدة لابطال قدرة الفيروسات المعدية،وكافة انواع البكتيريا،وقادر على تفعيل دور الاجسام المختلفة الاخرى في المناطق المحتلة،ولجم الاجسام المشبوهه الاخرى صاحبة الصوت النشاز،والتي وجدت في هذه الاورام مرتعا خصبا لنموها وتكاثرها ،للقضاء على احلام الشفاء التي تراود الغالبية العظمى،من هذه الامراض،وبناء الجسم الصحيح القادر على الصمود امام غزو الفيروسات المعدية والسامة ..

Digitized by Birzeit University Library

لقد ظهر الورم السرطاني الاولى في جسم افقر الناس واكثرهم قدرة على الاحتمال والحركة،واكثرهم عددا،حيث احتوى على اقذر انواع البكتيريا والورم الهاشمي. لقد عكس هذا الورم السرطاني الاول ،بآثاره السلبية على بقية الاجسام ،نسائية طلابية،شبابية،وحتى الاطفال لم ينجوا من الورم ،لقد تتاثرت هذه الاجسام التي تشكل جسما واحدا في الظروف غير العادية التي تعيش فيها ،لمواجهة الاخطار المحدقة التي تنتظرها ،فلن تفرق الاخطار بين جسم وجسم ،فتقول هذا جسم أحمر مثلا افضله على الاسمر،وهذا اصفر افضله على الاخضر وهذا اخضر افضله على الابيض. ان هذه الاخطار لا تفرق بين الالوان ،بل تريد اغتيال هذه الاجسام. ومن يرى غير ذلك يخذل نفسه ومن حوله. ان مراجعة بسيطة للنتائج المترتبة عن هذه الموازيات الوهمية وغير الوهمية نجد انها تتلخص في :-

- نقصان الملوحه في الجسم مما ادى الى ضعف القدرة على العوم والتغلغل .
- انخفاض الوزن الحقيقي لهذه الأجسام ادى الى انخفاض التأثير وهبوط في الضغط
- هذه الاورام ادت الى التقيئات المستمرة وعدم قدرة المعدة على استيعاب الطعام المقدم لها او الصمود فيها .
- لقد اثرت هذه الاورام على العيون مما تسبب في ايجاد مرض قصر النظر ،ولذلك سادت ضبابية الرؤية لدى البعض ،والبعض الاخر اصيب بمرض الالتهابات المزمنة في الجفن، ادى الى اوجاع شديدة بالرأس انعكس ذلك على الاعصاب فأدى الى التوتر الشديد.
- انعكس ذلك على بقية الاجسام مما ادى الى اصابة مفاصلها بالتهابات حادة اضعف من قدرتها على الحركة وادى ذلك الى تمزق في العضلات .
- ان هبوط الضغط ادى الى الدوخة الشديدة في معظم الاحيان فأفقد الجسم اتزانـــه
- نتيجة لما تقدم ولعدم معالجة الامور منذ البدء ،مع أن التشخيص اظهر بوضوح طريقة المعالجة ،فاحت روائح كريهه ،تركم الانوف،لا يستطيع عضو في الجسم مقاومتها او العمل على تنظيف الاجواء منها لانتعاش الجسم ،بعد ان اصبح بحاجة الى النوم في غرفة " الانعاش" والسهر عليه من كافة العضلات المكونه له، مع بتر أية عضله او مفصل قد ينقل التهاباته الى المفصل الاخر .

هذا هو المرض "الموازيات" وهذه نتائجه الخطيرة جدا والتي تهدد مستقبل ابناء المناطـــق المحتلـة،واحلامهم ،وكافة اطرهم الجماهيرية، يتطلب منا جميعا ان نعي دور الجراد القادم الذي يحصد الاخضر واليابس، اذا ما استطاع الهبوط على الارض ووجد متنفسا له. ومن هنا يتوجب علينا ان نقوم بازالة"الدمامل" الخبيثة وشتى انواع "الادران" المنتشرة هنا وهناك في اطرنا الجماهيرية،وبشكل خاص في الحركة النقابية ،لبناء الاجسام الحديدية المفلوذه ،القادرة على تحطيم احلام الجراد الزاحف ،ان تحقيق ذلك ليس

Digitized by Birzeit University Library

بالامر العسير عند الذين لا يريدون ان تنتشر الادران الاردنية في اجسامهم. بازالة الادران والدمامل الحالية مع اجتثاث الاورام الحالية وقتل مرض "الموازيات" الخاص بالمناطق المحتلة، لقد عجز الطب حتى الان عن وصف دواء لهذا المرض الخطير في جسم الانسان ولكن مرض الموازيات في مؤسساتنا لا يصعب القضاء عليه اذا اردنا ، تحويل مؤسساتنا الجماهيريـــة واطرنا الشبابية والنسائية الى قلاع محصنه لا يستطاع وخزهـــا .

لقد درج الاحتلال على عدم الاهتمام بالصحة العامة، لسكان المناطق المحتلة لهذا وقف متفرجا ومرض الموازيات ينخر جسم مؤسساتنا بل انه كان يساعد على ذلك لينهش الجسد الفلسطيني ،ليسهل عليه الحديث عن اجسامه المشبوهه التي يخلقها وحتى تجد لنفسها مكانا بين جماهير شعبنا الذى ينظر بقدسية الى الاجسام المكونه لطموحه وينظر بحزن وألم لما وصلت اليه هذه الاطـــر .

فهل نضع حدا لهذه الاورام والموازيات قبل فوات الاوان ، فالمناخ بارد والغيث يبدو نادار والشمس الحارقة قادمة في الاشهر او الايام القليلة القادمة .

Digitized by Birzeit University Library

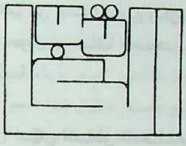

أفغانستان

توطد وحدة الشعب الوطنية

بقلم / صالح محمد زيراى و نور أحمد نور

ان ثورة نيسان (ابريل)، التي احتفل شعب افغانستان واصدقاؤه المخلصون بذكراها السنوية الخامسة في العام الماضي، دشنت طريق الانبعاث الوطني والتقدم الاجتماعي في بلادنا. لقد كانت الثورة نتيجة طبيعية وحاجة موضوعية لتطور المجتمع الافغاني وحصيلة للاحتدام المضطرد للتناقضات التناحرية بين حفنة من المستغلين (بالكسر) وجماهير الشغيلة. فقد سعى الكادحون الى التخلص من ظلام القرون الوسطى والانعتاق من قيود الاقطاعية والعلاقات السابقة للاقطاعية. وطالب الملايين من الفلاحين بالارض والماء، وكان الناس يتعطشون الى المعرفة ويطمحون الى المشاركة في تقرير مصيرهم .

لقد رسمت الثورة أهدافا بسيطة وواضحة، ان تجعل الشعب سعيدا والوطن مزدهرا. ولكن من الواضح ان من المستحيل تحقيق هذه الاهداف دفعة واحدة. فالطريق من التخلف المزمن الى التقدم الشامل طويل وشاق .

وفي الوقت نفسه يرى حزب الشعب الديمقراطي الافغاني انه بالرغم من أن المعضلات التي تواجهها البلاد متعذرة على الحل الفورى والسريع، ينبغي عدم السماح بايقاف التحولات الثورية والمراوحة في تنفيذها كما ينبغي ان لا تحجب الاهداف البرنامجية المستقبلية المهام الانية الملحة وما يجب ان ينفذ الان فورا. اذ يجب ان تتوفر للناس فرصة تلمس أفضليات النظام الجديد. والسبيل الى اكتساب ثقة الجماهير ودعمها يمر عبر رفع مستوى معيشتها المادى والثقافي وتحقيق النجاحات في قضية اعادة بناء المجتمع بصورة جذرية في جميع الميادين .

ويشعر الشغيلة الافغانيون في الواقع باهتمام السلطات الثورية. ففي مجرى الاصلاح الزراعي حصل حوالي ٣٠٠ الف اسرة فلاحية على قطع من الارض دون مقابل، واعفت الحكومة

Digitized by Birzeit University Library

اكثر من ٣٫٤ ملايين فلاح من دفع ضرائب قيمتها ٧٢٢ مليون افغاني .وخفضت اسعار الاسمدة الكيماوية ووسائل مكافحة الحشرات الزراعية المضرة،وفي الوقت نفسه رفعت اسعار شراء المزروعات الصناعية كالقطن والبنجر السكرى .وتقدم الدولة للمزارعين على نطاق واسع القروض لشراء البذور الجيدة والاسمدة والالات والادوات الزراعيـــة .

وادخلت الثورة تغييرا جذريا على عمل العمال ومعيشتهم حيث حصل هؤلاء على الحق في يوم عمل محدد واجازات مدفوعة الاجر .وتتمتع النساء العاملات باجازات مدفوعة الاجر في فترة الحمل والعناية بالاطفال المرضى .ورفعت اجور الشغيلة الفقراء بنسبة تصل الى ٥٠ بالمئـــة ،وارتفعت تخصيصات الحكومة للغذاء المجاني لعمال وشغيلة مؤسسات القطاع العام بمقدار ٥٠ بالمئة في الاعوام الاخيرة.ويتسع بناء المساكن .وتتطور الخدمة الطبية،حيث اصبحت مجانية للكثير من المعوزين .وتحصل نسبة متزايدة من العمال وافراد اسرهم على امكانية قضاء اوقات الفراغ والاستجمام في بيوت الراحة .وقد افتتح اول هذه البيوت في جلال أباد،في قصر كان يملكه احد اقرباء الملك المخلوع ،ويرسل عدد كبير من الشغيلة للعلاج والراحة الى الخارج ،ولا سيما الى الاتحاد السوفييتي .

وانجز الكثير في مجال رفع مستوى السكان التعليمي والثقافي .وقد بلغت نسبة الامية في العهود الاستبدادية ٩٥ بالمئة من الشعب الافغاني (وكانت نسبة الامية بين النساء ارفع حيث قاربت ٩٨ بالمئة) .اما الان فيطبق برنامج محو الامية الذى سينجز حتى عام ١٩٨٧ بين سكان المدن ،وحتى عام ١٩٩٠ بين سكان الريف .وافتتح حتى الان اكثر من ٣٠ الف صف يدرس فيها ما يزيد على ٦٠٠ الف انسان وقد حصل حوالي مليون فرد على شهادات انهاء صفوف محو الامية .ولا تقتصر الدراسة على تعليم القراءة والكتابة بل تشمل ايضا تدريس مبادئ المعارف السياسية واسس النظرية الثورية الطليعية .ومجال الدراسة مفتوح الان امام جميع الافغانيين بغض النظر عن انتمائهم القومي او القبلي،الجنس او العمر .واقر قانون حول التعليم الابتدائي العام وفتحت ابواب المدارس امام مئات الالوف من الاطفال من مختلف القوميات ،الذين بدأوا يتلقون الدراسة للمرة الاولى بلغتهم الام .

وليس ثمة شك في ان انجازات السلطة الثورية كانت اكبر بما لا يقاس لو لم تلجأ الامبريالية واعوانها بصورة فظة ووقحة الى شن حرب غير معلنة ضد جمهورية افغانستان الديمقراطية .وتقوم الادارة الامريكية بدور الملهم والمنظم للعدوان الغاشم على دولة غير منحازة وذات سيادة،فهي تبذل الجهد الاكبر لتكوين وتسليح العصابات وارسالها الى افغانستان .فقد خصصت الولايات المتحدة لهذه الاغراض حوالي ٢٩٠ مليون دولار،بالاضافة الى النفقات على ما يسمى بالعمليات السرية .ولولا الدعم الامبريالي ولولا معسكرات التدريب خارج حدود افغانستان لكان وضع حد لهذه العصابات منذ زمن بعيـد .

Digitized by Birzeit University Library

وحتى الان ما زال الاوباش المعادون للثورة ينشرون الموت والدمار على الارض الافغانية. فقد دمر الدوشمان اكثر من ١٨٠٠ مدرسة و ١٥٠ مستشفى ومركزا طبيا وعشرات المساجد واماكن العبادة.وهم يقتلون المدرسين ونشطاء السلطة الثورية ويقومون باعمال التخريب ويفجرون خطوط نقل الطاقة الكهربائية لحرمان المؤسسات الصناعية من الطاقة والسكان الآمنين من الضوء والدفء.ويدرك العدو انه عاجز عن قهر الثورة في صراع مكشوف،لذلك تراه يلجأ الى اعمال التخريب لتعطيل الانتاج الصناعي والزراعي وعرقلة المواصلات وخلق المصاعب في ميدان التموين.والهدف واضح،وهو اثارة سخط الشعب ازاء المصاعب الاقتصادية ومحاولة تأليبه السلطة الثورية .

بيد أن مخططات الثورة المضادة تبوء بالفشل.فالوضع الاقتصادي في البلاد يستمر في التحسن.وقد تحقق في العامين الاخيرين النمو في جميع المؤشرات.وازداد اجمالي الناتج الوطني خلال هذه الفترة بمقدار ٥ بالمئة.وازدادت مخصصات الحاجات الاجتماعية حوالي المرتين وتتسع مساحة الاراضي المزروعة ويزداد انتاج القمح والخضار واللحوم ومحصول الحمضيات والمزروعات الزيتية.وارتفع في العام الماضي (١) انتاج المؤسسات الصناعية التابعة لقطاع الدولة والقطاع المختلط . وسجل ارتفاع كبير في استخراج الفحم والغاز وحجم اعمال الحفر والتنقيب،وانتاج الطاقة الكهربائية والاقمشة القطنية والصوفية وسلع اخرى . وبفضل الاعانات التي تقدمها الدولة تبقى اسعار مجموعة من الحاجيات الضرورية ثابته. وللمقارنةنورد المثال التالي : اسعار المواد الغذائية في افغانستان ادنى بثلاث مرات مما هي عليه في ايران وبمرتين مما هي عليه في باكستان .

وبعد ان تسلم حزبنا السلطة،اضطلع بمسؤولية تاريخية ازاء مصير الوطن والشعب،وقد انشئت بقيادة حزب الشعب الديمقراطي الافغاني في بلادنا سلطة ثورية تقوم على تحالف العمال والفلاحين،وتحظى بدعم فئات الشغيلة الاخرى والوطنيين الحقيقيين كافة . وهذه السلطة،التي تعتبر المكسب السياسي الرئيسي لثورة نيسان (ابريل) ،تشكل في الوقت نفسه السلاح السياسي الاساس للتعميق اللاحق للعملية الثورية.وفي مجرى التطبيق المتسق لقرارات الكونفرنس الحزبي الوطني العام (اذار / مارس ١٩٨٢) وبرنامج عمل الحزب الذى اقره الكونفرنس يجرى اشراك اوسع الجماهير الشعبية ومختلف الطبقات والفئات الاجتماعية في اجراء التحولات التقدمية والديمقراطية.يوفر الحزب لها امكانات جديدة لاكتساب الخبرة السياسية العملية الضرورية لتفهم وتقبل اهداف الثورة .

لقد حولت ثورة نيسان (ابريل) العمال من طبقة مستغلة (بالفتح) الى جماعة تملك وسائل الانتاج في قطاع الدولة.ان الارتفاع المطرد في دور الطبقة العاملة واهميتها في الحياة الاجتماعية ــ هي المهمة الرئيسية في السياسة الاجتماعية لحزب الشعب الديمقراطي الافغاني وترمي هذه السياسة الى جعل عمال مؤسسات قطاع الدولة القوة المتطورة بدينامية والاكثر تنظيما في ظروف الثورة الوطنية الديمقراطية .

Digitized by Birzeit University Library

وينعكس تطور الوعي الطبقي لدى هؤلاء العمال ونشاطهم العملي والسياسي بجلاء في عمل النقابات .وتضم هذه النقابات التي شكلت بعد ثورة نيسان (ابريل) اكثر من ١٦٠ الف انسان ،وتدافع المنظمات النقابية عن حقوق العمال والمستخدمين وتشارك في مراقبة تطبيق احكام قانون العمل وشروط العقود الجماعية في مؤسسات قطاع الدولة والقطاع الخاص.وتسعى الى تحسين ظروف العمل وتطوير الخدمات الاجتماعية والمعاشية.وتقدم صناديق النقابات عند الحاجة المعونة المالية والمعونات المادية الاخرى للشغيلة .

. ونتيجة لاعمال العدو التخريبية لا تزال مسألة توفير أمن المرافق الانتاجية والعاملين فيها تبرز بحدة خاصة.وقد رفعت النقابات شعار"امن المؤسسات من مسؤولية جماعة العاملين" . وقد حظى هذا الشعار بتأييد واسع .وتقوم فرق من العمال والمستخدمين اليوم بحراسة المؤسسات والمصانع الكبرى ،وينضم العديد منهم الى صفوف فصائل المتطوعين للدفاع عن الثورة .

وثمة ظاهرة جديدة تماما هي المباراة في ميدان العمل التي بدأت من عمال مؤسسات الدولة.ويناضل المشاركون في هذهالمباراة من أجل التوفير في المواد الاولية والطاقة الكهربائية وفي سبيل انجاز الخطط قبل موعدها وبتفوق.ويحصل الفائزون على جوائز مالية وشهادات تكريمية.واذ قيمت اللجنة المركزية لحزب الشعب الديمقراطي الافغاني ومجلس وزراء جمهورية افغانستان الديمقراطية واللجنة المركزية للمنظمة الديمقراطية للشبيبة الافغانية عاليا دور المباراة في العمل كوسيلة لتربية الشغيلة بروح الجماعية والاخلاص لمثل الثورة ،فانها رسمت في قرارها المشترك (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٢) التدابير الضرورية لتطويرها ونشرها على الصعيد الوطني العام . واصبحت الحماسة الوطنية والاندفاع الكبير في العمل سمة مميزة للمباراة التي نظمت بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لثورة نيسان (ابريل) .

وتعتبر ايام العمل التطوعي التي تنظم بمشاركة نشيطة من النقابات ،استمرارا وتطويرا للتقاليد الافغانية القديمة ،تقاليد التعاونوالتعاضد بين الجيران .فيعمل الناس بدون مقابل في تجهيز الاماكن السكنية بالمرافق العامة وترميم الطرق والمباني المدرسية والابنية العامة الاخرى .وساعد المتطوعون في بناء مطار غازني واقنية الرى في هزات وسدود تحويل المياه في ديهسابزى .وفي جميع مصانع ومعامل افغانستان ،في جميع مزارعها ومؤسساتها يعرفون رقم حساب المصرف المركزى ٩٤٦٢،حيث ترد الى هنا اجور العمل التطوعي ،التي تخصص لتقديم العون لليتامى الكثيرين بسبب جرائم قطاع الطرق ،وبناء بيوت للاطفال .

ان المباراة في العمل والاعمال التطوعية تعطي نتائج اقتصادية ومادية كبيرة.بيد أن المسألة لا تقتصر على ذلك.فهي وسيلة لا تقدر بثمن لاغناء التجربة السياسية ورفع وعي الطبقة العاملة بوصفها الفصيل القائد والطليعي للتطور الاجتماعي ،ذلك الفصيل الذى عليه ان يكون المثال للفئات الاجتماعية الاخرى ذات المواقف القومية الوطنية .

Digitized by Birzeit University Library

ويعتبر حزب الشعب الديمقراطي الافغاني بث الحيوية في نشاط سائر القوى الثورية والديمقراطية ذات المصلحة في انتصار النظام الجديد ،مهمة بالغة الحيوية.والفلاحون هم أكثر هذه الفئات عددا في أفغانستان ،لذا يولي حزبنا اهتماما خاصا لتطبيق الاصلاح الزراعي والمائي بصورة متسقة،وهو الذي يشكل من حيث الجوهر ،في ظروف بلد زراعي متخلف كبلدنا الاساس المادي للثورة الوطنية الديمقراطية.وقد أعدت اللجنة المركزيةللحزب والحكومة الافغانية برنامجا لمتابعة تنفيذ الاصلاح الزراعي خلال السنوات المقبلة.فمنذ ايار (مايو) ١٩٨٢ ،يستمر توزيع الارض في ثماني مقاطعات ،وبدأ تسليم الوثائق الجديدة التي تثبت ملكية الارض وحتى استخدام المياه.وترسم الخطط لاستصلاح مساحات شاسعة من الارض البكر والقيام باعمال الري والاصلاح هناك وتطبيق الاساليب التقنية الزراعية الطليعية وطرق تنظيم العمل الحديثة.ومن اجل الدعاية لهذه الطرق ومساعدة الفلاحين على اتقانها تقام المزارع الممكننة التابعة للدولة ومحطات الجرارات والالات الزراعيـــة .

ويعتبر نهج تنظيم الزراعة على أساس تعاوني الحلقة الرئيسية في الجهد المبذول لاعادة تنظيم البنية الاجتماعية للريف الافغاني واقرار العلاقات الزراعية الجديدة.ففي نهاية اذار (مارس) ١٩٨٢ اقر المجلس الثوري لجمهورية افغانستان الديمقراطية قانون التعاونيات ، الذي ينص على تشجيع ودعم مختلف انواع التعاونيات الانتاجية والتموينة والتسويقيةوتقديم العون للمنظمات التعاونية من خلال منحها القروض المصرفية ومساعدتها في امتلاك الالات والبذور من الانواع الجيدة والاسمدة الكيماوية وتصريف المنتجات الزراعية،ويعار اهتمام كبير للدعاية للحركة التعاونية.ففي الاجتماعات واللقاءات مع الفلاحين يجرى الحديث عن التعاونيات ،وكيف ،تحل المهام المطروحة امامها ،وعن الفوائد التي توفرها لاعضائها. ويعطي هذا العمل ثماره،حيث تضم التعاونيات اليوم أكثر من ٢٠٠ الف انسان . وتقام التعاونيات على اساس طوعي دون اى اكراه،خلافا لما كان يجرىللاسف ،في المرحلة الاولى من الاصلاح الزراعـــي .

ويشجع الحزب والسلطة الثورية كذلك مختلف اشكال التعاون بين الحرفيين والتجار والمنتجين الصغار.فهذه الفئات مدعوة لتأدية قسطها في عملية بناء افغانستان الجديدة المزدهرة،حيث تصب جهودها المفيدة للمجتمع في النضال من أجل التحولات الوطنية الديمقراطية التي تستجيب كليا ،من حيث مضمونها ،للمصالح الجذرية لهذه الفئات .

وتقترح السلطة الثورية مثل هذا التعاون النزيه الطويل الامد على البرجوازية الوطنية ايضا ،سواء في اطار القطاع المختلط او على اساس فردي.ويتمثل رأس المال الوطني في افغانستان اساسا في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة التي لا يرتبط اصحابها بالاحتكارات الامبريالية ولهم مصلحة موضوعية في ازالة التخلف وتطوير اقتصاد البلاد.وينتظر الحزب والحكومة من ارباب العمل الشرفاء ليس الالتزام بالقوانين المنظمة لنشاطهم فحسب ،بل

Digitized by Birzeit University Library

والموقف الواعي من حاجات الدولة والمجتمع ،والمساهمة في تلبية هذه الحاجات عبر المشاركة في توظيف رؤوس الاموال في مشاريع اقتصادية ملموسة على اساس المنفعة المتبادلة.

وانطلاقا من التحليل العلمي الموضوعي لبنية المجتمع الافغاني المعاصر واصطفاف القوى الاجتماعية الراهن ،يطبق حزب الشعب الديمقراطي الافغاني نهج اقامة الوحدة الوطنية القومية الواسعة وتوطيدها.ان مقررات الكونفرنس الوطني العام وبرنامج عمل حزب الشعب الديمقراطي الافغاني و"المبادئ الاساسية لجمهورية افغانستان الديمقراطية" (٢) والوثائق الاخرى للحزب والدولة ترسم بصورة عميقة وملموسة اشكال وسبل وطرق تحقيق هذه الوحدة وتنبع الحاجة الى هذه الوحدة من جوهر الثورة الوطنية الديمقراطية نفسه.وقد تجسدت في النظام السياسي الجديد الذى ظهر في بلادنا والقائم على الدور القيادى لحزب الشعب الديمقراطي الافغاني ،حيث يضم الى جانب اجهزة السلطة الجبهة القومية الوطنية مع كل المنظمات التي تنتمي اليهـــا .

لقد كان قيام الجبهة حدثا تاريخيا حقا في حياة شعبنا وهي منظمة اجتماعية ـ سياسية جماهيرية توحد وتضم جميع القوى الوطنية التقدمية بغض النظر عن انتمائها الاجتماعي ـ الطبقي والقومي ،من اجل بناء المجتمع الجديد العادل والدفاع عن استقلال افغانستان ازاء الاعتداءات الامبريالية.ان تحالف العمال والفلاحين هو اساس ونواة الجبهة الوطنية القومية، وحزب الشعب الديمقراطي الافغاني هو قوتها القائدة والموجهة.وتشكل المنظمات المنضوية تحت لواء الجبهة ـ النقابات ،التعاونيات ،الشبيبة،النساء الاتحادات الابداعية لرجال الادب والفن ،المجلس الاقتصادى الاستشارى الممثل لمصالح رأس المال الخاص،المجلس الاعلى للعلماء ورجال الدين وغيرها ،تشكل نظاما مرنا ومتشعبا يقيم الحزب من خلاله علاقات وثيقة مع الجماهير ويتعرف على قضاياها وامزجتها ويشرح سياسته ويعبئ الشعب للنضال في سبيل حل المهمات الملحة.والجبهة القومية الوطنية هي القاعدة الاجتماعية ـ السياسية للسلطة الشعبية واداة اقامة السلام المدني والنظام الثورى في البلاد وخلق الظروف لحل المسائل المتنازع عليها بالطرق السلمية،وصد التدخل المسلح للامبريالية والرجعية .

وتضم الجبهة في صفوفها اليوم أكثر من نصف مليون انسان ينتمون الى ١٦ منظمة اجتماعية مؤسسة للجبهة وكذلك اكثر من ١٠٠ الف عضو على اساس فردى.وتعمل منظماتها المحلية (بلغ عددها حتى الان ٤٠٨ منظمة) في ٢٤ مقاطعة من اصل ٢٩ مقاطعة.وتساهم في تطبيق الاصلاح الزراعي والمائي واعادة تنظيم التعليم الشعبي وفتح صفوف لمحو الامية وتنظيم ايام العمل التطوعي والحملات الاجتماعي الاخرى بمشاركة مختلف فئات السكان .

ان الجبهة القومية الوطنية هي الوريث التاريخي لتقاليد النضال التحررى للشعب الافغاني ضد المحتلين والمستعبدين الاجانب.فبالرغم من كل الفوارق الثقافية واللغوية

Digitized by Birzeit University Library

وغيرها القائمة بين مختلف الاقوام والقبائل المتعددة القاطنة بلادنا ،فانها تقف كلها صفا واحدا دفاعا عن الوطن في وجه الخطر الداهم .ولكن اذا كانت هذه الوحدة تقوم في السابق بصورة عفوية وحتى رغما عن ارادة الحكام الرجعيين الذين كانوا يؤججون التناقضات القومية والقبلية خدمة لمصالحهم المغرضة ،فانها تتطور وتتوطد اليوم بفضل السياسة المتسقة والهادفة لحزب الشعب الديمقراطي الافغاني والسلطة الثوريـــة .

وتتجلى هذه السياسة بصورة ساطعة في الموقف من اجتماعات القبائل التقليدية .فلهذه الاجتماعات جذورها العميقة في التاريخ الافغاني .فقد كانت تعقد عندما كان الامر يتطلب بذل جهود مشتركة للعثور على حلول للمسائل المعقدة والهامةاو لصد الاعداء .وقد ايدت السلطة الثورية هذا التقليد القديم وتابعت العمل بموجبه معتبرة اياه شكلا فعالا لاشراك جميع الاقوام والقبائل في الدفاع عن مكتسبات الثورة وتعميق التحولات التقدمية .وتشكل اجتماعات القبائل التي يشارك فيها ممثلون عن الهيئات الحزبية والحكومية اداة للمشاورة والتعاون بين السلطات والقبائل .ويعرب المشاركون في هذه الاجتماعات عن دعمهم لسياسة حزب الشعب الديمقراطي الافغاني والحكومة الثورية ،ويتخذون قرارات بالمشاركة في تنفيذ التدابير الاجتماعية ـ الاقتصادية والنضال ضد عصابات قطاع الطرق وحراسة الحدود التي يتسلل هؤلاء عبرهـــا .

ان سياسة حزب الشعب الديمقراطي الافغاني بشأن المسألة القومية مفعمة بروح الوحدة والتلاحم الوطني ،لا تحددها اعتبارات كنية بل جوهر ثورة نيسان (ابريل) نفسه .وهي تستهدف ضمان الحقوق المتساوية لجميع قوميات وقبائل البلاد وتمكينها من المشاركة على قدم المساواة في تسيير شؤون الدولة والمجتمع وافادتها من التقدم المادي والروحي وانطلاقا من ان احدى العقبات الاساسية امام حل القضايا الناجمة عن البنية القومية والعشائرية ـ القبلية المعقدة للمجتمع الافغاني تكمن في تفاوت مستوى التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي لمختلف مناطق البلاد ،نولي انهاض المقاطعات الاكثر تخلفا اهتماما خاصـا .

ويبذل الحزب والسلطة الثورية من أجل تعزيز علاقات الصداقة والاخوة وتقارب جميع الاقوام والقبائل ،وضمان الحفاظ على كل ما هو جيد وقيم في تراثها التاريخي والفكري وتطويره ، ويتجلى الطابع الوطني لثورة نيسان (ابريل) في كونها تأخذ بالحسبان خصائص الاقوام والقبائل القاطنة في افغانستان ،وتقاليدها العريقة ومشاعرها الدينية العميقة .

وقد صاغ حزب الشعب الديمقراطي الافغاني بصورة دقيقة ومحددة موقفة من الدين الاسلامي الذي تعتنقه غالبية سكان البلاد .وتستجيب مهام ثورتنا لامال وامالي الشغيلة المسلمين ونزوعهم نحو العدالة الاجتماعية الحق .ويضمن الحزب والسلطة الثورية فعلا حرية ممارسة الشعائر الدينية ويحميان الحقوق المشروعة للمسلمين ورجال الدين الوطنيين .ويتجلى في افغانستان الاهتمام بالمؤسسات الدينية وحماية اماكن العبادة وتقدم المساعدة في الاحتفال

Digitized by Birzeit University Library

بالاعياد وممارسة الشعائر الدينية الاسلامية.وتعمل جميع المدارس الدينية وتساعد الحكومة الحجاج الفقراء على اداء فريضة الحج.وتخصص الدولة الاموال ،اللازمة لبناء مساجد واماكن عبادة جديدة وترميم واعمار تلك التي تضررت اوتهدمت نتيجة اعمال العصابات المعادية للثورة.

ولا تبخل الرجعية الداخلية والخارجية في بذل الجهود لتأليب قسم من المسلمين الافغان ضد الثورة وسياسة الحزب مستغلة جهلهم وتخلفهم.ولكن هذه المحاولات تواجه بالحزم المطلوب.فقد جاء في نداء دائرة الشؤون الاسلامية والمجلس الاعلى للعلماء ورجال الدين : "نحن ورجال الدين في جمهورية افغانستان الديمقراطية،تأكدنا عمليا بان تدابير واعمال الحكومة الثورية تستجيب للمبادئ الاساسية للدين الاسلامي الحنيف.لا تصدقوا الاكاذيب الشريرة للعملاء وزعمائهم المنافقين المجرمين.التفوا حول حكومتكم".ان حزبنا والسلطة الثورية،اذ يحترمان المعتقدات الدينية للمؤمنين ،لايتهاونان ابدا ازاء محاولات اعداء الوطن استغلال الاسلام لاهداف الثورة المضادة وجعل افغانستان تحيد عن الطريق الذى اختارتـــه .

ويوظف مجمل عمل الحزب الفكرى ـ السياسي والدعائي ـ التحريضي بين الجماهير في خدمة مهمة اكتساب غالبية الشعب الى جانب الثورة وبناء الوحدة القومية والوطنية.وقد عولجت مسائل تطوير وتنشيط هذا العمل في الاجتماع التاسع الكامل والموسع للجنة المركزية للحزب الذى انعقد في نهاية تموز (يوليو) ١٩٨٢،حيث اكد : من أجل حكم البلاد،من اجل تحقيق التحولات الفعلية نحو الافضل ،تلك التحولات التي انتظرها شعبنا طويلا،على الحزب ان يصبح اكثر قربا من الشغيلة وان يوسع ويعزز صلاته بالجماهير.فالحزب قوى بثقة الشعب وتعاطفه ودعمه النشيط وينبغي ان يفهم الشعب بعمق اهداف الحزب ومحتوى نشاطه وتوجهاته الاساسية.ويتطلب ذلك جهودا دائبة ومثابرة في توضيح سياسة الحزب واهدافه ومبادئه البرنامجية،والدعاية لانجازات السلطة الثورية وفضح جوهر المخططات الرجعية الداخلية والخارجية المعادى للشعب.وينبغي ان نشن النضال بنشاط وفاعلية اكبر ضد التخريب الايديولوجي للاعداء وان نفضح افتراءاتهم الشريرة باتقان وسرعة،مدركين بانه يمكن للكلمة المنافقة ان ترتفع حيثما لا ترتفع كلمة الحـــق .

ان مهمتنا هي في الوصول الى كل انسان،ودفع جميع شغيلة افغانستان الىالحياة النشيطة الواعية.ويطرح هذا بحدة خاصة مسألة تحسين اشكال وطرق العمل الفكرى والسياسي الذى ينبغي ان يأخذ بالحسبان اوضاع مختلف فئات السكان وافكارهم وعاداتهم وتقاليدهم ومستواهم التعليمي والثقافـــي .

Digitized by Birzeit University Library

وتقع مسؤولية كبيرة في هذا المجال على عاتق وسائل الاعلام العامة ـ الصحافة والاذاعة والتلفزيون .ولكن في ظروف انتشار الامية وعدم وصول البث الاذاعي والتلفزيوني الى الكثير من مناطق البلاد ،تبقى كلمة المحرض الحزبي الحية ،الملتهبة والمفهومة السلاح الرئيسي في هذا المجال .وهي لا تقل اهمية بل تكون احيانا اكثر ضرورة واهمية من الرشاش في يد المقاتل .فالمعركة تدور من أجل الاستحواذ على عقول الملايين وقلوبهم .ولدى رفاقنا ،ما يواجهون به الدعاية المعادية فبراهين الحزب في الصراع الايديولوجي اكثر وزنا وقوة بما لا يقاس .

وتتوجه الفصائل التحريضية ـ الدعائية المؤلفة من نشطاء حزب الشعب الديمقراطي الافغاني والمنظمة الديمقراطية للشبيبة الافغانية الى المناطق النائية وتزور المقاطعات والاقضية .ويذهب "جنود الثورة" ،كما يسمى اعضاء هذه المجموعات ،الى القرى والساحات الريفية والاسواق الشعبية ،ويجرون الاحاديث مع السكان وينظمون المهرجانات الخطابية والحفلات الفنية ،وبفضل جهودهم ظهر العديد من فصائل الدفاع عن الثورة التي يضطلع افرادها بمهام الدعاية والتحريض ويقومون بدور حلقة الوصل بين الحزب والجماهير الشعبية الواسعة .

ان الاتجاه الرئيسي للعمل الفكري ـ السياسي الجماهيري اليوم هو توضيح مواد الكونفرنس الحزبي الوطني العام وبرنامج عمل الحزب ومقررات الاجتماعات الكاملة التاسع والعاشر (كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢) والحادي عشر (اذار / مارس ١٩٨٣) للجنة المركزية للحزب والدعاية لها ، وهي لا تناقش في المنظمات الحزبية وحدها ،بل وفي جماعات العاملين والتعاونيات الزراعية والوحدات العسكرية ،وفي اللقاءات مع رجال الدين واجتماعات القبائل والطوائف الدينية .وتحت شعار دعم قرارات الكونفرنس الوطني العام جرت في جميع انحاء البلاد مهرجانات خطابية واجتماعات ومظاهرات .وفي كانون وحدها جرت مظاهرة شارك فيها حوالي ٢٠٠ الف انسان .

وتعتبر اللقاءات الدورية بين الشغيلة وقادة الحزب والدولة احد الاشكال الهامة لتوطيد صلات الحزب والسلطة الثورية بالجماهير .وتساهم هذه اللقاءات في التعرف على حاجات وامانى الشغيلة ،ومن الجهة الاخرى تعتبر نوعا من كشف حساب يقدمه الحزب والدولة لما تم انجازه من أجل تحسين حياة السكان ورفاهيتهم .وهي ،اذ تشكل تعبيرا عن الطابع الديمقراطي الفعلي للنظام الجديد ،تساعد على ايجاد الحلول اللازمة للمعضلات الحادة وازالة النواقص دون تأجيل واتخاذ الاجراءات لتسريع وتائر التطور الاجتماعي الاقتصادي .

والحزب ،اذ يربي الجماهير بروح الوحدة القومية ـ الوطنية وحب الوطن ،لا يغفل عن أن يعزز لديها الشعور بالتضامن الاممي مع قوى السلام والديمقراطية والتقدم في العالم ومع كل

Digitized by Birzeit University Library

من يكافح ضد الامبريالية والاستعمار والهيمنة والعنصرية والرجعية العالمية .

وفي الوقت نفسه يرى حزب الشعب الديمقراطي الافغاني والسلطة الشعبية من واجبهما الوطني والاممي ان ينقلا بصورة مقنعة الى وعي القوى التقدمية في العالم الحقيقة الاساسية، ومفادها ان سيادة وحرية افغانستان وسعادة ورفاهية شعبها لا يمكن ان تؤمن الا في ظروف التوطيد والتطوير المطرد للصداقة الاخوية والتعاون المثمر مع البلدان الاشتراكية، وفي طليعتها الاتحاد السوفييتي. وحزبنا اذ يثمن عاليا مستوى العلاقات بين دوليتينا يرى ضرورة الاستمرار في زيادة فاعلية التعاضد الافغاني السوفييتي. ان العون السوفييتي المتنوع والهائل سيبقى الى الامد في ذاكرة الوطنيين الافغان كمثال لا يخمد للاممية الحقيقية. ويرغب حزبنا والحكومة الثورية في ان يعرف الناس في العالم اجمع الحقيقة عن التعاون التضامني بين الشعبين الافغاني والسوفييتي، وان يفهموا جيدا معنى الصداقة فيما بينهما، وهي صداقة لها من العمر اكثر من ستين عاما وقد تحولت بعد انتصار ثورة نيسان (ابريل) الى اخوة حقيقية.

وبالرغم من المصاعب الهائلة الناجمة عن المؤتمرات العدوانية للأمبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية، والرجعية الاقليمية والمحلية، تستمر عملية التجديد الثورى في افغانستان بنجاح. فبقيادة حزب الشعب الديمقراطي الافغاني تطبق في البلاد تدابير النهوض بالاقتصاد والثقافة الوطنية وتوطيد الشرعية والنظام الثوريين وتأمين الحريات والحقوق الديمقراطية وارساء علاقات الثقة والتعاون بين جميع القوى الثورية والوطنية على اساس جديـــد .

وستكون وحدة هذه القوى الدعامة الامنية للحزب والسلطة الشعبية في الدفاع عن مكتسبات الثورة، والكفيلة بضمان انتصار الشعب الافغاني في الحرب غير المعلنة التي تشنها الامبريالية العالمية ضد جمهوريتنا، في النضال من أجل بناء المجتمع العادل الجديد في بلادنا. ومن أجل توطيد السلام والتقدم الاجتماعي في العالم باسـره .

الهوامـــش :

١) يبدأ العام الجديد وفقا للتقويم الافغاني في ٢١ اذار (مارس) ـ المحرر .
٢) سارية المفعول منذ نيسان (ابريل) ١٩٨٠ الى حين اقرار الدستور الجديد للبلاد .

عن مجلة
قضايا السلم والاشتراكية

Digitized by Birzeit University Library

مع يوليوس فوتشيك
في
«تحت أعواد المشنقة»

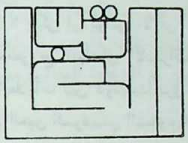

بقلم / خالد نعيم ـ تشيكوسلوفاكيا

"لقد عشنا للفرح
وخضنا النضال من أجل الفرح
وفي سبيل الفرح نموت "
ى ٠ ف

بهذه الكلمات الغنية عن التنويه ختم يوليوس وصيته فكانت آخر نبرة من نبرات صوته تتردد في ارجاء هذا العالم ٠وبعد أربعين عاما أسمعها كأنها صدرت لتوها واكاد ارسم صورة قائلهـا ٠٠٠٠ يوليوس فوتشيك عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكو سلوفاكي رئيس تحرير الصحيفة المركزية للحزب من داخل الزنزانة ٢٦٧ "ومن قلب المجموعة ٤٠٨ "ومن تحت اعواد المشنقة النازية يخاطبنا ونحن نقرأ ٠ ولا نمل القراءة ولو بعد أربعين سنـة ٠٠٠٠

لا أعتقد أن انسانا لديه ذرة من تفكير وجزء من قلب انساني يقف ويوليوس تحت المشنقة ويقف حياديا ٠كلا انك ستؤخذ بهذه اللوحة الفنية الرائعة ٠فأنا لا أجد معنى للحياد حيال هذه الروعة التي خلفها يوليوس ككلمة ختامية لحياة ٠٠ وأية حياة هي ٠٠ ١١١ بروح نضالية وثابة وبقلب قائد مؤمن ملتزم ٠بقلم أديب فنان ٠بريشة رسام ملهم وبوحي شاعر خصب ٠٠ وبواقعيه ٠٠وبصيرة عالم ثاقبة ٠رسم يوليوس هذه اللوحة التي أقف أمامها عاجزا عن تفضيل جزء على جزء ٠أو تقديم شيء على شيء ٠بهذه القراءة ٠٠٠وان ما أبديه من اعجاب بهذه الروعة ليس افتتانا عاطفيا ٠انما هو احساس صحيح ٠واعتقد جازما أن عشرات الالوف ممن سبقوني لقراءة هذه اللوحة الرائعة ان لم يكن مآت الالوف قد اعجبوا وربما أكثر مني ٠وتصل قناعتي حـــدا يجعلني أعتقد أن الضباط النازيين قد حنوا هاماتهم احتراما لذكرى هذا البطل أمام صفحات هذه اللوحـــة "

Digitized by Birzeit University Library

... بوحي الشاعر الخصب يحملك يوليوس من مكانك وزمانك ويسافر بك عبر الزمان وتجلس معه في الزنزانة (٢٦٧) لتشاهد على جدرانها شريطا سينمائيا يعرض باستمرار على شاشات الزنازين ..

"كل من دخل زنزانة وحرم من أى وسيلة من وسائل التسلية يتخذ جدران الزنزانة شاشة للعرض ومن ذاكرته آلة عرض يعرض شريط ذكرياته" .ونحن الان أمام شريط من الذكريات المرّ العذاب لهذا الفنان القائد البطل ...

ان يوليوس لا يعرض علينا شريطا متسلسلا وانما يعرض علينا صورا تبدو أحيانا متناثرة فهو في كثير من الاحيان يقدم جزء من الصورة ويسْطح شأنه بذلك شأن الشعراء ثم يعود لصورة مرة اخرى ليكملها كفنان ملتزم،لا ينسى أدق زوايا الصورة،وخلال هذا يقف كقائد عملاق يمارس النقد الذاتي لتجربة نضالية وكمعلم ذكي يوضح اين الخطأ وكطبيب ماهر يقدم العلاج وبهذا يضع يوليوس تجربته الثورية في النضال السرى بين أيدينا لعلنا نستفيد .ولا ينسى أن يقدم لنا تحليلا للاشخاص الذين لهم علاقة بأحداث قصته والذين هم أبطال حقيقيون وليسوا من خيال يوليوس وان أضفى على البعض منهم ظلالا ملونة بحكم العواطف البشرية التي تربطه بهم من رفاق وأعداء .فهو انسان نراه يحب ومن منا لا يحب زوجته ؟ وكيف لا يتفانى في حبها وهي رفيقة نضال، تلك الزوجة التي وقفت أمام النازيين بتحد حينما طلب منها الضابط أن تحزم أمرها مع زوجها وتقنعه بالاعتراف ليكون عاقلا والا ستموت معه .

بكل شموخها النضالي قالت : "لا يخيفني هذا أيها الضابط فهذا آخر ما أتمنى ـ اذا كنتم ستعدمونه فخذوني الى الموت معـه ."

وهو يوليوس ، السجين الذى ينتظر الحكم بالاعدام، وتنفيذه بعد أيام فهو يعد الايام متأرجحا بين أمل أن تتبدل الاشياء لصالحه خلال ايام الانتظار وتخوف أن يعجلوا باعدامه بسبب تلاحق الاحداث .انه انسان طبيعي يتأرجح بين اليأس والرجاء في أيامه الاخيرة وينقل أحاسيسه بصـــدق .

ولا ينسى يوليوس أن يقدم صورا ربما أغفلها ويغفلها كثيرون وربما استفاد منها كثيرون وهي : ان أدوات اى حكم رجعي او فاشي او امبريالي لا بد أن تجد بينها من يتعاطف معك، فمهما بلغت بُهمة الليل من الحلكة نجد هناك نجما يتلألأ بوميض رفيق، ولكن عليك أن تعرف هذا وتعرف كيف تستفيد منـه .

فقد وجد يوليوس في السجن (ببنانكرك) وجد (أدولف كولينسكي) بلباس الجستابو يمد له يد العون ويقدم له القلم والورق ليكتب آخر كلماته للاجيال القادمة. ويوليوس صحفي تسرى الكتابة في دمه وتواتيه فرصة من جديد ليكتب فلم لا يكتب ولكن بعد ان يثق يكولن ويصنع منه شخصا بل (تمثالا رائعا) حسب تعبير (أبتي) . رفيق يوليوس في الزنزانـــــة وعند ذلك كتب يوليوس وبفضله قرأنـــــا .

Digitized by Birzeit University Library

ـ كان يوليوس ورفاقه أمام الموت وجها لوجه وهنا نستمع لما يقول يوليوس:

"ان القرب من الموت يكشف عرى كل انسان سواءكان ثبت اتهامه ووضعت على ذراعه اشارة حمراء أو من يشتبه بهم أو حتى الحراس.فالقرب من الموت ينزع عن الانسان كل الاقنعة ولا يستطيع الكلام أن يغطي أحداء ففي كل نفس بشرية ضعف وقوة، شجاعة، وجبن صمود واستسلام وعند الاقتراب من الموت وحين يهب اعصاره... شيء واحد يبقى ولا يمكن الجمع بين النقيضين في تلك اللحظـــة ... "

في الغرف (٤٠٠) من قصر بيتشيك (وهي غرفة انتظار يجلب اليها السجناء فيلتقون تمهيدا لنقلهم الى غرف اخرى للتعذيب. هناك من يصمد، وهناك من يتهاوى وبنهار، هناك يظهر الناس بوضوح. اناس يذهبون الى غرف التحقيق (أوالتعذيب) ويعودون مع الانين وأخرون يذهبون وعليهم امارات المهابة وحين يعودون لا يستطيعون رفع رؤوسهم للنظر في عينيك. عندما تعرف من صمد ومن خان يقـول :

"بعض الناس أقوياء ما داموا مع رفاقهم، واذا انفرد بهم العدو وضغط عليهم يضعفون فيجبنون ـ فيخونون الضعف ـ الجبن ـ الاعتراف ـ الخيانـــة

وحين يكتشف يوليوس باستنتاجات منطقية شخصية الخائن وهو رفيق في اللجنة المركزية ويلتقي به. ولا يستطيع هذا أن يرفع عينيه اليه عندما يتذكر مقالة السجان (كن عاقلا واتج بجلدك) حيث يركز المحقق على ابراز الانا لدى مستجوبه وهو يعلم. ويعلم يوليوس أيضا أن التعقل المطلوب منه معناه الخيانة. ويستنتج أن رفيقه قد تعقل على الطريقة النازية لينجو بجلده لعله لا يقتل فيعيش. وهنا يصرخ يوليوس صرخة مدوية (أية حياة هذه التي يمكن تشترى بحياة رفيق آخر أو رفاق آخرين) ثم يدقق النظر بصورة ذلك الرفيق الخائن ومن هم على شاكلته فتثير في نفسه الشفقة والاشمئزاز (ان مرآى الناس الذين يعذبهم ضميرهم آشد هولا من منظر الناس المعذبين جسديـا) .

أولئك الذين خافوا من الموت ففضلوا النجاة على التضحية يكتشفون أنهم بهذه الحياة، التي اشتروها بحياة رفاقهم، لم يكسبوا حياة بل انهم يموتون كل يوم وكل ساعة مرآت ومرآت فيفقد الواحد منهم شخصيته ويحتقره رفاقه واعداءه ويصل به الامر ان يحتقر نفسه فلا يبقى منه سوى جدث يمشي على الارض وعرق ينبض بلا حياة .

وهنا يقدم يوليوس موقفا حاسما في الحياة النضالية، هو موقف المناضل السجين أمام المحقق. بل انها معركة الصمود في خندق متقدم في ظهر العدو .فالمحقق يسعى الى افتراس النضال والمناضلين. وممارساته تبدأ من المتابعة مرورا بالاعتقال والتحقيق والتعذيب وحتى اصدار الحكم والانتظار للتنفيذ .كل هذه أسلحة بيد المحقق وحين يبدأ الاستجواب لا يكون للمحقق سوى هدف واحد هو الاعتراف، الاعتراف بالعلاقات النضالية ليتسنى له تدمير النضال. اما أن يصمد المعتقل فيفقد المحقق أعصابه ويعذب، واما أن ينهار المعتقل و(يتعقل)

Digitized by Birzeit University Library

على الطريقة النازية فيجثم المحقق على جثته يمزقها ويفترس النضال.ان تجربة يوليوس مع الجستابو تقدم لنا صورة واضحة للمعركة.معركة التحدى التي يخوضها المستجوب امام المحقق الذى يستعمل الاغراء والتهديد والتعذيب لينتزع الاعتراف.ومن الجدير ذكره أن التحدى أحيانا يكون بدعوى اليأس للحصول على الموت بدون عذابات أما لوحة فوتشيك تقدم التحدى المؤمن بحتمية النصر.تحدى المدرك لواقع الظروف التي يعيشها بلا يأس. حينما هاجمت الشرطة منزل (جيلينيك) أمروا الجميع أن يرفعوا أيديهم فوق رؤوسهم فسألت ماري زوجها بحنو :ـ

ـ وماذا سيحدث الان يـا جـو ؟

ـ الـــزوج :ـ

سنموت يـا منغ . فتضع يدها على يده كأنها تعاهده فتنالها لكمة هي وزوجها فتقول :

ـ يا للاولاد الحلوين ... يا لوحشيتهم الغطيعة

ويؤكد يوليوس أن وصف مارى كان دقيقا فتيان شباب ومتوحشون جدا.كذلك شاهدنا موقف زوجته مع الضابط النازى.

أما يوليوس حينما قال له المحقق عرفنا كل شيفتكلم أجاب بهدوء :

(ـ اذا كنتم عرفتم فلماذا تسألونني ؟)وحين يحادثه مدير السجن عن جمال براغ في الربيع يجيبه "ستكون براغ أجمل حين لا تكونون فيها "

ـ وفي الكتاب فصل خاص يقدم تحليلا لانواع من الناس كانت لهم علاقة مباشرة مع يوليوس ورفاقه في السجن ونهتم بمن يسميهم يوليوس الاشكال وهم من الحراس .

١ ـ نوع من الحراس التشيكيين يحطم أسنانك في مكتب التحقيق أمام الضباط الالماني لينتزع منك اعترافا بينما تجده أنيسنا في غرفة (٤٠٠) حتى أنه قد يقدم لك كسرة خبز أو لفافة تبغ من أسلابه وما ينهبه أثناء حملات التفتيش فهو"يشعل شمعة لرب الرايخ في مكتب التحقيق وشمعة أخرى للشيطان الاحمر في الغرفة (٤٠٠) .

٢ ـ نوع آخر لا يؤذيك من نفسه ولا يقدم لك مساعدة.وان قدم مساعدة فهي شحيحة . هؤلاء تعرفهم بأخبار الحرب وتعرف أخبار الجبهات بهم.فان كان الالمان يزحفون على ستالينغراد فهم متزمتون رسميون.وان صدّ هجوم الالمان شرعوا يتحدثون معك بأنس ولطف عن عوائلهم التشيكية ويشرحون لك كيف أكرهوا على العمل في الرايخ .

يحافظون على شعرة معاوية"

٣ ـ نوع آخر من المفتشين يرونك وأنت تعترف وهم يضعون أيديهم في جيوبهم وحين يلاحظون أنك وصلت للضفة وحدك يمدون يد المساعدة .كثيرون منهؤلاء المفتشين حاولوا التعاون مع المجموعة (٤٠٠) لأنهم قدروا قوتهم غير أنهم لم يحاولوا الانتماء لها. "المجموعة (٤٠٠) هو اصطلاح أطلقه يوليوس على الغرفة (٤٠٠) حيث يلتقي الرفاق في خندق المواجهة ويتعرفون على أخبار بعضهم "

Digitized by Birzeit University Library

٤ ـ هناك نوع لم تكن تعنيهم المجموعة (٤٠٠) وكل ما كان يهمهم نزواتهم فهم يتلذذون بالتعذيب والقتل .

٥ ـ هناك نوع تجلهم وتحترمهم كانوا قبل الاحتلال النازى ضد الشيوعيين ولكن مع الاحتلال وبعد مشاهداتهم للنضال وصمود الشيوعيين عاونوهم بكل الوسائل المستطاعة رغم المخاطر المحدقة بهم فقد أنقذوا حياة الالاف وخففوا من مصاب الذين لا أمل في انقاذهم. هؤلاء يستحقون لقب الابطال وأجمل ما فيهم أنهم ليسوا شيوعيين .

كانت الحياة في السجن آخر تجربة نضالية خاضها يوليوس . لذا رأينا قد كرس زائفته للحديث عنها أكثر من غيرها ففي خضمها كتب ولذا تجدها قد أخذت نصيبا مهما من كتابه .

السجن والوحدة كلمتان مقترنتان لدى الناس. غير أن يوليوس ومن تجربته ينفي هذا الاقتران بين الكلمتين. يوليوس السجين السياسي في زنزانة يؤكد أنه لم يعرف الوحدة اطلاقا حتى في ساعات الغيبوبة اثر التعذيب. هناك في السجن مجتمع آخر يتصل ببعضه بوسائل لا تحصر طرقات على الجدران وابواب الزنازين، نصف ساعة رياضة صباحية، لمسة يد رفيق على جرح. عيون تنظر اليك من الثقوب وأنت ذاهب او عائد من غرفة التحقيق. ان سيجارة تمد اليك خفية كفيلة بتحطيم كل أسوار السجن والعزلة. وتعيد اتصالك بالعالم وتؤكد انتماءك اليه. ان ضغطه يد من أحد سجناء الخدمة تنقل لك أخبار المعارك بالتفصيل وتصلك بابعد نقطة بالعالم، ان ايماءه من عين بطرف خفيف تشيك السجن. لست وحدك .

أنت في خندق متقدم في قلب مواقع العدو محاصر ويقصف من كل الجهات وأهون ما يريده العدو موتك وتتراوح أهدافه ما بين موتك جسديا او موتك نفسيا بالاعتراف. والمسافة بينهما بعيدة لذلك تحس انك ملزم مع رفاقك ان تكون واقفا ثابتا لا تبدى ضعفا بل يجب عليك ان تبقى دائما مرفوع الهامه شديد الجلد لتحافظ على روح معنوية عالية بين الرفاق. ليبقى الجميع على تشكيلتهم مجموعة صدامية متماسك في موقع متقدم. يجب ان لا يخترق العدو مجموعتنا ـ هنا تبرز بجلاء شخصية القائد الملتزم الذى يقدر مسؤوليته حق قدرها ويعلم أن استشهاده يزيد توهج الشعلة ولا ينقص منها بل يزيدها توهجا واحمرار بدمه .

ويحاكم يوليوس. ويحكم بالاعدام وينتظر الايام المئة بين الحكم والتنفيذ. ويتوقع ان تتبدل الاشياء لصالحه فلا يعدم، أو أن الاحداث تعجل باعدامه. وهذا ما حدث فعلا كما أخبرتنا زوجته بمقدمة الكتاب .

كان يوليوس متأكدا من نهايته، فلذلك أوصى وخاصة على ليندا التي ترمز لابناء جيل الغد الذى عشناه ولا زلنا نعيشه أوصى بتثقيف ابناء هذا الجيل لكي لا يعيشوا على أمجاد الماضي فيركبهم الغرور ويتخلوا عن النضال بتحقيق النصر الاتي الاكيد. وانما بعد النصر هناك مسؤوليات جسام .

ـ شخصية القائد المعلم يوصي بالحفاظ على عوامل استمرارية النضال الذى لا يعرف حدودا

Digitized by Birzeit University Library

للمكان ولا للزمان .وهو يبين لنا كيف أن النضال الدائب المستمر يحول الانسان العابث الى انسان جدى منتج كما حدث للندا الطفلة العابثة استطاع هو أن يحولها لمناضلة صلبة .

وادراك يوليوس لحتمية اعدامه لم تكن بدافع اليأس أو الاستسلام لواقع يعجز عن مجابهته فقد استمر في المجابه حتى رفع على أعواد المشنقة فهو لم يفقد نظرته المستقبلية وايمانه بحتمية النصر فيقول :

"ان من يحاول أن يبني من تراب الماضي سدا ضد طوفان الثورة ان هو الا "سكل" من خشب متعفن حتى لو كانت كتفاه مثقلين بالنياشين .

وان من يدافع بدمه عن المستقبل بامانة ويسقط في سبيل بهائه انما هو شخص منحوت من ضحـــر "

وهو يؤمن بخلود المناضلين الشهداء الذين سقطوا من أجل المستقبل يقول "انني رغم الاعدام سأعيش في سعادتكم "

وهو يدرك أن حياته في الزنزانة واعدامه جزء من طريق الانسانية نحو النور نحو المستقبل ... يقـــول :

"رحلة الانسان صوب النور ما زالت بعيدة ... رحلة شاقة تمر عبر الزنزانة وغرف المشانق والعرق . . .والدم والعذابات الطويلة ..."

ولا ينسى يوليوس واجبا ثوريا يمليه عليه التزامه فيقدم لنا الدرس الذى استفاده من تجربته المتعلقه ببعض ضرورات النضال السرى :-

١ ــ التقيد الدقيق والصارم بوسائل الاتصال المنظمة بين القاعدة والقمة وتجنب أى خرق لهـذه الوسائـــل .

٢ ــ الحذر من أعوان المخابرات المعادية.فان أى جهاز مخابرات مهما بلغت قوته لن يكتشف أى تنظيم سرى محكم الا اذا اخترقه سواء بمنح الثقة بمن لا يستحقها أو الترثرة .

٣ ــ حين يكون المجال مراقب بكثافة لا بد من التنكر للوصول الى المكان المقصود.

٤ ــ اذا كان هناك اتفاق على لقاء نضالي وتم اعداد الترتيبات اللازمة لعقد هذا الاجتماع لا بد من عقدة حتى لو لم يكن للاجتماع أهمية فانه لقاء بين رفاق وهذا مهم .

٥ ــ ان حضور اشخاص اخرين الى مكان الاجتماع أمر خطير حتى ولو كانوا ينتمون لنفس التنظيـــم .

٦ ــ لا بد للقائد ان يكون سريعا في تقدير الموقف ويتصرف بحكمة للحفاظ على أرواح رفاقـــه .

Digitized by Birzeit University Library

٧ ـ اذا اعتقل المناضل يجب ان لا يعتبر أن كل شيء انتهى وأن علاقته برفاقه انتهت وأنه بقي وحيدا .فيضعف .

٨ ـ المناضل الحق لا يخـــون .

ونحن اذ نستخلص هذا الدرس من تجربة فوتشيك فهو يوضح أن مخالفة بعض هذه القواعد تسببت باعتقال الكثيرين من الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي بما فيهم اللجنة المركزية .

ـ أحد أعضاء الحزب وثق بأحد عملاء الجستابو،وقام هذا العضو بالاتصال (بميركو) عضو اللجنة المركزية ولم يكن يدر أن ذلك العميل (باعه)فوضع تحت المراقبة،ولم يكن من حقه الاتصال بميركو،فوضع ميركو تحت المراقبة وكان يتصل بأسرة جيلينيك وليتقي بيوليوس هناك فوضع بيت جيلينيك تحت المراقبة وحينما داهمت الشرطة منزل جيلينيك كان وجود يوليوس صدفة وكان من مساوئ الصدف أن أسرة أخرى حضرت اللقاء وما كان ينبغي أن يحضروا فاعتقلوا ولم تتعرف الشرطة على هوية فوتشيك (بـروفسور هوراك) ببطاقة مزيفة حتى (تعتقل) (ميركو)هذا الاخير ودلهم على اسم فوتشيك فاكتشفوا ان صيدهم ثمين ولم تكن أسرة جيلينيك وحدها ورغم أن يوليوس قد خصص فصلا لوصيته الخاصة الا أنه في أكثر من مكان ترك وصيتـه عامـــة ... يقـول ...

... عليكم انتم يا من ستحتازون المحنة أحياء أن لا تنسوا،لا تنسوا الطيب ولا الشرير. اجمعوا بأناة البنية عن كل ضحية فسيأتي وقت يكون فيه الحاضر ذكرى وسيتحدث الناس عن عصر عظيم وعن ابطال مجهولين صنعوا التاريخ وليكن معلوما أنهم ما كانوا أبطالا مجهولين وانما بشر لهم أسماء وقسمات وتطلعات وآمال،وان عذابات أقل هؤلاء شأنا ما كانت أقل من عذابات أول من خلدت اسماؤهم فليكن كل أولئك اعزاء عليكم دوما مثل اناس تعرفونهم عن قرب.... فتعلموا ان تملأكم المحبة لواحد من أولئك على الاقل كأنه ابنكم أو ابنتكم ولتشعروا بالاعتداد به بوصفه انسانا عظيما وهب حياته من أجل المستقبل ... "

في وصيته اهتم بنتاجه الادبي الذى تم منها والذى لم يتم،ولم ينس أسرته والديه وشقيقتيه وأرسل تحية نضالية لرفاقه باسم زوجته واسمه قائلا لهم بتواضع "لقد أدينا واجبنا" ولم ينس ان يضع بين يدى الطبقة العاملة حكمة رائعة "العامل فان والعمل لا يموت"

ـ وخلال قرائنا لرائعة يوليوس نجد في زاوية منها صورة رومانسية

"كم هو محزن أن يكون المرء الجندى الاخير الذى يصاب بآخر لحظة من الحرب بطلقة في القلب.... ولكن لا ان يكون أحدهم هو الاخير ... ولو أنني عرفت أنني سأكون الاخير لاندفعت بلا تردد ...."

Digitized by Birzeit University Library

وبعد

هذه قراءتي لليوليوس فوتشيك بعد ثمانية وثلاثين سنة من استشهاده ...

أراني اعيش معه وأكاد المسه بيدى وهو متنكر بزى شيخ عجوز منتحلا شخصية (البرفسور هوراك) وأكاد أتحسس آلامه في الزنزانة(٢٦٧) وأكاد أشم أنفاسه القوية الوثابة الهادئة ونظرته الثاقبة في وسط المجموعة (٤٠٠) رغم الجراح الظاهرة في وجهه وأطرافه وأكاد أسمع وقع أقدامه الثابته وهو ذاهب لساحة الاعدام وترن في اذني كلماته ...

لقد عشنا للفرح
وخضنا النضال من أجل الفرح
وفي سبيل الفرح نموت

لذلك ولكل تقدير واجلال أضع باقة حب على ذكرى هذا الفنان الملهم والقائد الصلب والمعلم الذكي والمناضل المنتزم بمبدئه حتى الموت،

فلا نامت أعين المتخاذلين

Digitized by Birzeit University Library

شخصية العربي في الأدب العبري

بقلم / انطوان شلحت

■ قبل مغادرتنا البلاد لوحظ أن ثمة اهتمام اعلامي واسع ببحث موضوع "شخصية العربي في الادب العبري*". لقد فجر هذا الاهتمام الاخير محاضر كبير في موضوع علم النفس في كلية التربية التابعة لجامعة تل أبيب، د. دانيئيل برطل، خلال ندوة بعنوان "التعليم في ظل الحروب" انعقدت في مطلع نوفمبر الحالي في جامعة تل أبيب. وذلك حين أعلن أن غالبية كتب التدريس في المدارس العبرية تصور العرب بضوء سلبي.

ان مجرد عقد هذه الندوة ومجرياتها دلّ على مأزق رجال التربية الاسرائيليين ازاء أسلوب تكريس العداء للعرب الذى يتبعونه في تربية الاجيال الناشئة.

وقبل أن يتيسر لنا استقراء تفاصيل هذه الكتب الدراسية نشرت الصحفية نيلي مندلر مقالا جريئا في صحيفة "هآرتس" (نوفمبر ١٩٨٣) قدمت فيه بعض الامثلة من هذه الكتب. وهي، بغالبيتها، كتب تدريس اللغة العبرية (قراءات اسرائيل) في الصفوف من الاول الى الثامن.

واليكم عددا من الامثلة التي وجدتها في هذا المقال:

× "انتصرنا على العدو" ـ قصة لحاييم هزاز (قراءات اسرائيل للصف الثامن ـ طبعت سنة ١٩٧٩): "لسنا شعب حرب ... لم نحتل مصر ولا آشور ولا بابل جيراننا ولا حتى جبل لبنان القريب منا جدا والذى رغب به صاحب نشيد الانشاد وشعراء سفر المزامير".

× "حرب الاستقلال" ـ نشيد. كلمات لفين كفنيس (قراءات اسرائيل للصف الثاني):

* قدمت هذه الدراسة الى اسبوع فلسطين الثقافي الذى عقد في لندن في اواسط شهر تشرين الثاني ١٩٨٣.

Digitized by Birzeit University Library

"في سبع طرق هربوا وجثوا وسقطوا وتململوا .مضروبين وموجوعين تفرّق المتعجرفون (المقصود العـــرب) .

x"في الماء وفي النار" ـ قصة لاليعزر شموئيلي

قراءات اسرائيل للصف الرابع ـ طبعة سنة ١٩٧٩ : القصة تدور حول صبي عمره ١٢ عاما تطوع في "حرب التحرير" (كارثة ١٩٤٨ في القاموس الاسرائيلي الرسمي) لجلب الماء للمقاتلين اليهود المحاصرين في القدس .يمسك به العرب ويضعون المتفجرات في مزادته ويرسلونه الى اليهود ويداه موثوقتان وراء ظهره والمزادة ملتصقة بجسده .فينفجر الصبي الى شظايا أمام أعين المقاتلين اليهود . .ولدى سماع صدى الانفجار يرتفع من مكان تواجد المقاتلين العرب صوت "ضحكات هستيرية" .وبالاضافة الى المغزى العام للقصة يصف المؤلف العرب بأوصاف "الشريرين" و"الانذال" .

x"دينهلة الراجمة" ـ قصة لمناحيم تلمي (قراءات اسرائيل للصف الرابع) : "لو عرف عدونا من الذي يقصفه بهذه الاقذائف وبهذه الدقة وبهذا الاجتهاد .لو عرف أن الذي يقصفه هما فتاتان عبريتان لكان أغمي عليه من فرط الخجـل " .

x"جيوش العدو"ـ قصة ليتسحاق سدية (قراءات اسرائيل للصف الرابع) : " تقدم العرب بدون مقاومة في قرية عربية أخرى. لكن هذا الامر لم يمنعهم من الاعلان عن انتصاراتهم : جيشنا العظيم دخل بئر السبع .جيشنا العظيم احتل جنين .وحدتنا استولت على اللد والرملة وهكذا دواليك .اخفوا عن شعبهم ،عمدا وعن سبق اصرار ،أن كل هذه الاماكن كانت قرى عربية ولم تكن ثمة حاجة البتة لاحتلالها .ولكن اذا كانت انتصاراتهم بغير جدوى ووهمية بغالبيتها فان الانتكاسات التي منوا بها لدى هجومهم على المراكز اليهودية كانت كبيرة جدا . .القادة العرب ،الذين كانوا واثقين أنهم سينتصرون علينا خلال اسبوع أو اسبوعين فوجئوا لرؤية انتكاساتهم .ذلك لان هناك فرقا بين جندي يعرف لماذا يذهب للقتال وتثقف على مبدأ خدمة الشعب والوطن، وبين جندي يذهب للقتال لمجرد أن حملوه بندقية وألبسوه بزّة عسكرية وأرسلوه بقوة الاوامر .ففي عرف القادة المصريين أن الجندي ينبغي به الا يفكر .وأن يكون جوابه الوحيد للمسؤول عنه : حاضر ياسيدي" !

x"النبات النامي" (قصة لاليعزر شموئيلي المذكور ـ قراءات اسرائيل للصف الخامس): "وراء القطعان مشى رعاة بالئون .الشيبة في قرية الصبي خليل يربونه على حكايات الكذب ويغرسون في روحه الصغيرة مشاعر الانتقام وشهوة التسيبّ .هل حاولنا أن نثقف خليل ؟! وهل فتشنا عن سبيل الى روحه البسيطة والجاهلة ؟! ومن سيقيم جسرا بين الصبي خليل وبين جيرانه الصبية جدعون وبراك وعميكام ؟! مثل النبات النامي بفرحة الذي رأيته هذا الصباح في قطعة الارض المزروعة بالشعير منذ السنة الماضية ـ هكذا سينمو خليل .وكل من يبكّر يفوز به : قاطعه وجامعه ومفسده " !

Digitized by Birzeit University Library

هذه بعض الامثلة .وعن قصة الصبي ابن الـ ١٢ عاما يقول الدكتور برطل "انها غسل دماغ لكره العرب .وحتى لو كان عرض العرب بصورة وحشية وغير انسانية لم يتم عن قصد فان ذلك مفهوما مخيفا .فلا يمكن تجاهل ما يمكن ان يستخلصه الطالب الذى سيقرأ القصة من تعميمات سيطبقها فيما بعد على كل العرب لمجرد كونهم عربـــا ".

لماذا أقول أن مقال نيلي مندلر يمتاز بقدر كبير من الجرأة علما بأن العديد من الباحثين الاسرائيليين يكرسون اهتماما بالغا لبحث الموضوع نفسه ؟ !

لانه يكسب هذا البحث ،تصديا وتحليلا ،منحى جديدا يكتسبه أيضا من حقيقة تجرده من الاحكام السريعة التي تشمل مدى كبيرا من الانفعال السريع والتقويم المسبق .وهي (الاحكام السريعة) ما ميزت الغالبية العظمى من الابحاث السابقة .

ويثبت هذا المدى الكبير من الانفعال والتقويم المسبق حقيقة أن نماذج هذه الابحاث استهدفت بالتواء وتغلف أن تتجاوز "عقدة الذنب" الناجمة عن طغيان عناصر الكراهية والسخرية والتشويه الفظ لشخصية الانسان العربي لمجرد كونه عربيا في الادب العبري بالتأكيد على أن الادب العربي غير منزه عن الغرق في حضيض المشاعر نفسها ازاء شخصية الانسان الاسرائيلـــي .

ان أوضح مثل على هذا التغلف هو دراسة الدكتور شموئيل موريه (المحاضر في جامعة القدس ـ قسم اللغة العربية) حول "شخصية الاسرائيلي في الادب العربي منذ قيام اسرائيل" (١) . كتب يقـــول :

"في حالات الصراع بين شعبين يحاول كل طرف أن يشوه شخصيته الطرف الاخر وأن يدقق في سلبياته بواسطة عدسة مكبرة .ويؤدي التوتر الناجم عن الصراع الى تصعيد الاتجاه ، لدى كل طرف من الطرفين ،صوب ابراز المتناقضات الاجتماعية والثقافية والدينية وتشويهها الى حد التأكيد على التمايزات في المظهر الخارجي مثل اللباس وبنية الجسم وتقاطيع الوجه ولون الشعر والجلد وما الى ذلك . .ويستهدف الطرح لدى الطرفين واحدا مقابل الاخر التأكيد على اختلاف وغربة ابناء الشعب العدو وتبرير علاقات العداء والرفض تجاههم .اضافة الى ذلك ثمة هدف مزدوج كامن في الامر : تبرير الدعوة لابادة العدو على الصعيد الخارجي . ورفع المعنويات وتحويل الصراع الى أسطورة قومية على الصعيد الداخلي" .

واستطرد : "ان هذه الاتجاهات تميز بشكل خاص الصراع الاسرائيلي ـ العربي .لقد جرى تشويه شخصية الانسان اليهودي في الادب العربي .وذلك بتأثير عوامل داخلية وخارجية بدءا بالقرآن والحكايات الشعبية وحتى اللاسامية الاوروبية عموما والنازية خصوصا " .

ان هذا النمط من التفكير هو تضليل من الناحية النظرية وغير صائب من الناحية العملية بالنسبة لظروف نتاج الادبين .وان أساس ما ينطوي عليه طرح موريه وأمثاله من الباحثين الاسرائيليين المؤدلجين بالفكر الصهيوني هو المساواة بين طرفي الصراع ،العربي واسرائيلي ،

Digitized by Birzeit University Library

بحيث تختلط الاسباب بالنتائج والمعتدى بالضحّية وتتوزع المسؤولية جراء هذا الصراع (والقضية الفلسطينية جوهرة) على الطرفين بالتساوي.

علمياً يظهر الواقع الموضوعي عكس ذلك تماما. فبينما كان السير على هدى الايديولوجية الصهيونية يعني بالنسبة للادباء العبريين ممارسة "الثقافة "في مشروع الكراهية والسخرية والتشويه الفظ لشخصية الانسان العربي عبر نتاجهم فرضت هذه الايديولوجية، بممارساتها الاجرامية، على الادب العربي عموما والفلسطيني خصوصا "النماذج العبرية" التي كان عليه أن يتعامل معها، رصدا وتحليلا وتأزيما، في نتاجـــه .

ولكن الى أيّ مدى يصحّ الزعم بأن الادب العربي غير منزّه عن المتناعر الفظة التي لم يتنزه عنها معظم الادب العبرى، ازاء النموذج الاسرائيلـــي ؟ !

لن أخوض في هذا الان. ولكن لا بدّ من تسجيل حقيقة منهجّية (توصلت اليها عبر دراسة لهذا الموضوع أعددتها مؤخرا وتناولت نماذج من القصة الفلسطينية القصيرة المكتوبة في اسرائيل) وهي أن معظم أدبنا بعيد عن المظاهر الوحشية فيما يتعلق بتصوير شخصية "البطل العبرى" فيـــه .

وبانتصاب قامة، لا على طراز شوفيني، نقول أن مجرد هذه الحقيقة المنهجية هي علامة تقدير للادب الفلسطيني بوصفه أدبا أنتجه شعب عانى الامرين ولا يزال. ولم تفلح كل الضربات التي تلقاها ولا يزال في اخراجه عن طوره من حيث انسانيته وحبّه للانسان .

× × ×

يشير الناقد المعروف ايهود بن عيزر الى ثلاث سمات في الحياة الادبية الاسرائيلية تؤكد ماهية "الثقافة" التي تجرى ممارستها بهدي الايديولوجية الصهيونية. هذه السمات هي :

أولا : هناك تدخل فظ في حرية التعبير الادبي الاسرائيلي اذا جنح الى مخالفة جوهر أهداف السلطة الاسرائيلية ــ وهو أمر يمثل الجانب العنيف من عملية شاملة تستهدف تجنيد الادباء الاسرائيليين من أجل الدعوة الى مفاهيم السياسة الاسرائيلية ومرتكزات الفكر الصهيوني.

ثانيا : الادب العبرى في اسرائيل يواكب أهداف السلطة ويدق لها الطبول. وهو أداة في يدها لتحريك الجماهير اليهودية. وهو أدب يحمل سمات الصبغة والافتعال .

ثالثا : هناك أدب يتحرك لخدمة الدعوة الصهيونية لما يسمّى "القومية اليهودية" وارتباطها بفلسطين، أرضا وتاريخا (٢) .

وقد عبّر عن ماهية هذه الدعوة الكاتب حاييم هزاز (الذى شغل ذات مرة منصب رئيس اتحاد الادباء العبريين) حين قال "ان عبقرية الشعب اليهودى تكمن في ذاكرته التي ظلت تعي، على امتداد عشرين قرنا، كونه وحدة غير قابلة للتفتت" (٣) .

Digitized by Birzeit University Library

وحينما يقول هزاز هذا انما يريد ان ينفذ منه دور الاديب الصهيوني وتحديده،ان هذا الدور يتحدد في العمل على تغذية الذاكرة الجماعية لدى ابناء الطوائف اليهودية.واثارة مشاعر الانتماء القومي الموهوم لديهم.والعزف على وتر"العلاقة التاريخية التي تربط بين الشعب اليهودي والأرض الفلسطينية ".

وعلى هذا الضوء فان الفكرة الاساس التي سعت الصهيونية لترويجها هي أن فلسطين لم تكن سوى أرض خالية من السكان ،قاحلة،تملأها الحشرات والمستنقعات.

كتب ثيوديور هرتسل الاب الروحي للصهيونية،في كتابه(الارض القديمة الجديدة) : "أن اليهود لم يفعلوا شيئا للارض القديمة الجديدة (المقصود فلسطين ـ أ .ش) سوى نقلهم المؤسسات المتحضرة اليها ،التي كانت موجودة في البلاد المتحضرة في أواخر القرن التاسع عشر ".

وكتب مفكر صهيوني آخر،هو موشيه سميلانسكي ،في صحيفة"العالم ((١٩١٤/١/٢٩) : " وصفت دعاية الفكرة الصهيونية منذ نشأتها البلاد التي ستتوجه اليها كبلاد خربة ، ومهجورة تنتظر الخلاص بفارغ الصبر ".

وفي محاولتها ترسيخ هذه الفكرة،اصطدمت الصهيونية بمقاومة الشعب العربي الفلسطيني، الذي لم تستطع ان تنفي وجوده كلية،وأوقعها هذا في تناقض حاولت تجاوزه من خلال تركيز نصوصها على الحديث حول شخصية العربي،او البدوى ،وليس العربي الفلسطيني،مع التأكيد على افتقار الروابط بين هذا العربي أو البدوى وبين أرضه. وبما ان الارض في مثل هذه الحالة هي الوطن،وبما ان العربي يفتقر الى الروابط القوية بالارض فانه يفتقر الى الروابط القوية بالوطن،ولهذا يتنازل عنه راضيا مرضيا.ومن الامثلة على ذلك شخصية رشيد بك في كتاب هرتسل المذكور عنه سابقا (الارض القديمة الجديدة) ،التي ترحب بالمشروع الصهيوني وتتنازل عن اراضيها وتندمج فيه (٤) .هذا من ناحية،ومن الناحية الاخرى فان هذا العربي، او البدوى ،متخلف ولا يستحق هذه الارض (الوطن)ولا يفهم سوى لغة القوة .

كتب يعقوب روئي في مقاله حول العلاقات بين سكان رهوبوت وجيرانهم العرب في السنوات ١٨٩٠ ـ ١٩١٤ يقول : (منذ اوائل ايام الاستيطان ساد الرأى القائل بان العربي يحترم ويعرف لغة واحدة هي القوة).

وكتب أحاد هعام ،وهو احد كبار المفكرين الصهيونيين الاوائل في مقالته "الحقيقة من فلسطين" : (نعتقد ان العرب متوحشون مثل الحيوانات ولا يفهمون ما يدور حولهم)!

وكتب منظر صهيوني آخر محدداً رأيه في سكان فلسطين العرب : "انهم بلا ثقافة. ويفتقرون الى ملامح القومية.وهم يتطبعون بسهولة،وبسرعة،بأية ثقافة واردة عليهم اذا كانت أعلى من ثقافتهم .انهم لا يستطيعون ان يتوحدوا في مقاومة التأثيرات الخارجية بصورة منظمة ،وليسوا قادرين على المنافسة القومية" (٥).

Digitized by Birzeit University Library

وشموئيل يوسف عجنون الحائز على جائزة نوبل للادب !! نعت العرب في روايته "الامس الاول" (كتبها سنة ١٩٤٥) بشتى النعوت البذيئة. فهم حسب رأيه "لا كرامة لهم ويتحملون الاهانات. يستغلون المستوطنين. قتلة، وهم سبب خراب أرض فلسطين. مزعجون وقذرون، يغشون اليهود، يكرهون الحضارة، يشبهون الكلاب في جلستهم" (٦).

ويجرى غرس مثل هذه الاضاليل والافتراءات على الواقع وحقائق التاريخ في نفوس طلاب المدارس الاسرائيلية، بواسطة مناهج التعليم الرسمية كما أسلفت.

ففي سؤال من مجموع اسئلة امتحان الاعانة لطلاب صفوف الثوامن (كانون الاول ١٩٧١) جاء ما يلـــي :

"لم يتوقف استيطان اليهود لفلسطين أبدا. وبغض النظر عن عدد اليهود الاجمالي في البلاد كان الكثيرون منهم مفكرين وحكماء ومبدعين نشروا ابحاثا وكتبا وبالمقارنة معهم فان العرب والمسيحيين الذين استقروا في هذا المكان (بما معناه انهم ليسوا اصحاب هذا الوطن بل مستقرين فيه ــ أ.ش) لم ينتجوا في فلسطين أي شيء له أهمية، بالرغم من قدسية البلاد لاديانهـــم".

وفي كتاب قواعد اللغة العبرية (فدييك)، المفروض في مناهج التعليم الثانوية، تقرأ عن العرب في صفحة ٢٧٧ ما يلـي :

. تمرين ــ املاء الفراغ :

العرب ..... ، نهبوا وقتلوا

الكلمة الناقصة ــ سلبوا .

أي ــ العرب سلبوا نهبوا ، وقتلوا .

وتقرأ عن اليهود في صفحة ١١٧ " : اليهود جلبوا الحضارة الى الشرق الاوسط ".

وفي مقدمة كتاب دراسي آخر اعده د.ا. تسفروني ورد التأكيد على ان "شعب اسرائيل هو صفوة الشعوب كلها... واكثر العناصر افتخارا لانه تكوّن عن طريق انتقاء الافضل !" وجاء في وصف العرب وتحديد طابعهم : "هذا العنصر الغريب عن البلاد بطينته والدخيل على رسالتها وتطلعاتها يعيش الان فوق ترابها ويستغل خيراتها، ولا بد لنا من أن نحاربه كما حاربنا من سبقه من الغزاة والاجانب، الذين استولوا على البلاد في العهود الغابـــرة، ونهبوا ثرواتهـــا".

ولقد كان من بين التحولات التي طرأت على الادباء العرب، بتأثير نكسة حزيران ١٩٦٧، ذلك الاهتمام الواضح بدراسة "الوثيقة الادبية الصهيونية". وانعكس هذا التحول والاهتمام في ظهور عدد من المؤلفات في العالم العربي تتناول الادب الصهيوني بالدرس والتحليل، تبرز من بينها دراسات الاديب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني والدكتور ابراهيم البحراوي وغيرهمـــا.

Digitized by Birzeit University Library

وارتبط هذا التحول والاهتمام بالوعي لحقيقة كون الادب" وثيقة كاشفة لا تقل اهمية عن الوثائق السياسية والاجتماعية الاخرى .فالدكتور البحراوى يشدّد في كتابه "الادب الصهيوني بين حربين" على كون "الوثيقة الادبية" مزودا أساسيا للمعلومات المطلوبة في اتجاهين هما :

١ ـ اتجاه التعرف على الواقع الشعبي وقوانين الترابط الاجتماعي والانماط النفسية الاجتماعية السائـــدة .

٢ ـ اتجاه التعرف على القيم الرسمية التي تبثها في العمل الادبي الايديولوجيا السائدة في المجتمع ،والتي تعكس موقف السلطة فيـــه .

ان تقديم العربي في الادب العبرى ينعكس في ثلاثة اتجاهات :

الاول : الاتجاه الاوسع والاشمل حتى الان القائم على اعلان العداء السافر للانسان العربـــي .

الثاني : الاتجاه الذى حاول أن يستبطن شخصية العربي بنزعة أخلاقية لكنه فشل في الصاق اية سمة انسانية بـــه .

الثالث : الاتجاه الذى أدرك الصراع الجارى على أرض البلاد ادراكا ثوريا وعكسه في أعماله بروح ثورية تتعامل مع العربي كانسان وصاحب حق .ان فئة هذا الاتجاه قليلة ويمثلها في الاساس الكتاب والشعراء الشيوعيون الذين يمكن اعتبارهم الضمير الحقيقي للشعب الاسرائيلي رغم ضآلة نفوذهم الادبي في الوقت الراهن .

وفي غالبية نماذج أدب الاتجاهين الاول والثاني تتجسد شخصية العربي في أربعة حالات :

أولا : العربي المنصهر في الشعب اليهودى .

ثانيا : العربي "المتوحش" و"الشرير المتعطش للدم" يقابله اليهودى الانسان والنازح الى السلـــم .

ثالثا : العربي المتخلف الغريب عن الحضارة والتطور .

رابعا : العربي المقولب STEREOTYPE الذى يمكن أن يكون كل شيء سوى أن يكون ذاتـــه .

كتب أ .ن .بولاك يقول :

"كان الرأى السائد ابان الهجرة الثانية (١٩٠٤ ـ ١٩١٤) وفي نتاجها الادبي يقول أن عرب البلاد (وخصوصا الفلاحون منهم) هم بالاساس يهود أكرهوا على تغيير دينهم في فترات الملاحقات والاكراه الديني .وكان المستعدون للهجرة يتبنون هذه الفكرة ،وهم في أوروبا بعد ،وبالاساس من كتاب" أرض اسرائيل المعاصرة" الذى كتبه بسرائيل بلكيند باللغة الروسية وكان بمثابة دليل مساعد رسمي ومشروع لشؤون البلاد " (٧) .

ولكن تجسيد العربي على هذه الصورة ما لبث أن تبدد تحت ضغط اليقظة القومية .. واستمر في قصص الاطفال (كما سآتي على ذلك لاحقا) .

Digitized by Birzeit University Library

وبتنا نفاجأ بالعربي، في أعمال جبل الكتاب الذى عاصر نكبة ١٩٤٨ وما أعقبها من مأساة الشعب العربي الفلسطيني وقيام دولة اسرائيل، شيئا من أشياء الطبيعة. البعض يحبونه كما يحبون زهرة بريّة. والبعض يمقتونه كما يمقتون حشرة سامّة. وقد مثلت على هذا بقصة البعزر شموئيلي "النبات النامي".

وتركت الانتصارات العسكرية المتتالية التي حققتها الصهيونية آثاراً عميقة على الادب العبرى في كافة مراحله. فيوم كانت شخصية يهودى المهجر ونفسيته هما السائدتان في الوسط اليهودى، كان العربي يمثل نموذج القوة والسيطرة، وأخذت هذه الصورة تتحطم بعد كل معركة عسكرية. وأصبح العربي يتحول من "الشيء الطبيعي" الذى يشكل خطراً جسمانيا على الكاتب العبرى الى "الشيء" الذى يشكل خطرا نفسيا وروحيا. ومن هنا بدأت أزمة "الكابوس الوجودى".

وقد عبر عن هذه الازمة الكاتب عاموس عوز بقوله :

"بالنسبة لي العرب، عدا هؤلاء في الناصرة ووادى عارة، هم كابوس. انني أخافهم. وفجأة رأيت أنهم موجودون ويخافون منّي. ولم أكن مستعدا قطّ لهذا الوضع من الناحية النفسيـة".

يقيناً أن عاموس عوز عبر عن هذه الازمة (الكابوس) في أعماله أيضا .

ففي قصة "بلاد الضبع"، التي أسمى على اسمها مجموعته القصصية الاولى (٨)، يجسد هذا الكابوس على هيئة طوفان جارف.. يكتب :

"في البداية يظهر منظر الاخاديد التي على منحدرات الجبال. عشرات الاخاديد المزدحمة تقطع بعضها بعضا. وبعد طرفة عين تظهر جماهير الناس مثل النقاط السوداء.. ناس ضامرون وسود البشرة يتدحرجون بين الاخاديد ويصيرون قاب قوسين أو أدنى منك.. تميز صورتهم.. جمع غفير منتن ينغل بالفشفاش والقمل وتنبعث منه روائح منتنة، يمرون على خرائب قراهم المهجورة دون ان يتوقفوا عندهـا .. ويدمرون كل ما يعترض طريقهم".

وعلى هذا المنوال ينسج بقية القصة .

وفي قصة أخرى عنوانها "الرجل والحية السامّة" يصف عوز عالم ابنة أحد الكيبوتسات، غيئولا، التي تلتقي في أثناء تجوالها خارج حدود الكيبوتس مع راع بدوى، من البدو الرحّل، يصفه بأنه مخلوق بدائي وحيواني يشبه البهيمة في جوهره وأنه "دميم وذليل" !

على وجه العموم فان مضمون مجموعة عاموس عوز "بلاد الضبع" هو احساسه بأنه يعيش على بقعة حضارية مشعّة (يقصد اسرائيل) في قلب جو نجل عاج بالحيوانات المفترسة (يقصد العرب) التي تتربص بـــه .

وتجدر الاشارة الى أن أزمة "الكابوس الوجودى" طغت على الادب العبرى الذى كتب في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر (حرب سيناء) العام ١٩٥٦. واذا كان عوز صريحا الى حد التقريرية المباشرة في وصف هذا الكابوس فان شاعرا مثل يهودا عيمحاى لجأ الى الرمز الشفاف لوصفه وذلك في قصيدته "رئيس البلدية" (٩) التي يقول فيها :

Digitized by Birzeit University Library

محزن أن تكون رئيس بلدية القدس
محزن ومروّع أن تكون كذلك !
كيف يمكن أن يكون انسان
رئيس مدينة كهـــذه ؟
ماذا يفعـل بهـــا ؟!
يعمّر ويعمّر ويعمّر
وذات ليلة تقترب حجارة الجبال التي من حوله
صوب البيـــوت
مثل الذئاب الاتية للعواء مع الكلاب
الذين تحولوا الى خدم للانسان

ومثل هذا الوصف المغلف بالرموز نجد أيضا في رواية "الحدود" لموشيه شمير وفي رواية "هرتسوغ" لسول بلو.

كما نجد طغيان أزمة هذا "الكابوس الوجودي" بدون استحضار شخوص عربية ذوى حركات فردية في روايات "حالة انسان" لبنحاس سدية (١٠) و "المعركة" ليريف بن أهرون (١١) و "يوميات حافا غوتليف" لمريم شفارتس (١٢).

وقد لا حظ الاديب والشاعر العبرى التقدمي مردخاى أبي شاؤول هذه الظاهرة وعزاها الى جو الغربة الذى يسود العلاقات بين الشعبين .

ويطيب لنا أن نذهب الى أبعد من ذلك ونتساءل : ما هي مصادر هذه الغربـة ؟!

في اعتقادنا أن الشعور بالغربة لدى الكاتب العبرى ناجم عن الثقافة الصهيونية وعن الفكرة الصهيونية التي تقف جدارا مظلما بينه وبين جاره العربي .

قي لا وعيه ـ ان لم يكن في وعية التام ـ يحسّ الكاتب العبرى المعبأ بالثقافة الصهيونية أن وجوده على هذه الارض يتناقض أساسا مع وجود العربي . ويدرك أن ذلك يتم على حساب العربي . من هنا يبدأ في ذاته الصراع الحاد : مع ذاته من جهة ومع ذلك العربي من جهة أخـــرى .

ويتخذ هذا الصراع أحد اتجاهين :

١ ـ اما أن يتعاطف مع جاره العربي تعاطفا رومانسيّا يتجاوز الواقع او يتجاهله (كما في قصص يزهار سمِلانسكي وخصوصا في مجموعته "أيام تسيكلغ" (١٤).

٢ ـ واما أن يقنع نفسه بحيازة "الحق الهي" الذى تقوم عليه الصهيونية فيعلن عداءه السافر لهذا العربي الذى يحاول أن يقض مضجعه .

Digitized by Birzeit University Library

ان قصة "الاسير" ليزهار سيملانسكي (١٥) هي من أشهر قصص الاتجاه الاول . وتعاطفه الرومانسي العربي على ما به من تجاهل للواقع جعله ينزع العربي من انتمائه التاريخي وعلاقته بالارض فبقي صوتا بائسا يجهل كل شيء . ولا علاقة له بأرض أو قضية أو حرب (تدور أحداث القصة في العام ١٩٤٨) وكأنه خارج حقائق التاريخ والجغرافية . تلح عليه تحت وطأة التعذيب والرعب وعدم الفهم رغبة طفولية في تدخين سيجارة . مما يجعله شخصية كاريكاتورية مبكية تسهم ـ بقالبها هذا ـ في جعل الراوى (الكاتب نفسه) متمكنا من بسط النزعة الاخلاقية والشفقة الابوية عليـــه .

والمغزى نفسه (بسط الشفقة الابوية والنزعة الاخلاقية) نجده في قصة "برصاصة واحدة" ليتسحاق أورباز (١٦) . تحكي القصة، المكتوبة في أعقاب عدوان ١٩٥٦، قصة جندى اسرائيلي يسوق معه أسيرا عربيا . خلال الرحلة تتوطد بين الاثنين صداقة تمتحن مصداقيتها عندما يقوم الاسير بانقاذ الجندى من حيّة رقطاء حاولت أن تلدغه . وتنتهي الرحلة بوصول الاثنين الى المعسكر حيث يقوم أحد زملاء الجندى بقتل الاسير "برصاصة واحدة" . وتنتهي القصة بهذه الجملـــة :

"تحركت القافلة . في السيارة التي أمامنا كان الجنود ينشدون نشيد "جلبنا السلام اليكم . . " . أما أنا فنظرت ملياً ناحية قبر زميلي ابراهيم " .

هكذا يستصعب الراوى أن يعامل الاسير العربي كانسان وصاحب حقّ من جهة . وفي جهة نقيضة يشفق عليه شفقة أبوية .

وحتى عندما يتعدى الامر حدّ الشفقة الابوية الى التعاطف لا يخل موقف الكاتب العبرى من الفكرة الصهيونية المعبأ بها . التي تقيم جدارا مظلما بينه وبين العربي . . ففي قصة "الكنز" لاهارون ميغد (١٧) يحاول الكاتب أن يبرز تعاطفه مع الاجيء عربي تسلل عبر الحدود الى منزله، الذى سكنته عائلة يهودية، بحثا عن كنز خلفه وراءه . ولكن أى تعاطف هو هذا والجوهرى في القصة هو، ابراز لهاث اللاجيء العربي وراء الكنز فحسب، لا وراء المنزل والبيدر (الوطن)، وكراهيته لليهود وترديده لامنيات الاغتصاب والافتراع التي يودلو حققها بحق ساكنه البيت اليهوديـــة ؟!

وكاتب اخر هو بنيامين تمز انبرى يصّور جو الغربة بين المستوطنين الجدد وبين أشجار الزيتون في القرية العربية التي أخضعوها لسيطرتهم . ان أفنان الزيتون ترمز الى الجذور الفلسطينية ولكن خوف الكاتب من اعلان ذلك جعله يلجأ الى الحيلة لقطع هذه الافنان (١٨)

وفي قصة اخرى لبنيامين تموز (مسابقة في السباحة) يعكس احتدام الازمة النفسية الناجمة عن اصرار هذا العربي على البقاء . يقول أنه في طفولته تسابق في السباحة مع صبي عربي من يافا . كان النصر فيها نصيب العربي . ومرّت الايام واندلعت حرب ١٩٤٨ وكان الراوى جنديا في الفرقة العسكرية التي انقضت على يافا واحتلتها وأخذت العربي أسيرا . وتلحّ على الراوى

Digitized by Birzeit University Library

رغبة طفولية في الثأر لهزيمته في المسابقة.فينزل الى البركة ويبدأ بالسباحة.وفي الوقت ذاته يقوم أحد الحنود باطلاق الرصاص على الاسير فيرديه قتيلا.ويتجه الراوى الى جثة القتيل ويخاطبها قائـــلا :

"يخيّل لي أنه رآني قبل دقائق معدودات أسبح في البركة..بيد أن تقاطيع وجهه لم تكن تقاطيع وجه انسان مهزوم ..هنا في الساحة كنت أنا ونحن جميعا المهزومين" (١٩).

وعلى النقيض من أدب أزمة "الكابوس الوجودى" يقف أدب الاطماع التوسعية الشهوانية الذى لم ير في قيام دولة اسرائيل نهاية لاطماع الصهيونية ورفض القبول بالحدود التي أقرتها اتفاقيات الهدنة وبالسعي لاحلال سلام على هذا الاساس حتى لو قبل العرب بذلك. ومثل هذا الادب نجده في أشعار أوري تسفي غرينبرغ وفي أدب سوبرمانية الانسان الاسرائيلي وشهوته في السيطرة على جميع انحاء ارض اسرائيل الكبرى،كما صاغ ذلك الشاعر أهرون أمير في مجموعته "قصائد أرض العبرانيين" بقوله "من لسان بحر البصرة وبحر ايلات حتى مياه الفرات وأنهار دمشـق ".

وغمر هذا الادب الشوفيني الرخيص السوق بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧..وانبرى يصور الانتصار العسكرى الصهيوني عبر غسل دماغ قومي متطرف واحتقار لشخصية العربي. غير أنه من خلال هذه الغمرة برزت بعض الاعمال الهامة التي تعكس احتدام الازمة النفسية الناجمة عن اصرار هذا العربي على عدم الزوال واصراره على حقّ المشروع في وطنه.و في أعمال كتاب مثل أ.ب. يهوشوع وايهود بن عيزر وآخرين نجد مصداقا لهذا .

من هذا الادب أقدم مثالا واحدا يُنمذَج على بقية الاعمال.انه رواية "اوديسيا ٦٧" لابراهان ياسكا (٢١). تحكي الرواية قصة شاب يهودى يعيش جو غربة خانقا يضطره الى النزوح عن اسرائيل والاستقرار في ايطاليا حيث يبني حياة جديدة يحاول أن يتخلص فيها من غربته.ولكنه ما يلبث أن يقع في مأزق عشية الخامس من حزيران ١٩٦٧ يقرر على اثره العودة الى اسرائيل.ويتجند في صفوف الجيش ويبلي بلاء حسنا في معركة احتلال القدس ويعود بعد ذلك الى ايطاليا.ان بطل ياسكا يعاني "غربة انتقائية" تنمحي آثارها في حالة الحرب مع العرب.والرواية مكتوبة من موقف رؤية اسرائيل دولة عظمى ذات نفوذ وبأس والتي من شأنها أن تكسر شوكة العرب المساكين في كل حرب.

ان شخصية داود الفتى الواقف بمقلاعة أمام جوليات الجبار المسلح من رأسه حتى أخمص قدميه كانت شخصية تحظى بتعاطف كبير في الادب العبرى..وجاءت الابعاد الفانتازية لانتصار الصهيونية العسكرى،بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧، لتفتح الطريق امام اجراء "جولتية" شخصية داود الاسرائيلي.

ولم تخفّ حدّة هذا الاجراء الا عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣ وما أعقبها من انهيار اسطورة "الجندى الاسرائيلي الذى لا يقهر" و "العربي المسكين الذى تستطيع اسرائيل أن تكسر شوكته متى شاءت".ولعل اكثر كاتب عبرى عبر عن هذا المأزق الجديد هو يتسحاق بن نيرفي قصته

Digitized by Birzeit University Library

"نيكول" (٢٢) و"بعد المطر" (٢٣).

ومن السابق لاوانه ،الان ،اجمال الاثار التي تركتها على الادب العبرى حرب لبنان الاخيرة (حزيران ١٩٨٢) لكن ما كتب من أعمال بعد هذه الحرب يشير الى تحول بسيط صوب التعامل مع شخصية العربي كانسان وصاحب حق. ويشير كتاب "أحاديث الغزاة" الذي أعدّه الكاتب الفلسطيني خليل السواحرى الى أبعاد هذا التحول لدى عدد من الضباط والجنود الاسرائيليين الذين صعقهم اصرار الشعب الفلسطيني على عدم الزوال وتشبثه بحقه المشروع في وطنه .

نستطيع أن نقول ان الاتجاه القائل بأن السلام مع العرب هو عديم الاهمية بالنسبة للفرصة التاريخية في التوسع الاقليمي الدائم ،الذى اشتد في أعقاب الخامس من حزيران قد خفت حدته مع أنه ما زال الاتجاه الرسمي في اسرائيل .

ولقد تعمدت اجمال الموضوع فيما يتعلق بمجالي الشعر والقصة القصيرة بهذا الايجاز لكي أسهب ،ضمن الوقت المتاح ،في التنبيه الى مجالين آخرين لا يقلان أهمية عن الشعر والقصة هما أدب الاطفال والمسرح الاسرائيليين .

وسأتناول هنا نماذج من قصص ثلاثة من أشهر كتاب الاطفال في اسرائيل وهم يغئال موسينزون وعيدو سيتر (وهو اسم مستعار لحزاى لوفبان) وأفنير كرميلي (وهو أحد خمسة أسماء مستعارة لشراغا غفني) .

ـ يغئال موسينزون ـ وهو أول كاتب للاطفال باللغة العبرية. ومسلسله الاول هو قصص مجموعة "حسمبا" مجموعة من ثمانية أطفال ،سوبرمانيون صغار يجيزون لانفسهم أخذ تنفيذ القانون بيدهم. ويصور موسينزون "الاعداء" (أقرأ :العرب!) في ضوء السخرية والحط والمسخ. ففي الكتاب الثامن "حسمبا في أسر الفيلق العربي " تطالعنا شخصية الشيخ خليل حميدان أبو علي الذى يخون أبناء جلدته مقابل حفنة من المال . ورفيق هذا الشيخ قرد اسمه مجنون. اما سبب تسميته بهذا الاسم فتكمن في كونه ينقض بقوة أوامر الشيخ على الضحية ويبتر أذنيها أو أنفها وتتكرر هذه الشخصية في كتب أخرى شاكله اصحاب الكروش الخونة الذين تقدح عيونهم الخائفة شرارا مثل الفئران ـ على حد قوله.

وفي الكتاب الثالث عشر "حسمبا في كمائن الحدود" يجرد المؤلف شخصية العربي من كل الظروف التاريخية التي تحيط بها ويقوده الى المخاطرة بحياته في التسلل عبر الحدود لنقل معلومات لقائد حسمبا حول نشاط العرب على حدود الدولة .

ـ عيدو سيتر ـ كاتب المسلسلات "عوز يعوز" و"جماعة المربع الازرق" و"توكيديس". هاكم وصفا نموذجيا لعربي في احدى قصص سيتر (قصة "عوز يعوز ضد تماسيح فرعون")

هل سمعتم مرة عن سليم حجيدا؟! اذا لم تسمعوا أصغوا اليّ جيّدا. كان وحشيا مثل ثعبان صيني. كان غير هيّاب مثل نمر هندى. كان مكارا مثل ثعلب سورى. كان مجرما من

Digitized by Birzeit University Library

بطن أمّه. فمنذ نعومة أظفاره كان يشبه لصّا أكثر من كونه ولدا طبيعيا.. في السابعة من عمره ضرب معلمته بالكرسي على رأسها وقال لها ان حاصل جمع اثنين زائد اثنين هو خمسة وأن لا تعكر له صفو أفكاره، تلك البلهاء.. وفي سن العاشرة كان يتزعم عصابة خاصة وأحبّ ان يقرر بنفسه من ينوي أن يقتل وأن يسرق ".

لقد أعلن عيدو سيتر توجهه بصراحة الى أدب الاطفال حين قال : "انني لا أؤيد فكرة أن الكتاب يجب أن يكون تربويا . فاذا ما قرأ الانسان كتابا لطيفا وواجهته أزمة عائلية فمن شأنه أن يرتكب جريمة قتل. وهناك أمرا اضافي : اننا نعيش فترة تتميز بالتعقدات مع العرب بما يمكن أن نسميه ببساطة "حقول ملاءى بالدماء". فليس عادلا ، والحالة كهذه ،أن نحكي للاطفال قصصا جميلة عن الازهار والفراشات وزيت الزيتون الصافي- ذلك سيؤدي الى أزمة : الطفل سيقرأ قصصا جميلة عن تغريد العصافير وفجأة - هنا حرب وهناك مخاوف. عندها سيعاني أزمة ثقة . فهل يجوز لنا أن نخدع أولادنا "؟!.

" انني أكره العرب" - أعلن عيد سيتر بصراحة متناهية (٢٤).

ولهذا فانه يصدر كل قصصه بهذه الكلمات النابية المقرفة الموجهة لقرائه الصغار :-

" هكذا سيكون أيها الرفاق. الحياة لا تسير في القلم. أحيانا يخيّل لنا أن كل شيء على ما يرام وأن ليس ثمة ما يبعث على القلق ولا تحوم أية مفاجأة حولنا في الافق . وفجأة يقفز ضدنا مجهول يحمل موادا متفجرة من جميع الاصناف. في عقله مؤامرة آثمة وفي قلبه كراهية حاقدة. هذا دليل على أن الحرب ضد العدو مستمرة لا نملك حيالها شيئا انما يجب أن نجابهه بكل القوة من أجل القضاء عليه مرة ثانية ولا يهم بماذا: بمسدس أو بسكين أو بزوج من القفازات المستعملة في الملاكمة. الكل مشترك في اللعبة. صدقوني أن هذه اللعبة ليست من قبيل الهزء والسخرية بل انها لعبة من أجل الحياة أو المـــوت ".

- أفنير كرميلي - أفنير كرميلي هو اسم مستعار لشخص اسمه الحقيقي سراغا غفني ألف حتى الان حوالي ١١٠ مجموعات قصصية للاطفال. وهذا الاسم هو واحد من خمسة اسماء مستعارة يتقنع وراءها غفني لبثّ سمومه العنصرية المتوحشة هي بالاضافة اليه: ايتان درور وأون سريغ وبغئال غولان وايتان نوتيف. ويرصد كرميلي في حكاياته دولة اسرائيل كما لو أنها أرض العبرانيين القديمة. انه يتطلع الى قيام البعث العبراني في أرض العبرانيين كلها من الفرات حتى النيل. انه يرى فيها مصدر الحياة للانسانية جمعاء ومنارا للاغيار .

تجدر الاشارة الى أن مؤلفات كرميلي ونتيجة لسرعة انتشارها واتساع نطاق المنكبين عليها تؤدي دورا في مخاطبة وعي الطفل اليهودي يفوق الدور الذي تؤديه كتب التاريخ في المدارس العبرية على ما بها من عناصر التشويه والتزييف .

وتحفل قصصه بمقاطع التفاوت بين وحشية العربي وحضارة اليهودي عبر المقارنة بين قرية العربي وبين كيبوتس اليهودي .

Digitized by Birzeit University Library

ولنمثل على ذلك بهذا المقطع من حكاية له بعنوان "البحارة في عملية الانقضاض":

" لم يكن في كل البلاد" كيبوتس" سعى رجاله للحياة بسلام مع جيرانهم العرب ومساعدتهم مثل كيبوتس "بيت غيبع" . وعلى الرغم من ان العصابات العربية قامت ،أكثر من مرة، بشن غزوات على هذا الكيبوتس، وكثيرا ما قام الفلاحون العرب بتحريض من زعمائهم الافندية بمهاجمة رجال الكيبوتس وهم يحرثون حقوله ،لم يتخل الكيبوتس عن طريقه السلمي لقد تسامح دوما مع مهاجميه، وتطلع الى أن يعقد حلفا أبديا معهم " (ص ٦٥ – ٦٦) .

في حكاية أخرى (البحارة في عملية الفأس) يرد ذكر قرية أم الفحم كثيرا مثل قوله "القرية العربية سيئة الصيت أم الفحم" (ص١٠) . كما يرد وصف لاهاليها على هذا النحو: "أليس هؤلاء العرب هم اناس حمقى تربّوا كل حياتهم على تقديس القوة والمال؟" (ص١٩) كما تتردد كثيرا جملة "المقاتل العربي ذو المظهر الوحشي والقلب القاسي" .

ولا يمكن تجاهل ما يمكن أن يستخلصه الطفل الذى سيقرأ القصة من تعميمات سيطبقها على كل العرب في أم الفحم وفي أية قرية عربية أخرى.

ويلجأ كرميلي ،مخلصاً للثقافة الصهيونية المعبّأ بها، الى اتباع المبدأ الاستعمارى "فرق تسد" لدى حديثه عن العرب .ففي حكاية ثالثة (البحارة في عملية ساحقة)يظل علينا البطل "الدرزى" الذى يرى فيه العربي (حسب النموذج الكرميلي) "أنه غير مخلص له مثل بقية الدروز الذين يميلون الى اليهود" .أما اليهودى فيرى في الدرزى "أنه ليس عربيا يخون شعبه ويعطينا المعلومات لقاء حفنة من الاموال انما هو انسان درزى من قرية دالية الكرمل ويكره العرب كرها مقيتا " .

وفي أكثر من حكاية يرد وصف المساجد على أنها أوكار للعصابات العربية التي تضمر العداء والحقد لليهـــود .

ان العربي الصالح في حكايات كرميلي هو العربي الميّت أو العربي الذى انصهر في الشعب العبرى. ففي حكايته "الرياضيون الصغار عائدون " يدعو العرب الى الانصهار في الشعب العبري لكونهم من سلالة "بني اسرائيل" . كتب في وصف الشبان العرب الذين قرروا ربط مصيرهم بمصير "بني اسرائيل " :

" بدأ عدد من الشبان الناطقين باللغة العربية يؤمنون انهم من سلالة بني اسرائيل القدامي" وهم بقوا في البلاد. ولم يذهبوا الى المهجر بعد ان خر بها الرومانيون، وعندما احتل العرب البلاد اضطرت غالبية ابناء البلاد الاسرائيليين الى قبول دين المحتلين وعاداتهم رغما عنهم . والان – هكذا آمن هؤلاء الشبان العرب – أزفت ساعة الرجوع الى حضن شعبهم الحقيقي ،شعب اسرائيل ،والمشاركة في عملية انبعاثه العظيمة في بلاده كشركاء متساويـــن " (ص٢٥) .

لقد أجرت مؤسسة "سالد" ، في أواخر سنوات الستين ،استفتاء توصل الى استنتاج

Digitized by Birzeit University Library

مفاده أن "قراءة هذا الادب الفاسق هي ظاهرة عامة. ويكاد كل فتى يقرأ هذا الادب".

وليس من حاجة للاضافة بأن هذا الوصف التقاطبي لما يسمى "الاشرار المتعطشين للدم" من شأنه أن ينمي بين اوساط القراء الصغار مشاعر الكراهية للعرب والاستخفاف بقوتهم ومقدرتهم العقلية. بيد أن هذه الكتب لا تثقف النشء على الاستخفاف بالعربي فحسب انما تثقفه على الاستخفاف بحياة الانسان لمجرد كونه انسانا .

صدق الباحث في أدب الاطفال ،أوريئيل أوفك ، الذى كتب عن الموضوع وقرر :

"ان الغلافات الملوّنه لهذه الكتب تصرخ: حذار ــ سمّ قاتل ! لقد آن الاوان لكي يستفيق الرأى العام على خطورة هذا "المصنع". ففي كل الاقطار تتدرج أشباه هذه الكتب في "القوائم السوداء" للمجلات التربوية والادبية. وهذا الامر يجب عمله أيضا في بلادنا. وربما حانت الساعة التي يتم فيها سن قانون يحظر انتاج وتسويق هذا "الغذاء الروحي" الحطير والفاسق" (٢٥).

ننتقل الى المسرح الاسرائيلي :

ومن المهم ان نلاحظ ان المسرح الاسرائيلي اهتم اهتماما بالغا بشخصية العربي ضمن حصيلة اهتمامه بالواقع السياسي ــ الاجتماعي الذى حاول أن يعكسه .

بالاضافةالى ذلك فان التطور الايجابي الحاصل بالنسبة للمسرح كان تطورا ديناميا أكثر من ذلك الحاصل بالنسبة للشعر والقصة. وهذا ما سأظهره في السياق .

لقد اهتمت مسرحيات الاعوام ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ بتصوير المواجهة الحربية بين الاسرائيليين وبين العرب. وتقريبا فيكل هذه المسرحيات يظهر العرب معادلا موضوعيا لخطر خارجي أو لضغط حربي يسمع ولا يُرى. ولا نصادف العربي هوية انسانية معينة. حتى لدى بعضالكتاب الذين حاولوا تصوير وحشية الممارسات الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني مثل نتان شاحم في مسرحيته "سوف يصلون غدا" (١٩٥٠).

نلتقي في هذه المسرحية مع عربيين أسرتهما القوات الاسرائيلية المحاصرة في تلة محاطة بأراض مزروعة بالالغام. وينتقد شاحم وحشية الجنود الاسرائيليين التي جعلتهم يطلقون سراح الاسيرين لينفجر بهما لغمان وبذا يقل عدد الالغام التي من شأنها أن تنفجر بهم . ولكن الشخصيات العربية في المسرحية بلا أسماء ، بلا "هوية فردية". ان اسقاط الهوية الفردية عن البطل العربي في مسرحيات المرحلة المذكوره هي بداية الطريق في بلورة اتجاه القولبة.. وهو الاتجاه الذى سيفشل في الصاق أية سمة انسانية بشخصية البطل العربـــي :

ولنقرأ مقطعا من مسرحية ن . شاحم المذكورة :

" جوني : لندخل صلب الموضوع . هل حققت مع العربو شيم ؟!

Digitized by Birzeit University Library

أليكس: نعم

جوني : هل استنطقتهما بشيء ؟

أليكس : نعم

جوني : ما هو ؟!

أليكس : دم .

جوني : وماذا عداه ؟!

أليكس : أسنان .

جوني : دعك من المزاح ؟! هل حكوا لك شيئا ؟!

أليكس : أبدا.. اذا لم يتكلم العربي بعد أول لكمة في وجهه فلن يتكلم البتـــه . لا فائدة ترجّى من استمرار التحقيق معه . لا أريد ان أفتح دكانا للجزارة هنا .

جوني : وماذا فعلت مع هذين الاثنين ؟!

أليكس : لا شيء .. اصدرت الاوامر بالقضاء عليهما .

جوني (يصرخ) : يا ألهه ! (يهدأ قليلا) أرجو أن تسامحني . أي غباء . هل تم القضاء عليهما ؟!

أليكس : كلا لقد سلمتهما لجدعون .

جوني (يصرخ عبر النافذة) :جدعون ارسل الاثنين الى هنا.. وتعال أنت .. من قال لك أنني لا أبغي القضاء عليهما ؟. قصدت انه لا يقضي على عربوشين هكذا ونحن في مثل هذه الحالة. انه تبذير. هل تفهمني ؟! انه تبذير . شخصان يعينـــان لغمين أقل . هكذا تسير الامور عندنا . يوجد ستة الغام فيبقى أربعة .

في هذه القطعة تبرز الاحكام المسبقة التي يتبناها الاسرائيليون ازاء العرب .وهي احكام مصدرها عقلية "فوقية الاسرائيلي ودونية العربي " .

هذه العقلية أيضا ستؤثر ،بهذا القدر أو ذاك ، على تجسيد شخصية العربي في أول مسرحية مكتوبة في أعقاب الخامس من حزيران . وهي مسرحية "ملكة الحمام "للكاتب الساخر حانوخ ليفين .

بعد عامين من انتصار الصهيونية العسكرى وزيادة عدد العرب الخاضعين للحكـــم الاسرائيلي يقوض ليفين هدوء ورضى الجمهور الاسرائيلي . والمسرحية،التي أوقف عرضها بقوة المعارضة، اشتملت على مشهد يقدم خلاله المؤلف العربي لجمهوره.واليكم مقاطع منه:

" تعرفوا على سمطوحا . انه العربي الخاص بنا. ذكي. مطيع .ولا يلحق الاذى باليهود رواد المسرح. يعرف كيف يقف على رجلتين. بالضبط مثلنا. يا سمطوحا أرنا كيف تعرف أن تقف على رجلتين.(الى الجمهور) انه يحب ذلك كثيرا. فذلك يعطيه الشعور بأنه مثلنا تماما.. (يدخل سلفاءومعه منوحاه ــ سلفاه تعني بالعربية هدوء ومنوحاه ــ راحه)

Digitized by Birzeit University Library

سلفاه (يخاطب سمطوحا) : هل تعلم أننا نستطيع ان نقلدك اذا أردنا ذلك .

منوحاه ــ يعلم يا سلفاه . ألا ترى أنه يعلم ؟!

سلفاه ــ اذن لماذا لا يتكلم ؟!

منوحاه ــ انه يقف ورأسه مطاطيء الى أسفل . وهذا يقول كل شيء .

سلفاه ــ هذا لا يقول شيئا . له فم ويستطيع أن يقول ما يريد . ليست بي رغبة أن أخذ منه كل شيء بالقوّه .

(...)

سلفاه ــ عينان . له عينان هذا القوّاد . لا يهمني أن تكون له عينان لو كان يعرف ، على الاقل ، أن يقدّر ذلك ! لكنه لا يعرف أن يقدّر ذلك . يعتقد أن ذلك أمر طبيعي .انه يخاطب نفسه قائلا : ما الغرابة في أن لي عينان ؟ وحقيقة أننا شعب حضاري وانساني لا ننقر عينيه بعد تفجير مكاتب المسرح لا تخطر على باله البتة ! " .

صحيح أن ليفين أراد بهذا المقطع ،أن يدافع عن العربي وأن يسخّف ويدين النظرة الاسرائيلية الرسمية الشوفينية اليه. ولكن صحيح بالقدر نفسه أنه لم يتخلص من العقلية التي سبق وأشرنا اليها .فجاء تجسيده للعربي تجريدا لمشاعره الانسانية الى درجة مصادرة ذاته ،الذات البسيطة المؤلفة من لحم ودم . ولهذا بقي دفاعه يراوح نطاق المثالية المجرّدة.

وحري بنا أن نشيد بنوايا ليفين الطيبة بالنسبة لتلك الفترة خصوصا أن كاتبا مسرحيا آخر هو يغائيل موسينزون كتب في الفترة نفسها مسرحية بعنوان "شمشون ضابط في تساهل" (جيش الدفاع الاسرائيلي) عرضها مسرح "هبيما" مضمونها العام أن العرب هم بشر ديدنهم العنف وسفك دماء اليهود .. العرب هم نقيض لكل ما هو جميل في الطبيعة الاسرائيلية .. العرب هم قتلة بقوة الاحتمال ..السلاح المشحوذ مخبأ دائما تحت ملابسهم العرب "أجبرونا دائما على الامساك بقبضات السيوف وبالضغط على الزناد في هذه البلاد" .

" يكمن الخطر يا أمي في أن يحولنا الفلسطينيون بشكل تدريجي الى شعب يتميز باللامبالاه ازاء سفك الدم والقتل . .انهم يدمرون روحية مجتمعنا " .

والكاتب المسرحي أ.ب.يهوشوع ، الذى يتفاخر أحيانا بمواقفه الليبرالية ،حاول ان لا يتطرق الى شخوص عربية في مسرحياته. .وعندما فعلها في مسرحية "ليلة في مايو" اختار نموذجا مشوّها .. نموذج عجوز مجنونة .

اذا كان الواقع السياسي الذى أعقب الخامس من حزيران قد سمح بوقف عرض مسرحية "ملكة الحمّام" لمجرد أنها حاولت ،بمثالية مجردة ،أن تدافع عن العربي كانسان وصاحب حق فان الواقع السياسي الذى أعقب حرب أكتوبر دفع بالكثير من الكتاب المسرحيين

Digitized by Birzeit University Library

الشبان الى تكرار هذه المحاولة .بمطواعية أكبر على معايشة العمق الداخلي النفساني للبطل العربي . ولكن تبقى بين هذه المعايشة وبين تقديم العربي بالسمات الانسانية التي يستحقها انسانا وصاحب حق ، هوّة كبيرة .

ثمة مسرحيتين على الاقل ـ "سيلفستر ٧٢" ليهوشوع سوبول و"شيتس" لحانوخ ليفين ـ جديرتان بالتقدير .

في الاولى يضع سوبول المجتمع الاسرائيلي في قفص الاتهام . ويشير الى ظواهر مرضيّة مثل ظاهرة أثرياء الحرب والاحتلال ، الاسرائيلي البشع . ان مقطعا صغيرا من المسرحية يشير الى هذه الظاهرة (المتحاوران هنا هما يواش، رمز الاسرائيلي الحلو وبوعز ،رمز الاسرائيلي البشـــع) :

يواش : والان .. لديك كل ما تشتهي

بوعز : الكل تقريبا .. ورشة عمل مربحة. سيارة . وعشرون خادما .

دينا : لماذا ينبغي ان تكون أكثر مما أنت في الواقع ؟!

بوعز : يا حلوة ! لا تأخذي الامور بجدّية .عندي بحظ العمال بمعاملة خاصة رغم أنهم عرب . لم يحلموا في حياتهم أن يربحوا مثلما يربحون عندي. انهم مستعدون للحس أرجلي .

ما الجديد في هذه المسرحيّة ؟! الجديد أنها تقول الذي أرادت "ملكة الحمام" أن تقوله في حينه بصورة أشد مباشرة ووضوحا. حتى حانوخ ليفين نفسه نراه أشد مباشرة ووضوحا واحتراسا (فيما يتعلق بشخصية العربي) في مسرحية"شيتس".. البطل العربي فيها هو معادل موضوعي لعامل مسحوق يظل علينا عبر أغنية "الحافلتان" :

" لدىّ حافلتان جميلتان / واحدة برتقالية وأخرى وردية / في الليل ننقل بهما بقرا وفي الصباح ـ عمالا الى العمل./ مرة ارتكب العامل خطأ / حمّل عاملا أسود بدل بقرة / وساقه الى المذبح/ وهناك ذبحوه على الطريقة الدينية./ الحاكم أفرّلي تعويضات/ وعائلة العامل دفعت لي / الفارق الذى خسرته / بين العامل وبين البهيمة./ ولمنع تكرار الامر في المستقبل / سننت لي قانونا صارما/ بأن يقوم كل عامل في الحافلة/ بانشاد أغاني البهجة والســـــرور " .

كاتب مسرحي شاب ثالث هو هيلل ميتلبونكت بدأ مشواره المسرحي بكتابة مسرحية عنوانها " الامل الاخير لشارع نحماني" (١٩٧٤) .حاول فيها أن يصور المعاملة المقولبة المعادية التي يتبعها الشارع الاسرائيلي ازاء العربي. أين نجح وأين اخفق ؟! . نجح في اثارة الموضوع . واخفق في التخلص من اتجاه قولبة شخصية العربي. فأحمد (ومجرد تسمية العربي بهذا الاسم هي تحت تأثير هذا الاتجاه) لم يعط مصداقية تقنع الاخرين بمعاملتـــه

Digitized by Birzeit University Library

معاملة أخرى . لم تحمل شخصيته سمات الحركة الفردية المستقلة والاصرار على حقه . بقي يتحرك في اطار الشخصية العربية المستحضرة لاغراض اسرائيلية بحتة ـ أغراض انتقاد المجتمع الاسرائيلي .

لقد لاحظ الناقد الاسرائيلي غدعون عوفرات ذلك وعزا الامر أولا وقبل كل شيء "الى واقع أجتماعي معيّن علينا الاعتراف به وهو أن الاسرائيلي لا يعرف العربي .. في الواقع الاسرائيلي اليوم لاتزال السدود قائمة. ولذا فان العربي ليس أكثر من شخصية مقبولة في وعي الاسرائيلي. ان العربي الذي "يعرفه" الاسرائيلي هو ذلك العربي الذي يقاتله كما تصوره الصحافة أو العربي الذي يعمل في حقوله. أما العربي الاخر فليست له به معرفة البتة ".

وتمنى عوفرات أن تشهد السنوات القادمة (كان ذلك في العام ١٩٧٨) ظهور مسرحيات اسرائيلية تقدم عربا من لحم ودم ، عربا في ذاتهم الانسانية .

الى أي مدى تجاوبت المسرحيات التي شهدتها السنوات الماضية مع أمنية عوفرات؟! شاهدنا عددا من المسرحيات الاسرائيلية التي كانت في مركزها شخصيات عربية :

- مسرحية "شياطين في الديماس" لسامي ميخائل (المعروضة حاليا في مسرح حيفا).
- مسرحية "نعيم" المأخوذة عن رواية للكاتب ابراهام يهوشوع بعنوان "العشيق".
- مسرحية "حماية" المأخوذة عن رواية لسامي ميخائيل بالعنوان نفسه .
- مسرحية "وانطلق الجنود" وغيرهـــا .

في جميع هذه المسرحيات بقيت شخصية "العربي" مثلما كانت عليه ـ شخصية حلوة مقولبة ـ يمكن أن تكون كل شيء سوى أن تكون ذاتها .

ان هذا الموضوع ـ موضوع شخصية العربي في الادب العبرى ـ من الاتساع بحيث لا يمكن اجماله حتى في نطاق محاضرة واسعة كهذه . ولهذا فان ما قدمته لا يدعّي بأي حال الاحاطة الشاملة والوافية بالموضوع انما هو مقدمة لبحث أعمق وأشمل يستوفي المهمة ويفي بالغرض..

المراجـــــع :ـ

١) كتاب "الصراع العربي ـ الاسرائيلي في مرآة الادب العربي". اصدار مؤسسة فان لير" القدس ١٩٧٥ . ص ٢٥ ـ ٥٢ .

٢) الملحق الادبي لصحيفة "عل همشمار" ـ ٣ تموز ١٩٧٠

٣) مقابلة مع محرر صحيفة "معريف" ـ ٧ آب ١٩٦٩.

Digitized by Birzeit University Library

٤) يمكن الاحاطة بتفاصيل شخصية رشيد بك من خلال قراءة نموذج مرفق عن أحد فصول كتاب هرتسل "الارض القديمة الجديدة".

٥) أورد ذلك الدكتور اميل توما في كتابه "طريق الجماهير العربية الكفاحي في اسرائيل.

٦) تجدر الاشارة الى أن أحقاد عجنون هذا مشوبة بأحقاد شخصيته أيضا ،ذلك أن اخته أحبّت عربيا فلسطينيا وتزوجته الامر الذى دعا عجنون هذا الى مقاطعتها مدى الحياة.

٧) مقالة "أصل عرب البلاد" ـ مجلة "موليد". عدد تشرين الثاني ١٩٦٧.

٨) عاموس عوز ـ "بلاد الضبع" (مجموعة قصص) ـ اصدار منشورات مساده ـ ١٩٦٥.

٩) يهودا عميحاى ـ "قصائد ١٩٤٨ ـ ١٩٦٢". اصدار شوكين ، ١٩٦٤.

١٠) بنحاس سديه ـ " حالة انسان " اصدار : عام عوفيد ـ ١٩٦٨.

١١) يريف بن أهرون ـ "المعركة" . اصدار : عام عوفيد ـ ١٩٦٦ .

١٢) مريم شفارتس ـ "يوميات حافا غوتليف" . اصدار : عام عوفيد ـ ١٩٦٨ .

١٣) يزهار سميلانسكي ـ "أيام تسيكلغ" ـ اصدار : عام عوفيد ، ١٩٥٨ .

١٤) يزهار سميلانسكي ـ "الاسير" . من مجموعة "أربع قصص" .اصدار : الكيبوتس الموحّد ـ ١٩٦٦ .

١٥) يتسحاق أورباز ـ "برصاصة واحدة" . من مجموعة "العشب البرى" ـ ١٩٥٩.

١٦) أهرون ميفد ـ "الكنز". من مجموعة "قصص عبرية عن حياة العرب. اصدار : عام هسيفر ، ١٩٦٣ .

١٧) بنيامين تموز ـ "أسطورة شجرة الزيتون". من مجموعة "قصة أنطون الارمني". اصدار : محيروت تسفروت ، ١٩٦٤.

١٨) بنيامين تموز ـ "مسابقة في الساحة" . المصدر السابق .

١٩) أهرون أمير ـ " قصائد أرض العبرانيين " . اصدار : كيشت ١٩٦٧ .

٢٠) أبراهام ياسكا ـ " اوديسيا ٦٧" . اصدار : سفريات بوعليم ، ١٩٦٧ .

٢١) يتسحاق بن نير ـ "نيكول" . من مجموعة "غروب قروي". اصدار : عام عوفيد ـ ١٩٧٦ .

٢٢) يتسحاق بن نير ـ "بعد المطر" . صحيفة " هآرتس ـ ١٩٧٦/٤/٢٠ .

٢٣) مقابلة مع عيدو سيتر ـ صحيفة " هآرتس " ، ١٩٧٤/١٠/٢٠ .

٢٤) أوريئل أوفك ـ " أعطوهم كتباً " . اصدار : سفريات بوعليم ١٩٧٨ .

Digitized by Birzeit University Library

مقابلة مع

محمد البطراوي

أجرى اللقاء / جميل السلحوت

س – ما هو تقييمك للكتابات الادبية في الارض المحتلة ؟ وما هي سمات هذه الكتابـــات ؟

ج – لا أدرى في الحقيقة كيف أجيب ،فالامر ليس بهذه البساطة،فأنت لا تستطيـــع أن (تحكم) بكلمة أو جملة أو أكثر على انتاج جيل من الاجيال. ألا ترى معي أن الاشارة الى بعض الحقائق هي طريق أقوم من اصدار الاحكام وتعميقها بشكل تعسفي ، وخصوصا في قضايا الانتاج الفكرى والعمل الابداعي ؟

قد يكون من السهل ان يتحدث المرء عن عمل أدبي معين ،أو حتى عن أعمال كاتب معين ، أما أن يطلق حكما جامعا على الكتابات الادبية في مرحلة تاريخية معينة،وفي مكان معين ، فان الامر يحتاج الكثير من التدقيق والتحليل والدراسة .

ان أفضل الاعمال الادبية ليست هي تلك التي جرى نشرها .. كثير من الاعمال تمّ خنقها وحذفها . ومن هنا تبدأ قضية استحالةالدراسة الشاملة والاحكام النهائية القاطعة .

فلنضع السؤال اذن في الصورة التالية: ما هي الحقائق التي يمكن رصدها في الاعمال الادبية في المناطق المحتلة ؟..

هنالك حقائق كثيرة يتلمسها الانسان في العمل الادبي في المناطق المحتلة . وأول هذه الحقائق التزام الاديب المحلي بالقضية الوطنية ومحاولته جعل الادب حافزا جماهيريا

Digitized by Birzeit University Library

للالتقاء بالثورة.. ولما كانت الثورة هي التغيير وتهشيم العلاقات القائمة وانهاض معايير ومفاهيم جديدة، فان الحقيقة الثانية التي تطل علينا من أدب المناطق المحتلة هي ارادة التغيير، وارادة التغيير هذه تعطي أديب المناطق المحتلة صفة يتصف غالبية الكتاب بها، وهي التقدمية والانسانية. وهنالك حقيقة ثالثة يتصف بها أدبنا المحلي هي المواجهة اليومية لواقع الاحتلال وممارساته، مما يعطي الادب المحلي خصوصة معينة يتفرد بها عن الادب الفلسطيني خارج المناطق المحتلة.

دفعت الحياة في علائقها المتجددة المتغيرة، وفي مواجهتها الحادة مع الاحتلال الذى يعمل بمنهاجية ايديولوجية على احلال العدمية الثقافية والقومية لابناء المناطق المحتلة، دفعت بأعداد اكبر وأكثر من الشباب الى الكتابة الادبية وممارسة النشاطات الثقافية الاخرى تعبيرا عن رفضهم للاحتلال ومقاومة وسائله لاحلال العدمية الثقافية.ومن الطبيعي ان لا يمتلك العديد من هؤلاء الشبان أدوات الكتابة الجديدة. فأخذت تظهر أعمال أدبية فيها الكثير من نبل القصدوالقليل من الادب ذاته.

ان ايجابيات الاعمال الادبية لكتاب الارض المحتلة كثيرة. ولكن هذه الايجابيات لا تسوغ لنا بأى حال من الاحوال ان نهمل المسألة الادبية ذاتها..

تلعب بعض النماذج الادبية السيئة دورا كبيرا في تضليل الادباء الجدد من الشبان.. تلك النماذج التي تهلل لها الصحافة الادبية وتطبل والتي تتلفع بأردية مزيفة كاذبة همها الاول والاخير ضمانة الجعالات الشهرية واقامة الزينات والرقص في حفلات الزار، علينا أن نحذر هذه النماذج المدمرة، وعلينا ان لا نسمح للتزييف بأن يعشش أو يعيش بين ظهراني حركتنا الادبية.

س – بصفتك المحرر الادبي للصفحة الادبية في (الطليعة) وعضو في هيئة تحرير (الكاتب) ما هو دور الصحافة المحلية في رعاية الحركة الادبية؟

ج – تختلف رؤية كل صحيفة أو مجلة لدورها في (رعاية) الحركة الادبية .فالبعض يرى في هذه الرعاية ليس أكثر من ملء الفراغات المقررة من مساحة الصحيفة أو المجلة، والبعض الاخر قد يرى أن تشجيع الاقلام الشابة مهما كان نوع كتابتها هو الواجب الاول.. وغيرهم يرى غير ذلك مما لا يعنيني هنا الحديث عنه،لانه خارج دائرة الادب والكتابة الادبية.

ان اسهام "الطليعة" في الحياة الادبية والثقافية يجرى من منبعين أولهما نشر ورصد الفعاليات الثقافية في المناطق المحتلة،ومنها ،بطبيعة الحال،الاعمال الادبية،وثانيهما الدفع بالناشئة من الكتاب الى مواقع الابداع الحقيقي فضلا عن التشجيع ذاته.. ومن هنا

Digitized by Birzeit University Library

كان اعتزازنا كبيرا باللقاءات والحوارات التي تدور في مكاتب الجريدة بين الناشئة والمحررين ،والتي هي في حدّ ذاتها علاقة تحرص"الطليعة" عليها وتعمل على تنميتها .

ان حجم الصفحة الادبية في "الطليعة" لا يعطينا في الحقيقة الكثير مما نحلم به من اسهام في عملية رعاية الادب والفن ، ولكننا نعتز كثيرا بما قدمناه ، ونعتز كذلك بنهجنا الذى نسير عليه نحو تلك الرعاية .

أما مجلة "الكاتب" فهي مجلة ثقافية شاملة تولي الاعمال الادبية اهتماما خاصا وتحرص على تقديم الاعمال الجيدة الجادة، وتهتم بالدراسات الادبية والنقدية ومحاربة ايديولوجيات الاحباط ومفاهيم التقد البرجوازى والجماليات الهابطة. "والكاتب" على هذا الاساس ترى مدى أهمية (رعاية) الابداع الفني والادبي واقامته على دعائم راسخة من الواقعية والفن.. ويحرص محررو "الكاتب" حرصا واعيا ويحاسبون أنفسهم محاسبة جادة عند نشرهم لاى عمل ابداعي ، محاولين بذلك عدم الوقوع في خطيئة نشر النموذج السيء .

ان دور الصحافة الادبيةيجب ان يكون واعيا مدروسا ،فكثير ما يجني نشر الاعمال الادبية الهابطة على القراء ، وكثيرا ما تكون تلك الاعمال النموذج السيء الذى قد يقتدى به البعض .

لقد كانت الصحافة المحلية دائما طريق الكتاب الجدد الى الوصول بكتاباتهم الى الجماهير، وكم كنت اتمنى لو أن دائرة الكتاب المنبثقة عن الملتقى الفكرى جعلت أحد واجباتها محاسبة محررى الصفحات الادبية والمجلات التي تعنى بالثقافة والادب،تلك المجاملات الفجة السمجة التي نقرأ بعضها أحيانا ، والتي نعلم كلنا ، وحتى من يكلفون بكتابتها ـ أنها كذب كلها ..

تستطيع الصحافة الادبية أن تلعب دورها السليم وأن تدفع بالحركة الادبية الى مواقع متجددة دائما عندما يدرك المحررون ان هذا هو دورهم فقط ..

س ـ ما هو تقييمك للنقد في الاراضي المحتلة ؟ وبصفتك أحد النقاد هل تعترف بالقصور في هذا المجال ؟ .

ج ـ أخذت تظهر في الاونة الاخيرة بعض الدراسات الجادة التي يمكن أن نطلق عليها مصطلح "النقد" أما تلك الكتابات التي لا تخرج عن تعريف القارئ بقصة أو قصيدة أو مجموعة من القصص أو الشعر فهي مقدمات لقراءة الاعمال الادبية المعنية وهي تحمل دائما طابع التيسير على القارئ واضفاء المديح والالقاب على الكاتب أو على العكس من ذلك لغاية خاصة بعيدا عن الصدق والموضوعية في أى من الحالتين .

Digitized by Birzeit University Library

لا أنكر دور تلك المراجعات ، وان كنت لا أسلم تماما بكونها "نقدا" حسب ما أراه من مفهوم للنقد. على أي حال فان "النقد" ، حتى بمفهوم المراجعات ، قليل وغير مجد في حياتنا الادبية.. أغلب الكتاب يطالبون "النقاد" بالنقد ، ويحملونهم ، شططا ،وزر كل قصور أدبي في المناطق المحتلة.. ولكن هؤلاء الكتاب لا يقبلون من أحد الا ان يقول فيهم مادحا كل المدح منزها اعمالهم عن كل نقص أو عيب .. وتتحول المسألة الى مواقف واتهامات وتشكيك في الانتماء السياسي ورمي بكل ما هو بعيد عن الادب والنقد والاخلاق ،مما يستلزم "فزعة" عشائرية وصلحا عشائريا .. ويا للهوان !

كم كنت أرجو أن يتصدى الاكاديميون من أساتذة جامعاتنا للعملية النقدية بما يملكونه من مناهج اكتسبوها بالدراسة.. ولكنهم ،وحتى اليوم لم يسهموا بشيء من هذا ، ولعل بعضهم يدرك في القريب عظم المسؤولية وعظم التقصير الذي يرتكبونه بعزوفهم وكسلهم هذا .

اما عن نفسي فانني لم أدع في يوم من الايام أنني ناقد . كل ما في الامر أنني اكتب بعض انطباعاتي عما أقرأ ،أصدر بذلك عن تذوق شخصي ، لا عن منهج أكاديمي وصلته بالدراسة المنظمة المتخصصة. وأما عن الاعتراف بالقصور فاعتقد أنني لست مذنبا حتى أعترف بجرم القصور.. فأنا لا أحترف الادب أو النقد ، ولست متفرغا لذلك ،وعندي من شواغل الحياة ما لا يستطيعه اشخاص عديدون فكيف بي وأنا شخص واحد .. هذا من ناحية وأما الجوهر ،فانني لا اكتب الا عندما أجد عطا يستدعي الكتابة.. وبما أنني لست سبّابا ، لذلك تجدني لا اكتب شيئا ..

ولكي أكون صادقا معك ومع نفسي.. في الحقيقة لا أجد الوقت الكافي للكتابة .

س — أنت من ضمن اللجنة التي عينها الملتقى الفكرى لدراسة أوضاع الكتاب فما هو رأيك بهذه الدائرة ؟ وكيف تقيمها ؟

ج — اولا وقبل كل شيء أحب أن أصحح السؤال. لم يجر تعيين أحد بل جرى انتخاب لجنة عمل استشارية وقام الكتاب أنفسهم بانتخابها .

لقد تقدمت اللجنة بدراسة أولية حول أوضاع دائرة الكتاب ومشاكلها.. وللحقيقة ،فان جميع هذه المشاكل النابعة عن سوء الفهم لدور الملتقى الفكرى ودور دائرة الكتاب ذاتها يمكن تجاوزها واعادة تنشيط الدائرة ووضعها في المكان الصحيح كجزء أساسي من استراتيجية عمل الملتقى الفكرى .

كتبت في العدد (٤٣) من الكاتب دراسة سريعة حول "التوصيل الادبي والبنية التحتية" وقد عالجت فيها وضع الدائرة وأسباب قصورها وطرق التوصل الى بعث حياة جديدة فاعلة فيها ، واعتقد أن لا جديد يمكنني أن أضيفه غير اعادة القول بأننا جميعا مدعون لتدعيم هذه الدائرة والسهر على انجاز أهدافها ..

Digitized by Birzeit University Library

على فودة يقول لأطفال العالم وداعًا

بقلم : اسامة محيسن العيسة

في عام ١٩٦٦، أخذ الكاتب الاميركي اليساري الكبير "جون شتاينبك" يكتب المقالات والرسائل المؤيدة للعدوان الامريكي على شعب "الفيتنام" ،وحينها لم يصدق كثير من الناس ان "شتاينبك" نفسه هو الذى كتب تلك المقالات!!

وعندما توفي "جون شتاينبك" ،كتب الاديب اللبناني "محمد دكروب" تحت عنوان "متى يموت الفنان؟" : "... وعندما سمع الناس بأن جون شتاينبك قد مات في الاسبوع الاخير من عام ١٩٦٨ لم يصدقوا أيضا ... ، ذلك أن شتاينبك، بالنسبة لهؤلاء الناس ،كان قد مات، فعلا منذ ان أخذ يكتب تلك الرسائل المريبة ضد شعب فيتنام" (١).

وهنا نتساءل،ما دام حديثنا عن الشاعر الصعلوك علي فودة، هل بموت الشاعر يموت شعره وأدبه؟؟.. والحقيقة أننا لا نطمح في هذا اللقاء معه الى فرض رأينا على القارئ ولا الى الترويج له ولا حتى لتقديمه للقراء!!... بل الى تعريف القراء به فهذا حقه علينا كشاعر مبدع وكشهيد، ونرى أن مؤلفاته هي الكفيلة بتقديمه للقراء!!

× فمن هو علي فودة..؟؟

– الاسم : علي فودة .

المهنة بائع جرائد... ، ومحرر المجلة غير الدورية "رصيف ٨١" بالاضافة الى العمل في مجلة " فلسطين الثورة" ،وكان يلقب في الاوساط الادبية في بيروت بـ " عروة بن الورد الفلسطيني"!!

– ما هو رصيد علي فودة الادبي ..؟

– في مجال الشعر أصدر عدة دواوين :

Digitized by Birzeit University Library

١ ــ فلسطين كحد السيف / عام ١٩٦٩.
٢ ــ قصائد من عمون امرأة /عام ١٩٧٣.
٣ ــ عواء الذئب / عام ١٩٧٧
٤ ــ الغجـــرى / عام ١٩٨١
٥ ــ منشورات سرية للشعب عام ١٩٨٢.

كما وصدر له رواية واحدة عام ١٩٧٩ بعنوان "الفلسطيني الطيب" واستشهد علي وروايته الثانية " الفاشيون " تحت الطبع ١١٠٠!!

* ماذا عن "رصيف ٨١" ..؟؟

ــ صدرت عام ١٩٨١، ونذرت المجلة نفسها ــ بالاضافة الى نشر المواد الادبية ، الى محاربة نفشي البيروقراطية الفلسطينية ، وهيمنة المكاتب والمؤسسات على الثورة وعلى الحياة الثقافية،ومع بداية الحرب ،حول" علي" مجلته الى جريدة يومية، وكان يمضي كل ليلة في تحرير مادة الجريدة ومراجعة طباعتها في أحدى المطابع ،ثم يوزعها في اليوم التالي على شتى المحاور في خنادق المقاتلين ، وعند خطوط التماس تحت وابل من القصف لا ينقطع ١١٠٠!!

" وذات مساء مجنون،بعد شهرين كاملين من دبيب الغجرى على الارض المشتعلة، التقطته القذيفة القاتلة وهو يحمل جريدته المدافعة عن ثورته وأهله داخلا أحد خنادق المقاتلين في منطقة عين المريسة " (٢)..

وعندما استشهد "علي فودة" ورحل عن "المدينة" ،لم يكن يطمح بتحية من "الكبار" رحل ولم يودع غير أطفال المدينة..،ففي قصيدته الطفل المقدس يقول"الفلسطينـــــي الطيب " ": (٣) .

"بعد لحظات سأقول لاطفال المدينة وداعا
ثم أهاجر بعدها
لا أريد قبلات الوداع من الكبار، ولا دموع الوداع ،
فقبلة العناق يمكن ان تنقل
اشياء كثيرة عبر الشفاه الملوثة .
أما الدموع.. فحتى التماسيح البشعة يمكن أن تذرف الدموع ،
إذن لا أريد كل هذا من الكبار
لا أريده أيتها المدينة.. لا أريده..
لانني حينما وطأت قدماى أرضك الصغيرة
فتحت لي ذراعيك بلهفة عجيبة ،
وقلت : ادخل .. ايها الفلاح الطيب
بعد دقائق معدودة

Digitized by Birzeit University Library

أخذ الكبار يسخرون من لكنتي الريفية ،
وأنت ايتها المدينة ،
بعد دقائق أيضا ،
أنرت في وجهي قناديل العواية ..
فانسقت وراء القوادين.. والقراصنة.. أنا الطفل المقدس
انسقت ،انحدرت الى نسائل التماثيل ،أنا الطفل المقدس .
انحدرت ،عرفت أناسا بلا قلوب ،أنا الطفل المقدس
عرفت ،رأيت من يزنون حتى بالحجارة "

وربما آخر كلمة قالها :
" وداعا أيها الاطفال وليرحل السنونو"

وفي قصيدته " أنت وحدك الشاهد" ، نجده وكأنه يرثي حاله :
" انهمر الرصاص على الجرو المسعور
سقـــــط .
لكنه قبل ان يلفظ أنفاسه الاخيرة ، بلحظة واحدة
رفع عينيه الباكيتين الى السماء وقال :
أيها السرب الكبير ، أنت وحدك الشاهد
أنت وحدك الذى تعرف ما جرى"

ونراه في قصيدة " الى بوشكين" يرفض "القياصرة" و"اتباعهم التقليديـــــون " و "البيروقراطيون الذين ينتشرون في كل طريق ومنعطف" وينتصر "لفلاحات العالـــم " و " للكرامة والشرف" و"الانسان المهان" و"الشعراء"..!!
وفي نهاية هذا اللقاء لا يسعنا الا ان نقدم قصيدته " لم تكن.." التي تقدم نفسها بنفسهـــا ...

" لم تكن عاهرة أبدا " .. كان اسمها " جميلة الغانية "
كل ما فعلته هو انها كانت تشعر بالبرد أكثر من غيرها من النساء .
وكانت ترى انه هو
هو وحده ، دون بقية الرجال ، نارها
صدره القسيح حقل من الذرة تتصارع العصافير فوق عمرانيه، واسمه " عشق" عيناه
غابات من اللون الاخضر والعشب والبراءة واسمه "عشق"
عشق يا عشق ، كيف تقاوم المسحورة كل تلك النجوم المتساقطة من جبينك ،
والظلمة من حولها تغمر العالم !
آه ...

Digitized by Birzeit University Library

لم تكن عاهرة أبدا حينما اسلمته نفسها ذات ليلة عاصفة ،
شهية كالبرقوقة
طيبة كالغزالة !
وأبدا لم تكن عاهرة
فقط كان اسمها " جميلة الغانية " ..

هوامش .

---

١) مجلة "الجديد "الحيفاوية ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٩م .
٢) حلمي سالم ، صور ثقافية من حصاد بيروت ، "الاهالي" : ١٩٨٣/٩/٢١ م
٣) المقتطفات الشعرية من مجموعة قصائد نشرت في مجلة " فلسطين الثورة"

Digitized by Birzeit University Library

شعر / عبد الناصر صالح ـ طولكرم ـ

ايضاح

هو الحزن ملح الكتابة ،
وهج المسافة يمتدّ في ورق اللّيل
يسقط عهد الخيانات ،
زيف الكتابات
أقنعة الحقد ،حظر التجوّل ،
حرب الابادة بين اشقّاء ،
كذب البيانات والخطب اللّغويّـــة ،
سمرة الفكر والرّؤية الضيّقة
كل هذى السّياسات تسقط ما بين
أضرحة الشهـــداء
وأحذية الفقـــراء ،
وما بين جوعي وشوقي اليك ،
تظل البيارق مرفوعة
والعيون مسافرة في البلاد ،
المآذن صارخة بالهتافات
تبقى الميادين مفتوحة
والحوائط ملئآنة بالشعارات ،
يكتمل الواقع / الحلم
والفقراء سفينة نوح على الارض
ينتشلون من البحر لؤلؤة الفرح العذب
وجه الحقيقة يتّخذ الان شكل الوضوح البد
ـ لا تجزعي أنت ـ
وانتشرى على الافق فاتحة من كتاب التمرّد
يختمر الافق ،
والماء ملح الكتابة
طفل البشارات يولد ممتطيا فرس الركض
في اللّيـــــل ،
يأتي اليك ،
فلا تفتحي بابك للرّيح ،
انّي رأيتك قمرا بارقا في الينابيع
مركبة تتلهّف للشاطيء الخصب
تخرق أنظمة القهر ، والسّلطة القاتلة ،

مناخ آخـــر :

هل صرخة أنت مكتوبة في نسيج النوافذ

Digitized by Birzeit University Library

أم أنت دوّامة تتجسّـــد ،
في باحة المدن المقبلات من اليقظة البكر
يملأن بالبرق خارطة الوحدة الناقصة ؟
ويا أيّها الجسد المتوهّج تحت حجاب التشرّد
هل أنت قافلة الرّغبات التي تتشكل ،
هل انت نار البدايات
عصر التوحّد والانتصارات ؟
– من أنت ؟
يا أيّها الجسد المتوهّج نارا تخطّي
حدود الكآبـــة ؟

الاسئلـــة :

من أين يأتيك هذا التفاعل ؟
من أين يأتيك صدق النبوءات
وحي البدايات ،
– أذكر كنّا نسير الى كوكب مبهم الضوء
نحتلّ هذا المطاف الذى تعتليه الرّواسب
نركض في الضوء .
نبتاع بالفرح المستميت عذاباتنا
نرتقي سلم الجوع ،
أيّ البلاد قطعنا
وكانت نهاياتنا ؟
أيّ مكان حللنا ؟
اذن فاشتعلي بالبداية
لا شيء غير البداية
هل تبدأين ؟
.....
.....

تعريف للعشق :

للعشق شكلان :
شكل قديم يحدّده السادة الاغنياء
وشكل جديد يحدّده الاخوة الفقراء .

حالتان للعشق :

للعشق شكل البنادق ،
صوت الرّصاص الذى يتصاعد من ساحة الحرب
جثث لا تفاوض غير الدماء .
للعشق فلسفة العائدين الى الوطن الرّحب
فاستيقظـــــي ،
لنملأ بالبرق خارطة الوحدة الناقصـــــة ؟

Digitized by Birzeit University Library

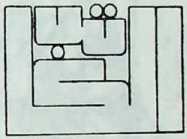

خلجات
على رصيف الزمن

بقلم: حسن عبدالله

(١) في السنوات الاولى من طفولتي ....حملتني والدتي الى الكروم ....وهمست في اذن شجرة زيتون "ابشرى فقد جئتك اليوم بعزوتـي"

وهزت جسمي الغض وقالت :ـ

وهبتك يا "محمد" للارض والاشجار والفراش

ثم غاصت في التراب ... اتحدت مع الثرى

ناديت ... صرخت أمي فناولتني شجرة الزيتون ثديهـا

رضعت ... انتشيت ... اشتد عودى

تجانست ... تكاملت ... التزمت حدودى.

وعلى الاسماع اعلنت أني أعشق شجرة زيتون احتضنتني ،أعشق شجرة زيتون أرضعتني ، أعشق شجرة زيتون ظللتني ،أعشق شجرة زيتون عشقتني .

(٢) تربيت في أحضان شجرتي قرونا صارت امتدادى في الكون وامتداد الكون فيّ .... عودت نفسي على طقوس أصبحت مع السنين أمورا روتينية في حياتي ... أفيق كل يوم في الصباح أثبت أذني على الارض فأسمع دقات قلب أمي تمتد الى جذور الشجرة فتتمايل الاغصان فرحا ويرقص قلبي بين ضلوعي رقصة منتشٍ أسكره الطرب فخال نفسه يملك مفاتيح الكـــون ....

وأمام صدق عطائي وانتمائي لم تقف "زيتونتي" مكتوفة اليدين بل سارعت وشابكت جذورها بشراييني .. صارت شراييني جذورها في الارض وجذورها هي العروق التي تمدني بالحياة والـــدفء ....

Digitized by Birzeit University Library

(٣) لم تستطع سنون الاغتراب والتغريب ان تنسني عودا يابسا تعلق بشكل عارض على جذعها الكبير...أن تنسني جناح عصفور وقف ولو للحظات على غصن من أغصانها وأطلق لحنا حزينا ارتد صداه في أعماق مستقبل مجهـــول ...

منذ خمسة وثلاثين عاما وخيالي يتركني في كل ليلة وحيدا في خيمتي...يتركني ويسافر بعيدا يركب الصعاب والاهوال ويتسلل عبر الجبال والوديان ليلق نظرة سريعة على "زيتونتي" في أسرها "مستغلا "الذئاب" التي أحكمت الطوق حول عنقها بعد ان انتزعتني عنوة من دفء احضانها زاعمة "الحق التاريخي في زيتونتي"ضاربة عرض الحائط انها مرضعتي..أنها ظللتني..أنها وصية امي..انها امتدادي في الكون وامتداد الكون فيّ .

(٤) ... تلك الليلة المظلمة ما زالت احداثها محفورة في ذاكرتي كيف لا ؟ وهي التي شكلت انعطافا حادا ومأساويا في حياتي ..

... تلك الليلة التي طارت اسـ غاثات زيتونتي فيها مع الرياح،تحطمت على بطون الصخور.. تمزقت في الفضاء الاخرس...استغاثات زيتونتي التفت خيوطها حول عنقي..مزقت أوتار قلبي الذى بقي معلقا على أغصانها .

يا ليلة وشحت نفسها بالسواد،وقرفصت في دفتر التاريخ كعلامة قاتمة مميزة حمقـــاء، يا ليلة البكاء والعويل والتشريد والسقوط والنهوض والانتكاس والاوتكاس والصحـــو... يا ليلـــة البدايـــة .

صورتك ما برحت عيناى الداميتان وكيف تبرحهما وهي أم المشاهد التي لم نقرأ عنها في قصص ألف ليلة وليلة،ولا حتى الزير سالم والشاطر حسن، ففيك العصافير هجرت أوكارها وفيك الحمائم ناحت على مداخلها التي مزقتها انياب الذئاب..وفيك اعتصرت زيتونتي دموعها فسالت أنهارا من زيت..آنهارا من دم...أنهارا من هم فأعطت البلاد لونا مميزا لم تستطع أضخم الجرافات ازالته وفشل كل الجيولوجيين المحليين والمستوردين في استبدال هذا اللون الذى يؤرقهم..ويقض مضاجعهم ويكذب مزاعمهم لانه يلاحقهم كالشبح كالكابوس يصرخ في آذانهم غرباء ...غرباء ...غرباء ...غرباء ...غرباء .

(٥) اعرف كل المعرفة انك عاتبة علي تستحثين وتستعجلين خطواتي لان طوقك لئيم والطيور الجارحة تقتل العصافير وتقضم الاخضر واليابس....اعرف انك عاتبة "عليّ "أيضا لانه يتقاتل في داخلي عشرين ولاني أمزق جسمي بالسكين .

لكن ماذا ؟ فالمسيرة صعبة ودامية ايتها "الحبيبة"فاقت كل التوقعات ،فالموءامرات كثيرة والمتطوعين في التآمر جيوش جرارة يصعب حصرها...كلما اشتد ساعدى واقتربت من الوصول اليك وجهوا اليّ نبالهم ،وانهالوا عليّ بسهامهم ...

لكني لم ولن اتوقف عن المسير لحظة واحدة،رغم كل المعضلات..ورغم رغم انوف "الاوصياء "و"المتقاعسين"و"المزايدين"..

Digitized by Birzeit University Library

(٦) تجذرت في اعماق الارض...ربيت في الغربة...اعتادت قدماى التجوال والترحال ...لذلـك ...

يخافون مني ويحاولون دائما حشرى بين دفات صراعاتهم وتقييدى بقيود (هوائهم وتكتيكاتهم التي عسكر في اعماقها العفن .يخافون مني ومن خططي..لذلك...

صلبوني على الحدود ،وأقاموا بيني وبين شجرة زيتون احتضنتني أيام طفولتي السدود ثم قبضوا ثمني زجاجات دم من صبرا وقرعوا الكأس بالكأس وشربوا في صحة زمن احفظ الان عن ظهر قلب أنه لا يفهم غير لغة النـار ،

اشربوا كما يطيب لكم. واسكروا في صحة عمرى المهدور ،فدمي الان افخر انواع الخمور... اشربوا حتى القاع..اضحكوا على انغام طلقات توجه للنفس في البقاع...اشربوا في صحة زمن صارت فيه السعودية "الام الحنون للقضيـــة ".

(٧) المحطة الاخيرة تناشدني كي أقف بشجاعة وجراءة أمام المرآة التاريخية..تناشدني لكي استرجع كل فصول شريط المسيرة .

المحطة الاخيرة تصرخ في وجهي – ان الوصول لا يمر عبر التشبث بالكراسي والتغني بالامجاد والنوم في دهاليز التـراث .

المحطة الاخيرة تقول لي ان التصليب الحقيقي هو تصليب وتمتين الجوهر وليس الانسياق خلف الشكليات وتبذير الاموال الطائلة وصرف "الشيكات "

المحطة الاخيرة تطالبني بحزم ان لا ألهث خلف كل لمشاريع الترويجية..ان احارب كل "العرسان "الذين يحاولون الوصول اليها على انقاض وخصوصا العريس الامريكي الذى البسه المستعربـون كوفيـــة ...

Digitized by Birzeit University Library

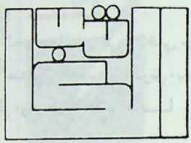

المنفى

من رواية «حكاية غريبة غريبة»

للكاتب العبري/ ايزهار سميلانسكي / ترجمة : أحمد يوسف

كانت امرأة تمر أمامنا، ضمن مجموعة من أربع أو خمس قرويات، تمسك في يدها طفلا في السابعة. كانت تشدّ النظرات اليها، بجسدها الجريء، منقبضة، منضوية في حزنها. ودموع، بدت كأنها ليست دموعها، تجرى على وجنتيها، والطفل يشهق بالبكاء، صارخة من بين أسنانها : "ماذا فعلتم بنـــا ؟"...

وفجأة، طرأت في ذهني فكرة، بأنها الوحيدة التي تعرف بالضبط ما يجرى. لذا، وقعت في خجلي أمامها، وقد خفضت عيني. كان ذلك، وكأن خطوتها تصرخ في وجوهنا : "ملاعين".

نعم كانت تلك المرأة لبؤءة. واصرارها على المعاناة بكرامة. يترك وجهها جامدا. كانت قد فقدت كل شيء. لكنها كانت ما تزال تريد أن تتحدانا. وبدا لنا، أيضا، أن ما كان سوى مجرد بكاء طفل ضائع، لا بدّ سيغذى قلبه، عندما يكبر، سمّا فظيعا... وعلى حين غرة جاء تني فكرة ساطعة، كأنها النور الالهي، تقول : انه النفي. ذلك هو مشهد النفي.

لم أستطع أن أظل في مكاني. كانت الارض تغلي من تحت قدميّ. فأذهب الى الطرف الذى كان يجلس في العمي. لكني أهرب منهم، وأتسلل خارجا. عندها بدأت أرى بوضوح أكبر، لم أعرف المنفى من قبل، اطلاقاً. لكنهم علموني تلك الكلمة، ورددوها لي، في كل كتاب، وكل صحيفة. لعبوا بها على كل حبال روحي. لقد شربت المنفى، حتى في حليب الرضاعة، من نهد الامومة، وها هو ما نحن نرتكبه اليـــوم ...

لم أكن أعرف الى أين أذهب. تسربت بين القرويين، كما لو كنت أبحث عن شيء ما .. مررت قرب من كانوا يبكون بدموع حارة. ومن أمسكوا دموعهم. وقرب من انتفضوا ضد

Digitized by Birzeit University Library

ذلك المصير .ومن رضخوا له .وقرب من بكوا حقولهم ،التي ستصاب بالجفاف ،بعد حين .وقرب من سحقهم التعب ،ونهشهم الجوع ،والخوف .

كنت أريد أن أعثر من بينهم ،على رجل ،يكون العذاب عنده ،أيضا ،تمردا . .وصراخه، يستطيع أن يصعد من قافلة المنفي ،حتى الاله العجـــوز ...

كنت أتحرّق من أجل أن أعرف من أين أتى ذلك الخوف ،الذى في داخلي .ومن أين أتى صدى تلك الخطوة التي تملأ أذنيّ .صدى خطوات منفيين آخرين . أطرش .بعيد .كأنه أسطورى .لكنه يمزّق ،ونبوىّ ،يجرى مثل صواعق تنذر بالخطر ،وتحمل الظلام معهـــا .

وقعت على موشيه ،الذى قال يسألني : "ما الذى تريد أن تكشفه لي بذلك ؟ ".

ـ "انها خرب قذرة" . . .قلت بصوت مخنوق .

فعاد يقول : "أرجوك ،ما الذى تريده ؟" . . .

كان لدىّ ما أقوله .لكنني لم أستطع التعبير عن ذلك الشعور ،بتعقل ملموس .عندها أضاف ،وهو يحاول أن يبحث فيجيبوبه عن سيجارة وعيدان كبريت : "اسمع . .هذه القرية، ماذا تسميها ؟ ايه ،حسنا .مهاجرون يهود سيأتون اليها . . .هل تسمع ؟ وسيأخذون هذه الاراضي، وسيعملون فيها .وسيكون ذلك جميلا " . . .

تضطرب أحشائي .هذا كذب إ البندقية لا توجد حقا ،أبدا .

ماذا قالوا لنا عن مصير اللاجئين ؟ كل شيء ،كان يجب أن يتم من أجلهم ،ومن أجل سلامهم .بالطبع ،كان ذلك يعني لاجئينا ،وليس هؤلاء اللذين نحن نطردهم إ

لكن أولئك الذين سيسكنون هذه القرى ،هل الجدران لن تصرخ في وجوههم ؟ هل هي لن تكون مسكونة بالاشباح ،بالصراخ ،وبالارواح ؟

كان هنالك تأكيد عميق ،في داخلي ،أنه لا يمكن لاحد أن ينجح في شيء ،ما دام يلمع دمع طفل ،مصحـوب بأمـه على طريق المنفـــى . . .

ـ "موشيه .ليس لدينا أىّ حق ،حتى ولا حق ،في أن نطردهم من هنا إ"

وكان يقول : "آه ،ستبدأ من جديد ؟ " . . .

كنت أعرف أن ذلك النقاش ،لن يؤدى الى شيء ،وأن الشكوى تكاد تخنقني ."

(من رواية "حكاية خربة خرعـة
(تل أبيب ١٩٤٩) لايزهار سميلانسكي
أحد كبار كتاب العبرية المعاصرين) .

Digitized by Birzeit University Library

"القرية العربية الفلسطينية"

سيصدر قريبا عن جمعية الدراسات العربية بالقدس كتاب القرية العربية الفلسطينية ويتناول هذا الكتاب القرية العربية الفلسطينية من حيث مبناها، استعمالات اراضيها، موقعها، اسماؤها، ويعتبر اول كتاب من نوعه، حيث سيرفق بالصور الملونة وبرسوم توضيحية عن أنماط القرى المتعددة والابنية والنسق الفلسطيني العربي في البناء.

أوامر الاقامة الاجبارية في المناطق المحتلة ("لـ ١٩٦٧ – ١٩٨٣")

سيصدر قريبا عن جمعية الدراسات العربية بالقدس كراس يشمل قائمة باسماء الاشخاص الذين فرضت عليهم اوامر الاقامة الاجبارية منذ عام ١٩٦٧، كما يتناول بالعرض والتحليل مفهوم هذه الاوامر والتكييف القانوني لها.

قراءة نقدية في أحوال مصر الساداتية

كتاب جديد للاستاذ لطفي الخولي بعنوان "قراءة في أحوال مصر الساداتية، صدر الجزء الاول منه ويتناول احداث الفترة من أكتوبر ١٩٧٣ حتى يناير ١٩٧٧. أما الجزء الثاني فيتناول الفترة من يناير ١٩٧٧ الى أكتوبر ١٩٨١.

الجزء الثاني صدر عن الناشر "المؤسسة العربية للدراسات والنشر" بيروت.

"الرباط"

الرباط: نشرة صادرة عن نقابة المدرسين والعاملين في جامعة بيت لحم. تم التركيز في هذه النشرة على حرية التعليم والحريات الاكاديمية التي لا زالت سلطات الاحتلال تنتهكها متجاوزة القوانين والاعراف الدولية، بالاضافة الى دور النقابة ومجلس الطلبة في توضيح حقيقة ما جرى من انتهاكات وتطورات أدت في النهاية الى اغلاق الجامعة.

حيث توضح هذه النشرة دور النقابة بالنسبة لتصاريح العمل المفروضة من قبل السلطات على المدرسين، وموقف النقابة الرافض للتوقيع على اية وثيقة تتضمن محتوى سياسي حيث عملت النقابة على عقد اجتماع عام للهيئة العامة. وتم فيه فتح باب الانتساب الى اللجان المنبثقة عن النقابة، واستعراض اقتراح مشروع التأمين الصحي واللجان المشتركة من الادارة والنقابة ومجلس الطلبة ورد الادارة على هذه الاقتراحات.

وقد ساعدت النقابة الطلبة على الصعيدين المادي والمعنوي حيث تم توزيع كتب على الطلبة المعوزين بما قيمته مئة وخمسون دينارا أردنيا، وتم الترحيب بالاعضاء الجدد للنقابة، حيث تم ضم أحد عشر عضوا وبالاضافة الى تهنئة المعلم الفلسطيني بذكرى الانتفاضة، بالاضافة الى مواضيع اخرى.

العامل
نشرة للكتلة العمالية التقدمية

العامل نشرة لمرة واحدة اصدرتها الكتلة العمالية التقدمية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد احتوت على

Digitized by Birzeit University Library

العديد من المقالات والتحقيقات والتقارير العمالية..

وركزت افتتاحية "العامل" التي كانت بعنوان الاتحاد والوحدة على ضرورة توحيد الحركة العمالية النقابية في الضفة الغربية من أجل الوقوف أمام كافة المشاريع الامبريالية المشبوهه في المنطقة.

وتطرقت النشرة الى الاجراءات الاقتصادية ووطأتها على العمال داعية العمال للانتساب الى نقاباتهم وتشكيل اللجان العمالية في مواقع العمل وحضهم على توقيع اتفاقيات عمل جماعية مع اصحاب الشركات والمصانع العربية. بالاضافة الى تقارير عن وضع العمال العرب في المستوطنات الاسرائيلية، وفضح تجاوزات البهستدورت لقوانين العمل بشكل فاضح ومكشوف.

وجاءت النشرة مذكرة العمال بشأن تشكيل نقابات المهنه الواحدة تنفيذا لخطة الكتلة العمالية، موضحة مصلحة العمال في ذلك. وموجزة اسماء بعض النقابات الجديدة ونشاطاتها.

وفي لقاء مع نشرة العامل أكد النقابي عادل غانم امين عام اتحاد النقابات في الضفة على ضرورة وقف نزيف الدم الفلسطيني وصيانة وحدة منظمة التحرير الفلسطينية.

دراسات أدبية

سيصدر عن دار الكاتب قريبا مجموعة دراسات أدبية للقاص الفلسطيني جمال بنورة وتضم تسعة دراسات ومنها دراسة في أدب غسان كنفاني، وقفة مع الكاتب الشهيد ماجد أبو شرار في مجموعته القصصية الخبز المر، التعذيب موضوع رواية "شرق المتوسط" ودراسات اخرى.

هذا وتقع الدراسات في مئة وأربعة وثلاثون صفحة من الحجم المتوسط.

فرويد والكوكايين

ظهر في انجلترا كتاب جديد بعنوان " فرويد والكوكايين" للمؤلفة البريطية ثورنتون تقول فيه ان رائد علم

النفس التحليلي سيجموند فرويد كان مدمنا للكوكايين، وانه قد بدأ عام ١٨٨٤ في تجريب الكوكايين على نفسه معتقدا انه يشفي كل الامراض، وانه كان ينصح به الكثير من اصدقائه، وتقول أيضا أن الكوكايين هو سر التصرفات العجيبة والشاذة لفرويد، وان كل نظرياته ليست نتاجا لعبقريته انما هي نتاج للمخدرات التي كان يتعاطاها

الذكرى ١٢٠٠ لميلاد الخوارزمي

يحتفل الاتحاد السوفييتي بالذكرى المئتين بعد الالف لميلاد العالم العربي الكبير محمد بن موسى الخوارزمي

التي تصادف هذا الخريف. وعلم ان احتفالا مهما سيقام في طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفييتية التي ولد فيها العالم الكبير وسيحضره علماء سوفييت

Digitized by Birzeit University Library

وأجانب لاحياء هذه الذكرى.

والخوارزمي ،كما هو معروف، واضع علم اللوغاريتم وقد أسهم اسهاما كبيرا في تطوير الرياضيات ولا سيما الجبر.

السينما الجزائرية

أصدرت وزارة الاعلام الجزائرية مؤخرا كتابا ضخما بالصور الملونة يعكس ويؤرخ التجربة السينمائية الجزائرية من عام ١٩٥٧حتى ١٩٧٣، اذ ولدت هذه التجربة ابان حرب التحرير الجزائرية عام ١٩٥٤ حيث ان بعض المجاهدين بادر بتصوير المعارك وملاحم الثورة مما دفع المسؤولين الى لتفكير في انشاء مدرسة للتكوين السينمائي في جبال الثورة عام ١٩٥٧ والشروع في تصوير أفلام تعرف بمشكلة الشعب الجزائري وببطولات جيش التحرير لدى الرأى العام العربي والدولي منها: "اللاجئون"، "الجزائر الملتهبة"، "ياسمينه"، "صوت الشعب"، "بنادق الحرية"، "خمسة رجال وبنادق".

نجاح التجربة أثناء حرب التحرير دفع بالجزائر الى اعطاء السينما أهمية خاصة بعد الاستقلال حيث تم تأسيس الديوان القومي للصناعة السينماتوغرافية في عام ١٩٦٤ وتم عام١٩٦٦تأميم دور السينما البالغ عددها ٣٢٦ دارا في الجزائر وشرع في انتاج سلسلة من الافلام التي تروى ملاحم الثورة وتحكى معارك التحرر منها "معركة الجزائر" الذى يروى قصة المقاومة البطولية للفدائيين داخل العاصمة،وفي حي القصبه،امثال العربي بن المهدى وبوسف السعدى وعلي لابوانت وحسيبه بن بو علي وغيرهم. و"اليز" و"الحياة الحقيقية" و"الافيون والعصا" و"الخارجون على القانون" و"ديسمبر" و"ريح الاوراس" و"الطريق"و"دورية نحو الشرق" و"حرب التحرير" و "وقائع سنوات الجمر" "الليل يخاف من الشمس" و"حسن طيرو" و"نوه"و "الارث" و"الحواجز" وغيرها من الافلام التي حققت نجاحا عربيا ودوليا بحكم تصويرها لاحداث ثورة الجزائر التي شغلت الرأى العام العربي والعالمي سبع سنوات ونصف السنة من الكفاح للتحرير. في السبعينات وبدخول الجزائر معركة الثورات الثلاث الزراعية والصناعية والثقافية " دخلت السينما الجزائرية منعطفا جديدابتصويرها لوقائع الحياة الجديدة في معركة البناء والتشييد وظهرت أفلام جديدة تروى صورا من الحياة الاجتماعية بكل معطياتها سلبا وايجابا منها "ريح الجنوب " و"الرعاة" و"الشبكة" و "المستاطلون" و"الصيادون" و"عدو المجتمع" الا انها مع بداية الثمانيات اتجهت الى انتاج الافلام الاجتماعية النقدية كفيلم "عمر قتلاتو" و"ليلى والاخريات" "الدخول ممنوع" و"المفيد" و "نوبة نساء شدة" و"زيتونة بو الهيلات" و"سقف وعائلة" و"نوافذ مفتوحه"و"زواج وغيرها . ٣٠٠ فيلم خلال عشرين عاما ليس ذات أهمية من ناحية الكم لانها من حيث الكيفية تعكس تجربة جديدة تجمع بين البعد الانساني والفكرى وتوظف الوسائل السمعية والبصرية في تثقيف وتوعية الجماهير.

اسبوع فلسطين الثقافي في لندن

انتهى في لندن،في اوائل الشهر الماضي،اسبوع فلسطين الثقافي الذى انعقد بمناسبة يوم التضامن العالمي

Digitized by Birzeit University Library

مع الشعب الفلسطيني.

وقد امتد الاسبوع الثقافي على مدى أربعة أيام واشتمل على عدد من المحاضرات والندوات وعرضت فيه عدة أفلام فلسطينية وأفلام مناصرة للقضية الفلسطينية. كما اقيمت على هامشه ندوة شعرية شارك فيها ثلاثة من كبار الشعراء الفلسطينيين الدوليين هم: محمود درويش، سميح القاسم، ومعين بسيسو. كما أقيميت على هامشه معارض للرسم التشكيلي، باشتراك الرساميين الفلسطينيين: جمانه الحسيني سمير سلامه، ناصر التوني ورساميين أجانب.. ومعرض للازياء الشعبية الفلسطينية وللكتب العربية والمؤيدة لحق الشعب العربي الفلسطيني.

وكان الاسبوع قد بدأ أعماله صباح يوم الاثنين ٨٣/١١/٢٨، وقد قدمت خلاله محاضرتان، الاولى حول "المسرح الفلسطيني الحديث" قدمها طالب الدكتوراة في جامعة لندن، فواز زيدان والثانية حول شخصية العربي في الادب العبرى، قدمها انطوان شلحت المحرر في الزميلة الاتحاد".

كذلك عرض فيلم "بيروت ١٩٨٢" الذى أخرجه جان شمعون ومي مصري. وقدم الموسيقار الفلسطيني باتردك لاما وصلة عزف على البيانو، أحيا المطرب عطا الله شوفاني وصلة غنائية.

وفي اليوم الثاني، الثلاثاء ٨٣/١١/٢٩، عقد مؤتمر صحفي شارك فيه كل من: ياسر عبد ربه، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والكاتب الفلسطيني اميل حبيبي، رئيس تحرير صحيفة الاتحاد والرّوائي يحيى يخلف، الامين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وفيصل عويضه مدير مكتب م.ت.ف. في لندن والصحفي البريطاني المعروف مايكل آدام.

بعد ذلك تليت محاضرة بشير البرغوثي، رئيس تحرير "الطليعة" المقدسية الذى تعذر حضوره، حول "الصحافة العربية في ظل الاحتلال الاسرائيلي". وفي المساء أقيمت أمسية فنية من أجل فلسطين شارك فيها فنانون من جنوب افريقيا ومن دول اميركا اللاتينية ومن ارتيريا واسبانيا.

وفي اليوم الثالث الاربعاء ٨٣/١١/٣٠، قدم الدكتور أسعد عبد الرحمن محاضرة حول "الحرب القومية الفلسطينية".. وقدم الفنان كمال بلاطه محاضرة حول الفن التشكيلي الفلسطيني مرفقة بالصور الضوئية. وقدمت الدكتورة ريتا جقمان محاضرة حول "المرأة والتطور في المناطق المحتلة". وفي المساء عرض فيلم "هويتنا" للمخرج قاسم حول. ثم عقدت الندوة الشعرية المذكورة..

وفي اليوم الرابع والاخير الخميس ٨٣/١٢/١، تلت محاضرة الباحث علي الخليلي الذى تعذر حضوره حول "الثقافة الفلسطينية في المناطق المحتلة". وقدمت طالبة الدكتوراه في جامعة أدنبرة سعاد العامرى محاضرة حول "الفن المعماري الفلسطيني"..ثم قدم الاديب اميل حبيبي رئيس تحرير "الاتحاد"، محاضرة حول "التعليم والهوية الثقافية العربية في اسرائيل". وقدم الدكتور سامي مرعي محاضرة حول "التعليم والهوية الفلسطينية في اسرائيل".

هذا وأشرف على تنظيم الاسبوع مجلس تطوير التفاهم

Digitized by Birzeit University Library

العربي – البريطاني. وقد حشد اسبوع فلسطين الثقافي بالاضافة الى المشاركين فيه، عددا كبيرا من الادباء والكتاب والمثقفين الفلسطينيين والعرب بينهم الروائي يحيى يخلف، والروائي رشاد ابو شاور والقصاص محمود قدرى، والروائية ليانه بدر وآخرون. كما أثار اهتماما ملحوظا في وسائل الاعلام البريطاني وبين أوساط الرأى العام المناصرة لحقوق الشعب العربي الفلسطيني ..

العدد ١٧ من رسالة النجاح

نابلس :

صدر العدد السابع عشر من رسالة – النجاح – التي تصدرها دائرة العلاقات العامة في جامعة النجاح الوطنية.

واشتمل العدد كلمة العدد وهمسات الرسالة، ومقالات عن التعليم العالي ومقالات لعدد من الاساتذة والطلبة، وزاوية خدمات الرسالة وكانت عن الدراسة في الجامعات الالمانية ومسابقة العدد، وقصيدة باللغة الانجليزية لطالب في الجامعة ..

كتاب جديد للدكتور اميل توما "فلسطين في العهد العثماني"

– صدر عن "دار الفجر للطباعة والنشر" في القدس العربية كتاب "فلسطين في العهد العثماني" للمؤرخ الدكتور اميل توما.

ويتألف هذا الكتاب الجديد للدكتور توما من عشرة فصول يحلل خلالها الواقع الاجتماعي – الاقتصادى للبلاد واثر التغيرات السياسية في الدولة العثمانية، بما في ذلك "الاصلاحات" على واقع الشعب الفلسطيني. كذلك يتابع المؤلف عملية نمو الوعي العربي في فلسطين

ويقول المؤلف ان مزاعم الصهيونية ان فلسطين كانت صحراء قاحله قبل بداية الاستيطان الصهيوني هي التي استفزته لكتابة هذه الفصول.

ويعتبر هذا الكتاب الجديد الهام لاميل توما مساهمة جادة، اضافية، على طريق اضاءة التاريخ الفلسطيني امام اجيالنا الطالعة، وبمنظور علمي رصين ..

الخروج من مرج بن عامر

– صدر حديثا عن "دار المشرق" كتاب الخروج من مرج بن عامر للكاتب زكي درويش، والكتاب عبارة عن قصة طويلة تقع في ٨٤ صفحة من الحجم الصغير ..

"حكايات بوشكين الخرافية"

– عن منشورات "دار الفتى العربي" في بيروت وفي سلسلة مكتبة الادب العالمي صدر مؤخرا كتاب "حكايات بوشكين الخرافية".

والكتاب عبارة عن مجموعة من ست قصص هي "الديك الذهبي الصغير" "والدبه" و "القصر سلطان" و "الاميرة الميتة والعمالقة السبعة" "خادمة بالدا" و "الصياد والسمكة الذهبية".

ترجم الكتاب الى العربية يوسف حسين. وراجع الترجمة عبد الفتاح الجمل.

Digitized by Birzeit University Library

جديد للذي يبحث عن الجودة

مركز بيت لحم للرخام والجرانيت

بإدارة

أحمد سرور - أبو نضال

باب الزقاق - عمارة الفرد قطان - تلفون ٧٤١٨٥٧

أشهر أنواع

الدرسكات المستوردة

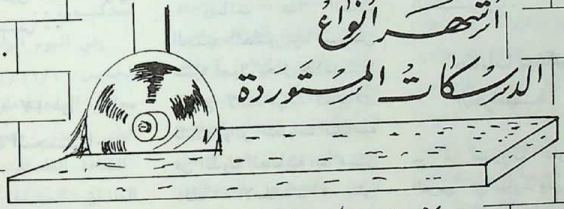

بمختلف الأحجام والمقاسات

مستوردة مباشرة من ايطاليا وبلجيكا

* كافة أنواع البلاط والجرانيت والرخام
* أفخر أنواع المجالي للمطابخ
* أحجار بناء بأنواعها المحلية والمستوردة

من الهند وتركيا وايطاليا والبرازيل ومناطق عديدة في افريقيا

Digitized by Birzeit University Library

أوليفتي

مؤسسة شروق

للأجهزة الالكترونية ولوازم المكتب

رام الله - شارع يافا - ت: ٩٥١٢٢٢

اوليفتي olivetti

ET-121

آلة كاتبة بثلاث لغات

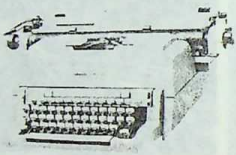

يسنيها ٩٨ Linea 98

آلة كاتبة عادية

إن كنت تبحث عن

الأفضل..!!

نحن نوفر لك ما تحتاجه -

ونأتي اليك متى تشاء

أسعار لا تضاهى

صيانة سريعة - متقنة

olivetti

كمبيوتر M-40 M-20

Digitized by Birzeit University Library

بشرى للمواطنين يعلن

معرض هاواي للسيارات

لأصحابه: رفاتي وأبو غربية

عن وصول سيارات

أوبل موديل ١٩٨٤ الألمانية الشهيرة

أوبل ركورد S ١٨٠٠ - أوبل سكونا لوكسوس - اوبل سكونا S - اوبل كاريت

مع إعادة العرض الإلزامي الحكومي إلى المشتري الذي يبلغ نسبة ١٥٪ من ثمن السيارة

التسليم فوراً

وصلت إلى معرض هاواي أول قشكيلة من سيارات

B.M.W. ٣١٦ ١٤ بواب

علماً بأن الذين حجزوا سيارات من هذا النوع مراجعة ادارة المعرض لاستلامها

ملاحظة: توجد لدينا مجموعة مختلفة من السيارات الجديدة والمستعملة وبأسعار مخفضة

بيع - شراء - تبديل جميع أنواع السيارات

رام الله - شارع القدس ـــــ تلفون ٩٥٢٧٤٣

جامعة بيرزيت
المكتبة
2 JAN 1984
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

AL-KATEB Editor – Asa'd AL-asa'd Jerusalem

45 الكاتب للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library